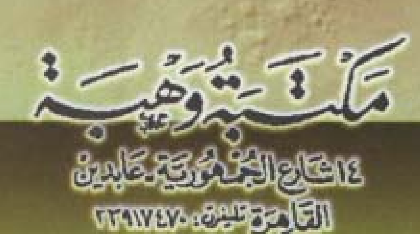
نحن والآخر
أيدلوجية التعايش مع الآخر

# نصارى العرب وأقباط مصر

## قراءة تاريخية ورؤية تحليلية

إلى أين يسيرون؟! ومتي يتداركون أمرهم؟!
ولماذا الاستقواء بالأجنبي؟!
مداواة الجراح.. خير من توسيع الجراح!!

سعيد عبد الحكيم زيد



نحن والآخر

أيدلوجية التعايش مع الآخر




## قراءة تاريخية ورؤية تحليلية

إلى أين يسيرون؟! ومتي يتداركون أمرهم؟!

ولماذا الاستقواء بالأجنبي؟!

مداواة الجراح.. خير من توسيع الجراح!!

سعيد عبد الحكيم زيد

مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة تليفون ٢٣٩١٧٤٧٠

فاكس ٢٣٩٠٣٧٤٦

سلسلة : أيدلوچية التعايش مع الأخر
اسم الكتاب : نصاري العرب وأقباط مصر
قراءة تاريخية و رؤية تحليلية
اسم المؤلف : سعيد عبد الحكيم زيد
الصفحات : ٣٠٤ صفحة
المقاس : ١٧ × ٢٤ سم
الناشر : مكتبة وهبه
الطباعة : مطبعة زهران
رقم الإيداع : ١٩٠٥٨ / ٢٠٠٧
الطبعة : الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م

# الإهـــــــــداء

إلي روح والدي رحمه الله تعالي .. فإن جوهر ما سطرته في هذا الكتاب ليس إلا ثمرة لغرسه الباكر لنا في سنوات اليفاع ..

ثم

إلي الباحثين عن الحقيقة..

وهل هناك بالنسبة للباحث عن الحقيقة شيء له قيمة أكثر من الحقيقة نفسها؟!

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال تعالي:

﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران ٦٤) .

﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا ﴾ (مريم ٨١: ٩٣) .

﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(الممتحنة:٨) .

﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة:٩)

﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت:٤٦) .

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

# المقدمــــــــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيد الخلق وحبيب الحق، ولسان الصدق النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات، ويحرم عليه الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال، التي كانت عليهم ﴿ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ (الأعراف:١٥٧) .

الحمد لله الذي هدانا لهذا، ولولا فضل الله ورحمته لكنا من الضالين الهالكين ..

## وبعــــــــد:

كتابات كثيرة قرأتها عن الآخر .. عن اليهود والنصاري .. ظننت أنها تساعدني في كتابة مقالين أو ثلاثة أنشرها في الصحف السيارة علي الساحة، تشفي غليلي، وأرد بها علي حملة العداء للإسلام، وجملة من الافتراءات والمزاعم علي نبيه ﷺ، ولكن البحث طال وطال .. طال لسنوات وأعوام وفرض نفسه، فتركته يتنفس بعض الشيء أداء لأمانة البحث، والكشف عن مكامن الداء خاصة في جيران الوطن من نصاري مصر والعالم العربي، فمضيت أدرس وأراجع، وعاودت النظر فيه مرات ومرات، ممعنا النظر فيمن شملهم المجتمع المسلم بكرمه المعهود، وضمهم تحت جناحه .. بل عاملهم كأهل كتاب وأهل ذمة .. يحيون في سماحته، آمنين بعدالته، يسعون علي عيشهم، وينصرفون إلي كسبهم ..

عاش الأقباط والمسلمون مئات السنين في سلام، يقتسمون لقمة العيش،

ويشارك كل منهم الآخر في أفراحه وأحزانه .. والمسلم الحقيقي دوما كان يدين كل صنوف التعصب لدي المسلمين، كما يدين أمثاله لدي الأقباط أو المسيحيين .. ومن هنا كان التعايش الهاديء، والتفاعل المستمر بين المسلمين والأقباط .. أثبتت وقائع التاريخ ذلك .. فماذا جري ؟؟ !!

هناك قوي خفية صاحبة إشعال نيران الفتنة، وتصعيد الكراهية والخلافات!!

..مخاطر أراها تلوح في الأفق !! مخططات قوي دولية، وتدخلات خارجية تحت ستار التوظيف السياسي لحقوق الإنسان، في عصر عجزت فيه المنظمات العالمية، كالأمم المتحدة ومجلس الأمن علي وقف هذا الشطط !! تدخلات تهدف إلي النيل من التعايش التقليدي المتميز بين المسلمين والأقباط، الأمر الذي يترتب عليه زعزعة الاستقرار الاجتماعي الذي هو الركيزة الأساسية لأي انطلاق اقتصادي وسياسي .. تدخلات خارجية وتراكمات تاريخية، خلفت تعصبا طائفيا ورسبت عقدا نفسية أراها تستغل في تحركات لا عقلانية، تسعي إلي إعادة رسم خريطة شرق أوسط جديد، تتولي فيه الصهيونية زمام قيادته !!

الحق والحق أقول أن الحديث عن تاريخ النصاري - ليس كل النصاري- الحديث عنه ذو شجون، مؤمرات تنوء بحملها صفحات يسيرة، فهم من وراء كل نكبة ألمت بأمتنا في تاريخنا المعاصر، بدءا بهدم الخلافة الإسلامية ومرورا بسيطرة اليهود علي فلسطين، وانتهاءا بمؤامرة الدويلات الطائفية - وسعيهم من أجل إقامة دولة خاصة بهم في لبنان من بلاد الشام، ولعل تواطؤهم اليوم مع اليهود في فلسطين المحتلة، والولايات المتحدة الأمريكية، والغرب النصراني لا يخفي علي كل ذي بصيرة [1]..

---

١) ارجع إلي د. محمد محمد حسين - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. مصطفي الخالدي - ود. عمر فروخ - التبشير والاستعمار، محب الدين الخطيب - الغارة علي العالم الإسلامي - محمود شاكر - أباطيل وأسمار، محمد عبد الغني النواوي - الصراع العربي الإسرائيلي

وفي كتابه مصر الحديثة، يعترف اللورد كرومر بخيانات بعضهم، كما خان البعض منهم إبان الحملة الفرنسية !! يقول كرومر: " عندما بدأ الاحتلال البريطاني كانت تساور عقل القبطي آمال معينة .. كان يقول لنفسه:إنني مسيحي والإنجليز مسيحيون، فلو كان الأمر بيدي لكنت تعصبت للمسيحيين علي حساب المسلمين، وكان يقول لنفسه ولما كان للإنجليز السلطة فإنه من المؤكد أنهم سوف يحابون المسيحيين علي حساب المسلمين "

هذا وقد كتب الشيخ محمد الغزالى حتى قبل قيام ثورة يوليه ١٩٥٢ منزعجا بحقّ لهذا الذى تكلمنا عنه هنا من تطرف طائفة من القبط وقولهم إن مصر بلدهم وحدهم من دون المسلمين، إذ نقرأ فى كتابه: "التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام" مكتبة الأسرة/ ٢٠٠٥م/ ٢١٦ " السطور التالية:

"إنه يتضح من استقراء الحوادث التى حفل بها التاريخ المصرى من الفتح الإسلامي إلى اليوم أن لدى النصارى رغبة جامحة فى تنقص الإسلام واعتبار أهله غرباء فى هذه البلاد ومحاولة الاستئثار بالسلطة دونهم حتى يتم بالخديعة أو بالقهر هدم الحكم الإسلامى وإقامة حكم آخر مكانه أيا كان لونه. ومن الظلم أن نتهم الأقباط عامة بأنهم شركاء فى الوصول إلى هذه الغاية الجائرة، ففيهم فى كل زمان ومكان أهل إنصاف وعدل يريدون أن يقاسموا المسلمين حياة آمنة مستقرة ولا يرون غضاضة فى إعطاء المسلمين حقهم باعتبارهم كثرة. ومن حق الكثرة المعترف به فى الأنظمة كلها أن تكون الدولة لها، والولاية العامة فى بنيها. وما دامت القلة ستعيش مساوية فى حقوقها وواجباتها وحرياتها للكثرة التى تجاورها، فأى حرج سوف يلحقها؟ "

علي أية حال هذه حزمة من حقائق جمعناها من مصادر شتي، إسلامية وغير إسلامية ما قصدنا بها مضايقة غير المسلمين من جيراننا في الوطن، لذلك لا يصح أن تضيق بها صدورهم، ولا ينبغي أن تنزوي عنها العقول ..عسي أن يكون هذا البحث مؤتيا ثماره في تحذير أولئك الذي بدا لهم الاستقواء بالأجنبي .. وبعد أن أصبح كل شيئ واردا في زماننا !!

تتكون هذه الدراسة من مقدمة، وأربعة أبواب .. وخاتمة ..

**جاء الباب الأول في خمسة فصول**، تناولت في **الفصل الأول من الباب الأول** منهج البحث ودوافعه فبينت التزامي بالمنهج الإسلامي الذي يجعل من العدل فريضة إلهية واجبة حتي مع المخالفين لنا، ومع من نكرههم ويكرهوننا .. نقول الحق ونتحري الدليل، مع الالتزام المطلق بالموضوعية التي تجعل من الباحث مجرد راصد للأحداث .. وعن دوافع البحث والدراسة تكلمت عن الهمز والطعن والتشكيك في عروبة مصر والمخطط التآمري المشبوه عن هوية مصر وشخصيتها، وكذلك عن النشاطات الكنسية المعادية للإسلام والمسلمين، وهل أقباط مصر حقا مضطهدون، وكذبة الخط الهمايوني.

وفي **الفصل الثاني** تناولت المسيحية في مصر، وكيف رحب المصريون الأقباط بالفتح الإسلامي،وكيف وضع الفتح العربي حدا ونهاية حاسمة للاضطهاد الديني الروماني لأقباط مصر، وبينت طبيعة الفتوح الإسلامية، وضوابط الحروب والقتال في الإسلام، وفعالية القيم الإسلامية والأعراف العربية في الرد علي الآخر .. و تكلمت عن نصاري وأقباط مصر عبر العصور وعن الطبيعة الخاصة للكنيسة المصرية، ومكانة الأقباط في المجتمع المسلم، وتناولت الصفحات السوداء التي يخجل منها كل نصراني والوجه القبيح لنفر من النصاري وكيف تحالفوا مع المستعمر، وماذا حصدوه من استقوائهم بالدول الأوربية !!

أما **الباب الثاني** – ويضم ثلاثة فصول – في **الفصل الأول** وتحت عنوان نحن والآخر، بينت فيه كيف امتهن الآخر مقدسات المسلمين، والعداء التاريخي والمتجذر للإسلام والمسلمين، وكيف أن عداء النصاري للمسلمين ليس وليد اليوم، وأن تحالف المؤسسات الكنسية ومحاولات بسط الصليب علي أرض الهلال ليس بالأمر الجديد، وفي **الفصل الثاني** تطرقت إلي الممارسات السلبية للنصاري العرب، وإلي حقوق غير المسلمين في بلاد المسلمين، وأن الإسلام دين رحمة للناس أجمعين، وقدمت صورا ناصعة سجلها التاريخ في توفير هذه الحقوق، وتكلمت عن الممارسات الخاطئة للغرب النصراني في مصر والوطن

العربي، والسلوك البربري للحضارة الغربية، ثم جاء **الفصل الثالث** ليبين مخطط التفتيت للعالم الإسلامي – سايكس بيكو الثانية – وأهدافه ..

وجاء **الباب الثالث** تناولنا فيه معاناة الأمة المسلمة من الممارسات الوحشية للآخر، وقدمت صورا من ممارساته التي تؤكد حقيقة العداء عبر التاريخ ..

أما **الباب الرابع** فقد تكلمت عن أهل الكتاب وأهل الذمة وكيف حدد القرآن الكريم أصول التعامل معهم ..

ثم كانت خاتمة البحث والمصادر والمراجع التي اعتمدتها في إعداد الكتاب ..

أسأل الله تعالي أن يستعملنا جل وعلا في طاعته، وأن يجعل لنا شرف نصرة دينه وإعلاء كلمته، وإعزاز أمة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .. والله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا .. وعلي بركة الله .. وصلي الله علي محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

**سعيد بن عبد الحكيم بن حسن زيد**
الرفاع الشرقي – مملكة البحرين
١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

# الباب الأول
# الفصل الأول
# ( بين يدي البحث )
# منهج البحث ودوافعه

**منهج البحث:**

- كان سبيلي في هذه الدراسة الاعتماد علي معلومات وآراء حملتها كتب مطبوعة، ومراجع ومصادر ودراسات أكاديمية..

- التزمت في بحثي المنهج الإسلامي الذي ينطلق من قوله تعالي:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(المائدة:٨) .

- أمرنا الله تعالي - إذا قلنا - ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾ (الأنعام:١٥٢) .

إذ لا تعني كراهيتنا وعداوتنا للآخر، أن نقول عنه بالحق والباطل، وإنما نقول الحق ونتحري الدليل من مراجع ومصادر موثوقة، عربية كانت أو غربية.

- الإسلام يعترف بكل الآخرين حتي الذين لا يعترفون به دينا سماويا، ولا بكتابه وحيا إلهيا، ولا بنبيه محمد ﷺ نبيا ورسولا ..

**العدل فريضة إلهية**

واسم من أسماء الله سبحانه، لا يمكن أن يقوم إذا كانت هناك تفرقة بسبب الدين أو اللون أو الاعتقاد .. الإسلام يجعل العدل فريضة واجبة حتي مع المخالفين بل ومع من نكرههم ويكرهوننا ..

يقول الإمام علي ﷺ: " **الناس صنفان:** إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق "[١] .

" من وصية له ﷺ للأشتر النخعي واليه علي مصر ٣٧هـ ٦٥٧م يطلب منه تعميم فريضة العدل علي كل أهل مصر، الذين لم يكن قد أسلم منهم يومئذ إلا النذر اليسير "

– حرصت فقط علي وضع خطوط عامة بارزة لتكوين خلفية تاريخية .. لأن الإحاطة بتفاصيل ومفردات العلاقات التاريخية بين المسلمين والنصاري عمل موسوعي ضخم، يتطلب توافر عشرات الباحثين عليه لسعة رقعته الزمانية والمكانية ، وتنوع مادته .

– لم أعتمد في دراستي وقراءتي التاريخية علي مراجع ومصادر كُتّابها مسلمون فحسب، ولكن تنوعت المراجع فمنها لزكي شنودة، وغالي شكري، وزاهر رياض، وداود عزيز، وسميرة بحر، والأنبا جريجروس، وكلهم من نصاري مصر .. وغيرهم، وغيرهم ..

– الإلتزام المطلق بالموضوعية التي تجعل من الباحث مجرد راصد لأحداث جرت أو تجري ..

– نري أن من الإنصاف – وكما جاء في كتابات د. محمد عمارة – أن نفرق دوما بين أولئك الذين حاولوا ويحاولون خرق سفينة الوطن والالتحاق بسفن الآخرين، وأولئك الذين حرصوا ويحرصون علي وحدة تراب الوطن والأمة، ولبنات البناء المرصوص .. الذين رفضوا الخيانة، وكانوا عونا لإخوانهم المسلمين في مقاومة الغزاة المحتلين ..

من العدل أن لا نسوي بين القيادات الكنسية التي التزمت بالرسالة اللاهوتية ومملكة السماء وخلاص الروح .... وبين القيادات التي خرجت علي رسالة الكنيسة، وحولت الكنيسة إلي مشروع طائفي وقيادة سياسية، وبروفة

---

(١) نهج البلاغة ص٣٣٤- دار الشعب – القاهرة

لدولة يتوهمونها !! ... بين الذين يصدرون النداءات المحمومة باسم منظمة التحرير القبطية إلي قوات المارينز الأمريكية، والجيش الإسرائيلي ليعاونهم علي تحرير مصر من الإسلام والمسلمين !! ...

ينبغي أن لا نسوي بين المعلم يعقوب حنا " ١١٥٨-١٢١٦هـ / ١٧٤٥-١٨٠١م الذي خان الوطن والأمة، وخان أقباط مصر وكنيستهم، عندما جند أرازل القبط وجعلهم جزءا من الحملة الفرنسية علي مصر ١٢١٣-١٢١٦هـ / ١٧٩٨-١٨٠١م واشترك مع الغزاة في حرق وتدمير قري مصر وسكانها ... بين تلامذة المعلم يعقوب الذين سقطوا في حبال الخيانة، وكتبوا للإنجليز يغرونهم بفصل مصر عن تراثها الحضاري ومحيطها الإسلامي، وإلحاقها بأوروبا وإخضاعها للنفوذ الإنجليزي ... بين أولئك الذين سقطوا في شراك العمالة بأوراقهم السوداء - أمثال سلامة موسي ولويس عوض ١٣٣٣-١٤٠٩ هـ /١٩١٥-١٩٨٩م - الذين وصفوا اللغة العربية بأنها لغة دخيلة وميته، لغة التقاليد والقرآن، وطالبوا بالخروج من آسيا والالتحاق بالغرب الأوروبي، وبحكومة كحكومات أوروبا لا كحكومة هارون الرشيد والمأمون، وبآداب أوروبية، وتعليم لا سلطان للدين عليه ولا دخول له فيه، وثقافة أوربية لا كثقافة الشرق ثقافة العبودية والذل والتوكل علي الآلهة - علي حد زعمهم - .. بين يوسف وهبة باشا ١٢٦٩-١٣٥٣هـ / ١٨٥٢-١٩٣٤م الذي خرج علي إجماع الأمة وقبل أن يخون ثورة ١٩١٩م ويؤلف الوزارة في حماية حراب الإنجليز .. !!

بين كل أولئك الخونة و.. بين أصحاب الصفحات الناصعة البياض، والمشرقة بالانتماء الوطني والقومي والحضاري الإسلامي، أمثال: مكرم عبيد ١٣٠٧-١٣٨٠ هـ / ١٨١٨-١٩٦١م الذي تسلح ببيان القرآن الكريم وبلاغته، وخرج ليدافع عن الوطن دفاع الشهداء قائلا: " نحن مسلمون وطنا ونصاري دينا، اللهم اجعلنا نحن المسلمين لك وللوطن أنصارا، واللهم اجعلنا نحن نصاري لك، وللوطن مسلمين .."

وأمثال القس سرجيوس ملطي ١٣٠٠- ١٣٨٤هـ / ١٨٨٣-١٩٦٤م

الذي خطب الأمة من علي منبر الأزهر إبان ثورة ١٩١٩ معلنا رفض حماية الاحتلال للأقباط قائلا: " إذا كان الإنجليز هم الذين سيحمون الأقباط فليمت كل الأقباط ولتحيا مصر حرة مستقلة " كان هو والشيخان مصطفي القاياتي، ومحمود أبو العيون، من أخطب من عرفتهم المنابر حضا علي جهاد الإنجليز، وعملا علي توثيق عري الترابط بين المصريين ...

لا يمكن ولا يجوز للضمير الوطني والثقافي والحضاري أن يسوي بين الضباط والجنود الأقباط الذين وقفوا ضد الاحتلال البريطاني أيام الثورة العرابية وأيام ثورة ١٩١٩م .. وأولئك الذين قدموا أرواحهم في مقاومة الغزو الصهيوني – أخطر تحد واجه مصر والأمة –.. الذين عاشوا مع رفاقهم المسلمين في الجيش المصري ملحمة انتصارات رمضان ١٣٩٣هـ – أكتوبر ١٩٧٣م، فصاموا رمضان معا واقتحموا خط بارليف جميعا وهم يهزون الأرض والسماء بنداء " الله أكبر " ليجسدوا بالدماء والفداء والاستشهاد – أول انتصارات الأمة علي الصهيونية وجيشها – أولئك الذين جسدوا الوحدة الوطنية .. تلك الصخرة التي تحطمت عليها مؤامرات الآخر .. وغيرهم وغيرهم .. لا يستوون ... لا يستوون ... ليسوا سواء ..

لا يمكن التسوية بين هؤلاء الأبطال وأولئك العملاء من بعض أقباط المهجر – الذين يستعدون الامبريالية والصهيونية علي مصر، ويصدرون النداءات المحمومة .. باسم " منظمة التحرير القبطية " إلي قوات المارينز الأمريكية والجيش الإسرائيلي، ليعاونهم في تحرير مصر من الإسلام والمسلمين!

### دوافع البحث

يعلم الله أنه قد دفعني لكتابة هذا البحث، وتدوين هذه القراءة التاريخية، حزمة من الأمور أوجعتني ألما ومازالت ..منها: ..

### مصر العربية الإسلامية .. ومصر الفرعونية ..

في مصر – كنانة الله في أرضه – بين الحين والحين تخرج علينا بعض الأصوات من جيران الوطن وغيرهم – الذين لا يريدون لمصر أمنا

أو استقرارا،، تلك التي تنادي بالمصرية والفرعونية، يزعمون أن المصريين ليسوا بعرب ولا شأن لهم بالعروبة .. كلها تصب في تجريح الإسلام وغمزه، والسخرية من حضارة الإسلام والمسلمين، وكلها تصب في محاولات التجزئة والتفتيت " مصر أولا " و " فضوها سيرة " .. أصوات نشاز تبدي أسفها علي اليوم الذي دخل فيه عمرو بن العاص مصر فاتحا، في العام الحادي والعشرين من الهجرة، وتدعو إلي فصل مصر عن عروبتها وإسلامها .. لأن الأقباط بزعمهم تعرضوا في ظل الحكم الإسلامي – الذي كان بمثابة عصور إظلام وتخلف – للقهر والتطهير العرقي مثلما تعرضوا أيام الرومان، بل الحكم الإسلامي كان أنكي وأمر !!

الحق والحق أقول: تعتبر فترة حكم عمرو بن العاص ، من أزهي فترات الحكم الإسلامي، وأعظمها استقرارا وهدوءا وعدلا .. استراح فيها أقباط مصر بعد حوالي ستة قرون من اضطهاد الحكم الروماني، وهو حكم حرم المصريين حتي من حق المواطنة الرومانية .. ووضعهم في أدني الطبقات بعد الرومانيين، واليونان، واليهود ..

ففي الوقت الذي جعل فيه الرومان المصريين غرباء في أرضهم، ومحرومين من الامتيازات الممنوحة للرومان واليونان واليهود .. جاء الحكم الإسلامي ليلغي جميع هذه الامتيازات، وليعتبر المصري – مسلما كان أو مسيحيا – مواطنا في الأمة المسلمة، له نفس الحقوق وعليه نفس الواجبات .. اللهم إلا في اختلاف بسيط يدفع بمقتضاه غير المسلمين الجزية .. مقابل الزكاة التي يدفعها المواطن المسلم وما دون ذلك .. حق المواطنة ممنوح للجميع .. وبالتساوي .. والأمثلة علي ذلك تدل علي مدي ما نعم به أقباط مصر من عدالة في واحة الحكم الإسلامي .. بعد جحيم الاضطهاد الروماني البيزنطي ..

هذا ما حدث في مصر في فترة ولاية عمرو بن العاص، التي استمرت منذ الفتح لأكثر من عشرين عاما .. !!

أمور تدعو للعجب .. لأن مصر الإسلامية لا تلغي مصر العربية،

ولا مصر المصرية .. مصر الإسلامية يمتد تأثيرها من أندونسيا إلي عمق القارة الأفريقية، وتخاطب أكثر من مليار ونصف مسلم في تلك المساحة الشاسعة .. مصر الإسلامية ذات حجم أكبر وأوقع، وما كان لمصر الأزهر أن تؤدي هذا الدور بغير الإسلام، وبغير انتمائها العربي، وبغير وزنها الحضاري المستمد من مصريتها الضاربة في عمق التاريخ، مصر الإسلامية أرسخ قدما في العالم العربي بملايينه .. ومصر العربية الإسلامية هي أعلي شأنا من مصر الفرعونية، التي تحولت إلي شيء يطل من متاحف التاريخ مثل الهنود الحمر أو شعب المايا !!

مصر في إسلامها وعروبتها، لا تتعارض مع مصريتها ووطنيتها !!

أمور في الواقع هي جزء من مخطط تآمري مشبوه .. من قبل وصفوا السودان بأنه أفريقي وليس عربي، ووصفوا المغرب بأنه بربري، ووصفوا الشام بأنه فينيقي وليس عربي .. دعاوي هي حقول ألغام لنسخ العروبة .. وضرب الإسلام والمسلمين[1] ..

**هذه هي هوية مصر:**

**هل الأقباط هم النصارى ؟!**

أقباط جمع قبطي، وقبط معناها مصر .. قال البعض أن كلمة " قبط " مشتقة من اسم " قفطايم " أحد أولاد مصرايم بن نوح الذي أتي بأولاده إلي مصر ..وهذا الرأي أورده المقريزي، وهو موافق لما جاء بالسفر الأول من التوراة .. وقال البعض الآخر أن الأشوريين عرفوا مصر باسم " هيكوبتاح " وهو الاسم الذي كان يطلقه المصريون علي عاصمة ملكهم " منف "، ومعناه " بيت روح بتاح " ونطقه اليونان " ايجبتوس " وهي " ايجيبت " المستعملة في اللغات الأوربية، وهي مركبة من كلمتين " أي " بمعني أرض أو دار، و " جيبت " بمعني قفط، فيكون معني الكلمتين معا: أرض القبط ..أو دار القبط ..

---

(١) ارجع إلي كتابات د. جمال حمدان – شخصية مصر، وبرنارد لويس – عالم الإسلام. وتوماس أرنولد – تراث الإسلام، و جوستاف لوبون – حضارة العرب، وفهمي هويدي، في التدين المنقوص .

اشتهر نصاري مصر باسم الأقباط، والحقيقة أن هذا المسمي لا ينطبق علي نصاري مصر ... وإلا لكان نصارى أمريكا ولبنان وحتى الصين والهند من الأقباط ..وهذا طبعا ليس صحيحا..

..إذن لماذا أطلق على النصارى في مصر مسمى الأقباط.. ولماذا يحتكر النصارى فى مصر مسمى الأقباط.. مع أن أهل مصر كلهم أقباط .. سواء كانوا مسلمين أو نصارى.. بشرط أن تكون أصولهم مصرية....من هم أهل مصر الأصليون؟؟

المتعارف عليه أن مصر لم تكن عربية قبل الفتح الإسلامى بل كانت قبطية .. بدليل أن الرسائل الموجودة فى خزانات المتاحف ودور المحفوظات والمخطوطات الأثرية كانت تخاطب الحاكم بلقب مقوقس أقباط مصر..

قد يسأل سائل.. ألم تكن مصر فرعونية.. أو ألم يكن أهل مصر فراعنة ؟

الإجابه هى إن الفراعنة هم حكام مصر وملوكها من أبناء أرضها الأصليين.. أما الشعب فلم يعرف تاريخيا بأنه فرعونى.. بل كل الرسائل القديمة وأسفار كتب اليهود المقدسة تقول عنهم أقباط ومصريون.. ولم تذكر فراعنة بالمرة..وأما عن مسمى المقوقس بالنسبة للملوك الذين حكموها.. هؤلاء المقوقسون لم يكونوا إلا ولاة مصريين لامبراطورية روما ولا يستقلون بحكم مصر لأنفسهم.. فلذلك تغير مسماهم ..

كلمة " مقوقس " كلمة يونانية تعني حاكم .. اسمه الحقيقي جرجس بن مينا .. وهو مصري يوناني الأصل، من الذين استقر أجدادهم في الاسكندرية بعد انتهاء حكم البطالمة اليونانيين ..

كان المقوقس هو الحاكم الملكي من قبل روما الذي يجمع بين السلطة المدنية كحاكم مصر، والسلطة الدينية كبطريرك للكنيسة القبطية في مصر .. البعض كان يطلق عليه كبير وعظيم القبط في مصر .. وكان بالنسبة للكنيسة القبطية أحد الدخلاء علي بطارقة هذه الكنيسة العتيدة والمفروض دينيا علي أقباط مصر .. أما البطريرك الحقيقي في ذلك الوقت، فكان الأنبا " بنيامين "

وهو البطريرك رقم ٣٨ في تاريخ الكنيسة المصرية .. - وكان كبطارقة هذه المرحلة هاربا من الاضطهاد الروماني - هاربا في مكان غير معلوم من صعيد مصر مع عشرات من الأساقفة، بعيدا عن أعين جواسيس روما الذين كانوا يطالبون برأسه ..

كان المقوقس - كما ذكرت - مجرد حاكم لمصر، ولكنه كان البطريرك غير الشرعي للأقباط في مصر، فرضه هرقل أحد أباطرة الرومان ..

أهل مصر هم الاقباط أو القبط كما ورد فى بعض الروايات..سواء المسيحى أو اليهودى من أصل مصرى أو حتى الوثنى.. فكلهم اقباط..وللشعب المصرى القديم الذى عاش قبل الفتح الإسلامى خصائص وراثية تميزهم كشعب ونوع من البشر كأى نوع آخر مثلهم..

فكما أن الترك فى الصين واليابان ومنغوليا يتميزون بصفات وراثية واحدة بحكم أنهم من جنس واحد أو كما يقول المؤرخون العرب بنوا أب واحد كذلك المصريون بنوا أب واحد ولهم خصائص وراثية تميزهم عن غيرهم..

يقول الأستاذ سليم حسن فى موسوعته مصر القديمة - والتى ضمت ١٦ مجلدا عن مصر أيام حكم الفراعنة والبطالمة والرومان والفرس والهكسوس وغيرهم - : كانت للمصرين سحنات مميزة تستطيع من خلالها أن تجزم بمصرية صاحبها..

كان المصريون سمر اللون يميل سمارهم إلى السواد.. اقوياء البنية نسبيا طوال القامة غليظوا الشفاه عريضوا الأفواه.. وقد ثبت ذلك من خلال دراسة جماجم لمصريين يرجع تاريخ وفاتها لـــــ ٤٠٠٠ سنة... وكذلك من جثث الملوك المحنطة والموجودة فى المتاحف العالمية..واستدل على ذلك بنقوش المعابد الملونة والتى يرسم عليها المصريون أشخاصا سمرا أو سودا فى بعض الآحيان.. فعلام يدل هذا؟؟

أليس يدل على أن المصريين الأصليين سود اللون.. وبالتالى يتطرق سؤال إلى الآذهان.. ماالذى حدث ولماذا نرى المصريين الأن تغيرت ألوانهم

بشكل كبير فصرنا نرى بينهم من يشبه الأوروبيين فى ملامحه ، ومن يتسم بقسوة الملامح كسحنات عرب البادية..فأرجع المؤلف ذلك التغير إلى الزواج من الرومان الذين استوطنوا مصر وكذلك الفرس أيام حكمهم وكذلك البطالمة الذين اختلطوا واندمجوا مع المصريين بشدة حتى أصبحوا مع حلول الرومان على مصر مصريين قلبا وقالبا..

كل ذلك كان له التأثير الكبير على تغيرالجينات الوراثية للشعب المصرى .. وأعقب ذلك كله الفتح العربى لمصر حيث اندمج العرب بصورة أشد من البطالمة واتخذوا من مصر زوجات وأزواج وأصهار..إلا أنه لاتزال هناك طائفة تحتفظ بهذه الصفات..إنهم النوبيون فى الجنوب.. فالصفات تنطبق عليهم بشكل كبير ..وهم معروفون بعدم تزويج غير النوبيين منهم.. فحافظوا على صفاتهم الوراثية القديمة بلا تغيير.. سواء الذين أسلموا أو الذين ظلوا على دينهم القديم..إذن فالمصريون اقباط من قبل أن يتنصروا ..

**فلماذا يحتكر النصارى هذا الاسم؟؟؟!!**

الهدف من ذلك .. هو اثبات أن المسلمين غزاة محتلون .. اغتصبوا بلادهم وأرضهم.. .. المعروف أن النصارى نسبة الجمال فيهم وأصحاب البشرة البيضاء أكثر من نسبة بياض بشرة المسلمين .. هل يا ترى تغيرت صفاتهم الوراثية وحدها..لا .. بل نصارى مصر مثلهم مثل غيرهم .. أجناس وافدة إلى هذه البلاد.. لكن نصارى مصر الأصليون يعيشون فى الجنوب فى النوبة.. وهناك دليل آخر من حديث شريف ذكره الإمام ابن كثير فى البداية والنهاية فى قصة نوح ..عليه السلام فعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما.. أن رسول الله ﷺ قال: " ولد لنوح ثلاثة .. سام وحام ويافث.. فولد لسام ثلاثة العرب والفرس والروم .. وولد لحام ثلاثة القبط والبربر والحبش .. وولد ليافث ثلاثة .. الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج " .

طبعا من العرب والفرس والروم نشأ أخلاط بنى إسرائيل فهم يمتون بصلة القرابة لهذه الأجناس الثلاثة..ولكن ألم تروا كيف وضع النبى ﷺ القبط مع

باقى ذرية حام بن نوح البربر والحبش.. ستجدون أن صفاتهم متقاربة إلى حد كبير.. فالكل أسمر أو أسود .. ونصارى مصر ليسوا على هذه الأوصاف..

إذن فهم ليسوا أصحاب هذه البلاد ونحن جئناهم غزاة ومستعمرين.. بل هى كذبة من أكاذيبهم التى صدقوها وعاشوا عليها ..وهم فى الحقيقة إما سلالة رومان أو إسرائيليين وهو الغالب، أو فرس أو بطالمة يونانيون.. وكلنا هنا وافدون.. ولا حكم إلا لله العلى الكبير..ومن هذا كله ندرك أن القبط اسم جنس وليس اسم دين.. وإلا فإن جميع نصارى العالم أقباط، وأن ندرك أن كلمة قبطي تعني مصري، وأن المسلمين المصريين هم أقباط مسلمون، والنصاري المصريين هم أقباط نصاري .[1]

**مصر لم يحكمها نصراني من أهلها عبر التاريخ !!**

**في مباديء الجغرافيا السياسية ..**

كل دولة لها مقومات لا تحكمها ظروف طارئة، أو مشكلات عابرة، لأن هذه المشكلات تتشكل ببطء شديد وعلي مدي قرون طويلة متواصلة وتتدخل فيها عناصر تاريخية وجغرافية وبشرية، وكل عنصر منها غير قابل للتغيير أو التبديل علي المدي القصير، وإنما يحتاج إلي مئات أو ربما آلاف السنين لتغييره أو تبديله[2] .

هوية مصر أو انتماؤها، ليس رداء يمكن استبداله بين الحين والآخر، وإنما هو حصيلة مكونات وتفاعلات كيميائية يصعب الفصل بين عناصرها الأصلية .. والإسلام هو العنصر الفعال في تكوين الشخصية العامة للشعب المصري وشعوب الشرق الإسلامي عامة .. ولقد استغرق تأثير هذا العنصر قرون عديدة حتي أصبح أحد المقومات الأساسية لهذه المنطقة من العالم، فأكسبها طابعا اجتماعيا وثقافيا مميزا عن الطابع الذي كان سائدا قبل الإسلام ..

---

(١) سنستخدم هنا في بحثنا – مجاراة لما هو شائع – مسمي الأقباط والنصاري كمسمي واحد.. وسنستخدم كلمة قبطي بمعني نصراني مصري ..

(٢) د. جمال حمدان – شخصية مصر، جمال بدوي – الفتنة في مصر – القاهرة

عندما دخل الإسلام مصر، كانت مصر في أشد حالات تدهورها فقد كانت مستعمرة رومانية تمد روما بالغلال والضرائب، وسبق أن مر عليها نحو ألف عام وهي ترزح تحت حكم اليونان ثم الرومان .. جاء الإسلام فحرر النصرانية المصرية والعربية ومعها كنائسها ومؤسساتها ورعيتها، فأنقذها من الإبادة الرومانية المحققة ..

إذا كان الإسلام قد جاء إلي مصر من شبه الجزيرة العربية، فإن النصرانية قد وفدت إلي مصر من فلسطين !! والأقدم منهما معا في مصر هي عبادة العجل أبيس !!

إذا كانت الدولة الإسلامية قد جاءت إلي مصر مع الفتح الإسلامي، فهي قد حلت محل الدولة الرومانية الاستعمارية، التي قهرت أهل مصر ونصرانيتهم، ولم تحل " الدولة الإسلامية " محل دولة نصرانية مصرية .. فليس في النصرانية " دولة " ومصر لم يحكمها نصراني من أهلها عبر التاريخ .. وإنما ظلت النصرانية المصرية عقيدة مطاردة وهاربة حتي جاء الإسلام ودولته فأمنت لأول مرة في تاريخها !!

وإذا كانت العربية قد وفدت إلي مصر مع الفتح الإسلامي، فلقد حلت باختيار أهلها محل اللغة التي قهرها الاستعمار الروماني حتي كتبت بالحروف اليونانية !!

وإذا كانت الشريعة الإسلامية قد وفدت إلي مصر قبل أربعة عشر قرنا، فلقد حلت محل القانون الروماني، قانون الدولة الغازية المستعمرة .. قانون جستنيان ٥٢٧-٥٦٥م الذي أحرق في الإسكندرية وحدها في ليلة واحدة ٢٠٠٠٠٠ من نصاري مصر ...بينما هرب الناجون من الحرق إلي الصحراء !! ولم تحل الشريعة الإسلامية محل قانون مصري، فليس في النصرانية قانون للدولة والمدنية والاجتماع .. وفقه الشافعي المصري ١٥٠-٢٠٤هـ أولي بمصر من فقه نابليون ..!!!

**تحول المصريين إلي الإسلام ..**

صار الأقباط أقلية دينية، لا أقلية لغوية كما نجد عند أكراد العراق أو بربر الجزائر، لأنهم أصبحوا يتكلمون العربية ..كانت استجابتهم إلي العربية أسرع وأكثف من استجابتهم للإسلام

المصري .. مسلما كان أو قبطيا يتكلم العربية ويستمد منها ثقافته وحضارته، وينظر إلي العربية علي أنها المنبع الذي يستقي منه مكوناته العقلية والوجدانية والخلقية ..

وكما يري في العربية لغة القرآن .. يري فيها الوشيجة التي تربطه بمن يتكلم لغته في الشام، واليمن، والمغرب، والحجاز .. ألخ .

يري أن ثقافة العرب ودين الإسلام صهراه في سبيكة واحدة مع بقية الشعوب التي تتكلم نفس اللغة وتعتنق نفس الدين، وجعلت من هذا التجمع البشري كتلة واحدة اسمها أمة العرب .. لم ينظر إلي العربية نظرة عرقية لأنه يعلم أن الإسلام يأباها فلا سيادة لجنس أو لون أو عرق، وإنما السيادة للعمل الصالح، وهو يأباها لأنه يعلم أنه لا يوجد جنس يزعم لنفسه صفة النقاء ..

المصري يأنف أن ينقب في عروقه عن كمية ونوعية الدماء التي اختلطت فيه ..

حرر الإسلام النصرانية المصرية والنصرانية العربية، فوضع عنهم الأغلال التي كبلتهم وقهرت ثقافتهم ولغتهم وعقيدتهم وحضارتهم لعدة قرون قرابة الألف عام من فتح الإسكندر الأكبر ٣٥٦-٤٢٤ق.م. في القرن الرابع قبل الميلاد، إلي القرن السابع للميلاد ..

**هل جد جديد يسمح بتغيير شخصية مصر وهويتها ؟؟!!**

**التاريخ خير شاهد !!**

عندما كانت مصر في عصور قوتها كانت تتطلع دائما إلي جيرانها، وتمد أيديها لهم، وتكون مع سوريا الشام بالذات محور ارتكاز يدفع عن العالم

الإسلامي غارات الزحف القادمة من بطن آسيا، أو الغزو البحري عبر المتوسط من سواحل أوروبا، وكل حكام مصر الأقوياء فطنوا إلي هذه الحقيقة الاستراتيجية التي تخضع لعوامل الجغرافية السياسية، فحرصوا علي أن يتوحد الشام ومصر تحت حكومة مركزية قوية حتي لو تطلب الأمر اقتطاع الشام من الدويلات الإسلامية التي دب فيها الضعف والخور بعد انهيار سلطة الخلفاء العباسيين ..

ومنذ أحمد بن طولون، وعلي مدار الحكم الإخشيدي والفاطمي، كانت مصر والشام تعيشان تحت إدارة مركزية واحدة باستثناء فترات الضعف التي كانت تواكب شيخوخة الدولة الحاكمة ..

وليس صدفة أنه عندما وطأت أقدام الصليبيين بيت المقدس عام ١٠٩٩م كان الانفصال قائما بين مصر وسوريا، وبقي بيت المقدس تسعين عاما تحت حكم الصليبيين إلي أن حرره صلاح الدين بعد توحيده الشام ومصر ..

ثم كانت الحملات الصليبية تتري انتقاما من حطين، لتحطيم القوة العسكرية المصرية التي أرسي أسسها صلاح الدين وازدهرت علي أيدي خلفائه، فعبر لويس التاسع البحر المتوسط من قبرص إلي دمياط ثم المنصورة، رغم أن دمياط لم تكن قبر المسيح، ولم تكن المنصورة تحوي كنيسة القيامة، وهي الأهداف التي زعموا أنهم هبوا لتحريرها من أيدي المسلمين ..

ولكن الحملة ضاعت في أرض الدلتا الاسفنجية، بعد أن غمرها فيضان النيل ولقي الفرنسيون هزيمة نكراء في المنصورة، وظل مليكهم في الأسر حتي افتدته زوجته ..

واستمرت عملية مطاردة الصليبيين علي أيدي المماليك في فلسطين، حتي تم اقتلاع آخر حصونهم - عكا - علي أيدي الأشرف خليل بن السلطان قلاوون ..

هذا في الوقت الذي كان بطن آسيا يلفظ حمما من الجحيم ، تمثلت في قبائل المغول والتتار الذين خرجوا يهلكون الحرث والنسل، وليس لهم من هدف

سوي تدمير الحضارة الإسلامية والقضاء علي من يحمل شهادة التوحيد .. فدمروا بغداد وأسقطوا الخلافة العباسية ، وتقدموا نحو حلب وأداروا عيونهم جنوبا نحو مصر المحطة النهائية .. كان ذلك بعد ستة أعوام فقط من واقعة المنصورة ١٢٥٠م .. أدرك حكام مصر فداحة الكارثة التي ستحيق بالإسلام فيما لو سقط خط الدفاع الأخير – مصر – أمام المغول .. وكانت المعركة الفاصلة، في عين جالوت علي أرض فلسطين وكان النصر حليف مصر المملوكية الإسلامية، ولقي المغول أول انكسار لهم منذ خروجهم كالإعصار المدمر .. ولم يكتف المماليك بذلك بل طاردوا فلولهم حتي مشارف الفرات ..

**يقول د. جمال حمدان رحمه الله:**

في كل هذه الأدوار، لم تنظر مصر إلي شكل الحاكم الذي كان يتولي أمرها، ولم تنظر إلي عرقه ولا جنسه، لا يهمها أن يكون تركيا، أو عربيا، أو كرديا، ولكن الأهم أن يفهم شخصيتها الاستراتيجية وثقلها المحوري في المنطقة، وأن يضعها في بداية الطريق كي تؤدي دورها التاريخي في حماية دار الإسلام من عبث المغيرين ..

**لماذا التشكيك في عروبة مصر ؟؟!! لماذا الهمز والطعن ؟؟**

في أعقاب ثورة ١٩١٩م تنادي نفر بالفرعونية، ورغم أن دعاتها كانوا في صدارة كتاب العربية، وأعرفهم بالتاريخ الإسلامي، ورغم أنها كانت دعوة ثقافية تحاول كشف جانب من التاريخ المصري القديم بعد اكتشاف مقبرة توت عنخ أمون، إلا أن هذه الدعوة قوبلت بنفور وصدود من جانب الرأي العام المصري الذي يشعر بريبة نحو أي دعوة تمس واقعه المعاصر الذي يتخذ من العربية لغة والإسلام دينا، والذي مضي عليه نحو أربعة عشر قرنا كانت كافية للفصل بينه وبين هذا الماضي السحيق ..

حين دخل الإسلام مصر، لم يكن المصريون يتكلمون لغتهم القديمة بعد أن ضاعت مفاتيح الكتابة الهيروغليفية والديموطيقية، وكانوا قد تحولوا إلي اللغة اليونانية لسهولة حروفها، ومن ثم أصبحت تعرف باسم اللغة القبطية، وعلي مدي

العصر البطلمي والروماني والبيزنطي، وهي فترة تشغل عشرة قرون، كانت الصلة قد انقطعت بين المصري وتراثه الفرعوني القديم، وحدث انفصال أو انفصام تام بين مصر المسيحية ومصر الوثنية، حتي استغلق أمر النقوش المصرية القديمة علي العالم طوال خمسة عشر قرنا، وبقي هذا السر مغلقا حتي اكتشفه شامبليون عندما استطاع فك رموز حجر رشيد في أوائل القرن التاسع عشر..وحين اعتنق المصريون الإسلام لم يحتفظوا بلغتهم القبطية، ولا حتي بجنسهم تمام الاحتفاظ، فيما عدا القلة التي تمسكت بالمسيحية، وجاهدت في الإبقاء علي لغتها حية حتي قرون متأخرة، ولكن هذه اللغة انتهت بعد القرن السادس عشر أو السابع عشر إلي أن تكون لغة الطقوس فحسب، بل ألت إلا أن تكتب بالعربية وبحروف عربية وتعلمها من يحرص علي تعلمها في كتب مؤلفة بالعربية ..

انتشرت اللغة العربية جنبا إلي جنب مع انتشار الإسلام، وقد ساعد علي هذا الانتشار أن المصريين – في ذلك الحين – لم تكن لهم لغة واحدة يتفاهمون بها في كل مكان، فقد كانت اللغة القبطية في دور التكوين .. وكان حالها كحال اللغات الأوربية في طور تكوينها الأول خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين حيث كانت هذه اللغات – التي نعرفها اليوم – مجرد بقايا لهجات لاتينية تعرف بلاتينية العصور المتأخرة " لا نحو لها ولا ضوابط " ثم بدأت تنشأ منها لهجات في النواحي ..ثم أخذت هذه اللهجات تتقارب حتي نشأت اللغة المحلية سواء كانت فرنسية أو أسبانية أو جرمانية .. وهكذا كان الحال مع اللغة القبطية .. فلم تكن لها صورة ثابتة في الشارع المصري، اللهم في بعض الكنائس، وفيما كتبه بعض قساوستها .. ثم إنها حتي في هذه الدوائر القليلة تأثرت تأثرا كبيرا بلغة المصريين الأم – اللغة الهيروغليفية – ثم اللغة الإغريقية .. وكانت الوثائق الرسمية قبل الفتح الإسلامي مباشرة تكتب باللغة الإغريقية .. بينما كانت لغة الحكام الرومان هي اللغة اللاتينية ..

كانت اللغة العربية لغة العرب الفاتحين .. ولغة الدين الإسلامي .. لغة القرآن ولغة الحكام الجدد .. فلا غرابة في أنها غلبت غيرها دون مشقة، وأخذت تغلب علي ألسنة أهل الوادي .. لم تحل اللغة العربية مرة واحدة، ولكنها تمت في عملية تدريجية

علي مر السنين .. ساعد علي سرعة انتشارها انتشار الدين الإسلامي في مصر، وقرار الخليفة عبد الملك بن مروان سنة ٨٧هـ ـ ٧٠٦م بتعريب الدواوين في الأمصار الإسلامية .. شجع ذلك الأقباط ممن كانوا يتولون الوظائف علي الدخول في الإسلام وتعلم اللغة العربية، حتي يحتفظوا بوظائفهم المرموقة ..

أدي انتشار الإسلام وتحول معظم المصريين إليه، وحاجتهم إلي الإلمام بأصول دينهم الجديد وأداء فرائضه، إلي انتشار اللغة العربية،إذ اضطرد ذلك سلبا وإيجابا بانتشاره، فكان أسرع وقعا في المناطق التي دخلت الإسلام، وأبطأ في المناطق النائية التي تأخر إسلامها ..

إلي جانب ذلك كانت اللغة العربية هي لغة الحكام مما جعل كثيرا من القبط حتي قبل إسلامهم يقبلون علي دراستها لنيل الحظوة والصدارة في المجتمع والتقرب إلي الحكام وشغل الوظائف الهامة، ولا سيما بعد أن حلت اللغة العربية محل اللغتين اليونانية والقبطية في الدواوين والمكاتبات الرسمية سنة ٨٧هـ ـ ٧٠٦م وحلول المسلمين تدريجيا محل الأقباط في الوظائف العامة ..

وفي نفس الوقت كان نزول العرب الوافدين إلي الريف المصري واختلاطهم بالمصريين في المعيشة والمعاملات والتزاوج من أسباب انتشار اللغة العربية أيضا .. ويري د. أحمد مختار عمر في – تاريخ اللغة العربية في مصر – أن حلول العربية محل القبطية وانتصارها النهائي عليها، كان وفقا للترتيب الزمني التالي:

خلال القرن الثاني الهجري – الثامن الميلادي – أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة التي تكتب بها الوثائق والمكاتبات الرسمية ..

وفي القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي – أصبحت اللغة العربية هي لغة العلم والثقافة لكل المصريين علي السواء مسلمين وأقباط، وأصبح رجال الدين الأقباط يستخدمونها في مراسمهم وكتاباتهم الدينية بل ويشرحون بها قواعد اللغة القبطية والدين المسيحي ..

وفي القرن الخامس الهجري أصبحت اللغة العربية لغة التخاطب العامة

لكل المصريين علي السواء، وأصبح رجال الدين الأقباط يعظون بها كي يفهمهم سامعوهم ..

وكان ذلك دليل علي أن اللغة العربية قد أصبحت لغة الناس، أقباطا وغير أقباط ..

وربما تأخرت غلبة العامية العربية علي القبطية عن ذلك قليلا أو كثيرا في بعض الأماكن النائية في الصعيد، ولكن هذا التأخر لا يتجاوز قرنا أو قرنين.

وهكذا اكتسبت مصر قوميتها العربية مع احتفاظها بكل خصائصها الذاتية الأخري ..

لقد انتصرت اللغة العربية علي اللغة القبطية انتصارا ساحقا، وانتصرت علي اللغات الأجنبية الأخري التي كانت مستخدمة في مصر كاليونانية والسريانية، لأنها كانت أكثر نضجا من كل اللغات القديمة المعاصرة لها، وقد وصل بها القرآن الكريم قمة التطور الذي بدأته خلال عشرات القرون من الجاهلية بينما كانت معظم اللغات الأخري قد تدهورت .. مما جعل اللغة العربية تبرز كلغة للحضارة العالمية .. كانت اللغة العربية في أوج قوتها وتألقها، واللغة القبطية في منحدر أفولها وتدهورها عندما ارتطما في مصر، واستمرالصراع بينهما زهاء أربعة قرون إلي أن انتهي بانتصار اللغة العربية انتصارا ساحقا ..

تمت هذه العملية في مصر دون ضغط أو إكراه، أو لسياسة خاصة بالدولة الإسلامية ..

اختلط المصريون المسلمون بالعرب وبغير العرب من المسلمين الذين توافدوا علي مصر في مختلف العصور واستقروا فيها، والحقيقة الواقعة التي رددها المؤرخون تدل علي انفصام تام بين مصر الإسلامية وما سبقها، فالمصري المسلم ينظر إلي الإسلام كأساس لحضارته، ويعتبر العصور السابقة علي الإسلام كأنها تاريخ شعب آخر انتهي أمره، والمصري غير المسلم يعتبر اللغة العربية وما تحمله من ثقافة كأساس لحضارته ..

تشربت مصر الروح العربية حتي النخاع، وكأنها كانت عطشي إلي هذه الحضارة الجديدة، صالحة التربة لامتصاصها فحذت بذلك حذو الشام والعراق حيث كانت سلالات الاشوريين والسريان والآراميين يشعرون بأن الفاتحين العرب قوم من بني جنسهم، أنقذوهم من عبودية البيزنطيين والفرس .. حدث كل هذا في الوقت الذي لم تستطع ألف سنة من السيطرة اليونانية الرومانية المصحوبة بانتشار الثقافة الهللينية والدين المسيحي " رومنة " مصر .. نجد أن الفتح العربي استطاع في فترة وجيزة أن يعرب مصر قلبا وقالبا ..

لقد تتابع علي مصر حكام أجانب علي امتداد تاريخها الطويل من هكسوس، وأشوريين، وفارسيين ويونانيين، ورومان، دون أن يتمكن أحد منهم من فرض لغتهم وإحلالهم محل اللغة القبطية .. وجاءت اللغة العربية لترسخ محلها رسوخ الجبال ..

ولذلك يعلن المؤرخ البريطاني توينبي في وضوح أن الحضارة الفرعونية قد ماتت من قديم، وأنه من العبث البحث عن الحضارة الفرعونية في كيان مصر الحديثة، ويؤيد الدكتور جمال حمدان هذا الرأي، فيقول أن هذا صحيح وبالتأكيد في الجوانب اللامادية وكثير من النواحي الحضارية المادية ..

اليوم لم تعد مصر الفرعونية إلا مكدسة في المتاحف، بعد أن انقرضت كما انقرضت التماسيح من النيل .: وياليت أقباط مصر يعلمون !!

**واقع الأمة المسلمة:**

تأملت واقع الأمة الإسلامية، فوجدتها تعيش أبهي عصور انحطاطها، وأجمل صور تدهورها، ولست أدري ما إذا كان تاريخ هذه الأمة، يحفظ فترة أقسي وأمر مما وصلنا إليه .. دمنا نازف، وأرضنا محتلة، وأعراضنا منتهكة، وأموالنا مسلوبة، كرامتنا تحت النعال، وسمعتنا مشوهة، واقتصادنا مدمر، وريحنا راكدة، وشملنا ممزق.. !!أما ديننا فإنه يصرخ ﴿ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴾ (القمر:١٠) .. لقد أمرنا الله تعالي بالاجتماع فتفرقنا، وضربنا بقول الله ﷻ: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾(آل عمران:١٠٣). عرض الحائط !!..

## إبراز حقائق التاريخ

حرصي علي إبراز حقائق التاريخ، وثوابت العقيدة عبر العصور، بيانا للباطل وتحذيرا منه، ونصرة للحق ودعوة إليه، ولمواجهة حملات تزييف الوعي وتغييب الذاكرة، التي روجتها وتروجها طائفة من المغالطين سيء النية، الذين يسعون لتشويه الهوية، وهل هناك شيء بالنسبة للباحث عن الحقيقة له قيمة أكثر من الحقيقة نفسها؟؟!!

## المصطلحات الوافدة

مصطلحات جديدة وافدة، ما كنا نسمع عنها من قبل ..الوحدة الوطنية ..أمريكا والحماية الوافدة .. وفود تقصي الحقائق .. وفد الكنائس العالمي ... وفد كنائس مدينة نيويورك .. زيارة المسؤول عن النشاط الديني في مناطق الشرق الأوسط مبعوثا من الكونجرس .. كلام عن اضطهاد المسيحيين في الدول الإسلامية، وأقباط مصر في مقدمتها بطبيعة الحال .. عرض صور لمعاناة المسيحيين الذين يزعمون أنهم يتعرضون للإبادة والتطهير العرقي، وما لا حصر له من أشكال الاضطهاد والتمييز .. كلام عن مؤامرة إسلامية تهدف إلي التطهير العرقي للأقباط في مصر .. وتقرير لمجلس الأمن لمناقشة المذابح التي يتعرض لها الأقباط المصريون، وإيفاد مندوبين عن الأمم المتحدة للتحقيق .. والمطالبة بنشر قوات للمارينز الأمريكية في صعيد مصر لحماية القري القبطية، قياسا علي التدخل الأمريكي في البوسنة ..الخ !!. حملات تشويه مسمومة مسيئة إلي مصر .. ونسمع أصواتا متعالية، تتهم الإسلام والمسلمين، بانتهاك حقوق الإنسان خاصة مع غير المسلمين، دون أدلة ولا براهين !!

## ثقة البعض بالغرب الصليبي ودوله المهودة

أولئك الذين يظاهرون الدول الغربية المهودة، عن جهل في كنه نواياها، اعتقادا منهم بأنها دول لا تبغي للإنسانية سوي الخير والحرية !! وأولئك الذين أسدلت علي أعينهم الغشاوة، فصاروا لا يبصرون حقائق التاريخ، التي كان اليهود أبطالها عبر القرون في كل زمان ومكان .. أولئك الذين كانوا ..

ومازالوا نهبا للدعايات المضللة والأفكار الخاطئة !! ..

أصحاب العقول من ربعي وأبناء قومي، الذين يثقون بالغرب الصليبي ودوله المهودة، كي يطهروا صفوفهم من العملاء والانهزاميين، ويشمروا عن ساعد الجد لإرغام التاريخ علي أن يعيد نفسه، ويطهروا أرضهم من رجس اليهود، ونعيد للعالم ثقته بأمتنا المجيدة ..

لقد لعب بالوحدة الوطنية الصليبيون والتتار وفرنسا لويس التاسع ١٢١٤-١٢٧٠هـ، وبونابارت ١٧٩٦-١٨٢١م من مصر إلي المغرب وحتي بغداد والشام، وكذلك فعل الإنجليز وروسيا القيصرية .. وتفعل أمريكا والصهيونية اليوم !!

المشروع الغربي لا رابطة بينه وبين المسيحية الشرقية ومنها الأرثوذكسية المصرية – التي هي جزء من نسيجنا الوطني والقومي والحضاري والثقافي والقيمي – مسيحية الغرب لا تعترف بمسيحيتها، والغرب الاستعماري يتخذها ورقة يلعب بها في معركته ضد الاستقلال الحضاري للشرق .. المسيحية الشرقية والإسلام في خندق وطني وقومي وحضاري واحد تجاه المشروع الغربي الامبريالي الصهيوني ..

إن العدو كما أثبت التاريخ قديما وحديثا وفي كل عصر لا يؤمن شره وكيده، أو مكره وخبثه، فهو فاسد العقيدة والنية أو الطوية، ولا يضمر لنا إلا السوء، ونحن نكون أغرارا أو جهالا إذا اطمأننا إليه، أو اتخذناه مستشارا، أو ائتمناه علي أسرارنا، فهو متهم في كل شيئ بسبب كفره وضلاله، لا يقصر في خداعنا وتوريطنا، والإساءة إلينا وإيذائنا، ويقدم مصالحه علي مصلحتنا .. حذرنا القرآن الكريم من شروره وخداعه، حتي لو أظهر المودة والمحبة، والميل لنا، فإنه يضمر من وراء ذلك الكيد والشر .. هذا طبعه، ودلت التجارب علي مصداقية هذا الطبع، وما أكثر الآيات الواردة في قرآننا الكريم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(المائدة:٥١) ..

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ .. ﴾(الممتحنة:١) .

تلك الطائفة التي تسعي لتكريس التجزئة والتخلف.. أولئك الذين ضعفت فيهم عاطفة الانتماء للدين والوطن، الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف.. أولئك الذين برئت قلوبهم من حبه والوفاء له!!

يقول ميشيل عفلق ١٣٢٨- ١٤٠٩هـ : " إن المسيحيين العرب عندما تستيقظ فيهم قوميتهم سوف يعرفون أن الإسلام هو لهم ثقافة قومية يجب أن يتشبعوا بها ويحرصوا عليها حرصهم علي أثمن شيء في عروبتهم . فلا يوجد عربي غير مسلم ! فالإسلام هو تاريخنا وهو بطولاتنا وهو لغتنا وفلسفتنا ونظرتنا إلي الكون ..

إنه الثقافة القومية الموحدة للعرب علي اختلاف أديانهم ومذاهبهم .. وبهذا المعني لا يوجد عربي غير مسلم، إذا كان هذا العربي صادق العروبة، وإذا كان متجردا من الأهواء .. ولئن كان عجبي شديدا للمسلم الذي لا يحب العرب، فعجبي أشد للعربي الذي لا يحب الإسلام "

**يـا أمـة الإنجـيل آمـنا بـه — مـا بالنبـي ولا المسيح جحود**
**الدنـيا فـي أمـر ونهي واحد — والله جـل جلالـه المعـبود**
**درج الـزمان علي المودة بيننا — وأراه يـنقص والإخـاء يـزيد**
**الأمـر مـشترك ومصر لنا معا — فـي العالمـين مـنازل ولحود**

**حافظ إبراهيم**

**ما يجري علي الساحة .. من جيران الوطن !!**

أولئك الذين باتوا فريسة لأعداء الوطن المحركين لهم .. أولئك الذين يقضون علي حياتهم وسعادتهم بعبثهم وجنونهم من أقباط الداخل وأقباط المهجرأعماهم التعصب عن إدراك المصالح العليا للوطن والأمة، أو ارتبطت مصالحهم بجهات يهمها تشويه سمعة مصر بمزاعم يتوهمونها لا أساس لها .. !! كلام عن اضطهاد للأقباط وتحيز للسلطة لصالح المسلمين .. كلام عن اضطهاد

ليس إلا وهما كبيرا، أو افتراء لا أساس له ولا دليل عليه .. كلام عن عدد الأقباط في الحكومة وبين المحافظين ورؤساء الجامعات ومرشحي الحزب الوطني لانتخابات مجلس الشعب .. معلومات وبيانات كاذبة يروج لها أقباط المهجر بهدف استثارة الأقباط وتهييج مشاعرهم، وتحريضهم وتعميق الوقيعة بينهم وبين المسلمين، والكيد والتشهير بمصر لمحاولة تركيعها .. دور تخريبي لمراكز وجمعيات ممولة من الخارج كرست نفسها لرسالة تعميق مشاعر وثقافة البغض والكراهية .. نذروا أنفسهم للتهييج والتحريض ودغدغة مشاعر الأقباط !!

**وهل أقباط مصر حقا مضطهدون ؟؟!!**

الحقيقة إن ما يجري علي الساحة ليس بين أتباع محمد ﷺ، وأتباع عيسي عليه السلام، وإنما هو بين أنصار الله ، وبين أنصار بوش الثاني، وبلير الناسك .. بين حزب الله، وبين حزب المخابرات المركزية الأمريكية والموساد.. أعداء الله والوطن!! إن ما يحدث بين الحين والحين من جيران الوطن، من شعور بالظلم والحرمان، ما ذلك إلا وهما ينطوي تحته خطر داهم تحركه أصابع الأعداء لتقتل ما تبقي من خير في النفوس ..

الخير كل الخير لهما إن اتحدا وتماسكا، أما إن تفرقا فسوف يسيئان إلي النفس والدين والوطن .. والغريب أن نفر من الأقباط في مصر يزعمون بأنهم أصحاب الأرض التي سلبت بالغزو الإسلامي، وأنه سيرحل قريبا، كما رحل العرب المسلمون من أسبانيا !!

الحديث عن اضطهاد الأقباط في مصر وهم .. ومن لا يعرف معني الكلمة فعليه أن يعود إلي التاريخ والاضطهادات، التي تعرض لها الأقباط علي أيدي الفرس والروم عندما غزوا مصر !!

لقد استظل المصريون بالإسلام عقيدة، وبعد مضي أربعة عشر قرنا من الزمان، صار أيضا حضارة وثقافة، وكان علي مدار التاريخ وعاء ومظلة لأصحاب الديانات السماوية، بل وأصحاب الملل التي تعد وثنية كالمجوس، والزرادشت، والبوذيين والهندوس، وفي مقدمتهم النصاري واليهود ..

إن أي قراءة منصفة للتاريخ، وبأمانة وبغير ابتسار أو تحيز، تقول أن الإسلام حمي كل العقائد والديانات السماوية وغير السماوية في البلاد التي وصل إليها، وبسبب ذلك قدر لهذه الديانات أن تستمر وتزدهر طوال القرون الماضية، وكان بوسع الدولة الإسلامية أن تفعل ما فعلته الأنظمة التي تزعم أنها مسيحية في أوروبا حيث اجتثت جذور الإسلام من القارة، من الأندلس،وجنوب فرنسا، وإيطاليا وصقلية، مستخدمة في ذلك أسلحة الطرد والتنصير القسري ..

كما تدلنا القراءة علي أن غير المسلمين، ظلوا طوال عهود الدولة الإسلامية مواطنين لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وكتب التاريخ حافلة بآلاف الصفحات، التي ترصد كيفية ممارسة غير المسلمين لحقوق المواطنة في دار الإسلام ..

في ظل الإسلام ظلت اللغة القبطية تتداول في مصر طوال ٣٥٠عاما بعد الفتح علي ما يقول " آدم ميتز " المحقق الألماني، وقد شهد الإنجليز أيام احتلالهم لمصر بأن أقباط مصر لا يختلطون بالأجانب مثل المسلمين، وأن نساءهم محجبات أيضا، وأنه من المتعذر التفرقة بين الأقباط والمسلمين في المدن والريف، وأن الجميع يتعاونون في بناء المساجد والكنائس، وأن المسلمين كانوا يتعلمون في المدارس القبطية والأقباط كانوا يتعلمون في مدارس الأوقاف، ومنهم من التحق بالأزهر الشريف لدراسة العلوم المنطقية واللغوية والشرعية ..

**كذبة الخط " الهَمَايوني "**

إن كذبة " الخط الهمايوني " لا بد أن تنتهي، وأن يتحمل نصارى مصر عبأها في شجاعة، وأن يشرحوا لأبنائهم ــ بكل الوسائل التعليمية والإعلامية ــ أن هذا الخط الذي حدده الباب العالي في الدولة العثمانية، التي كانت تحكم البلاد، إنما اتخذه السلطان المسلم بناءً على طلب من الكنيسة الأرثوذكسية المصرية، وبعد إلحاح شديد من نصارى مصر وبعد وساطات لوجهاء الأمة من النصارى والمسلمين حتى يستجيب، ويُصدر أوامره بعدم السماح لأي جهة ــ أياً ما كانت ــ بإصلاح أو ترميم أو بناء كنيسة جديدة إلا بعد الرجوع إلى الباب العالي !

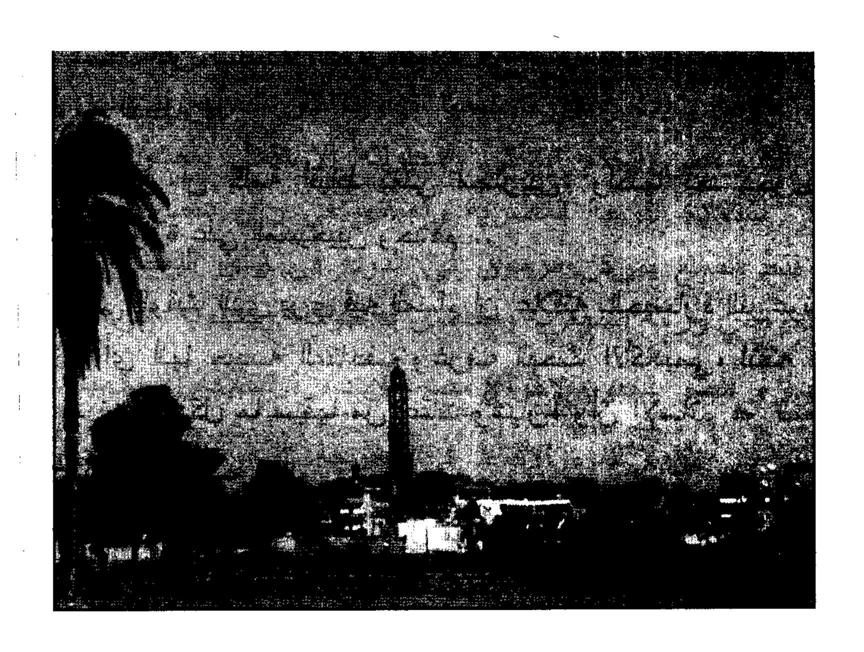
وقد فرحت وانشرحت قلوب نصارى مصر بهذا القرار الذي جاء استجابة لإلحاحهم لمواجهة الزحف الكاثوليكي والبروتستانتي، الذي جاء إلى مصر كالوحش الكاسر ينهش لحم الكنيسة المصرية بما يملك من أموال وإمكانات لم تكن متوفرة للكنيسة المصرية،وكذلك حماية للأرثوذكس المصريين من جهود الكَثْلَكَة " نسبة إلى الكاثوليكية " والأنجلة " نسبة إلى الإنجيليين "، التي مارستها الإرساليات الأجنبية في شعب النصارى، واستطاعت أن تجذب إليها الآلاف من نصارى الأرثوذكس المصريين •

ثم إضافة إلى هذه الحقيقة المهمة ــ التي يجب أن تتولى الكنيسة المصرية تبرئة السلطان العثماني منها ــ على الكنيسة أيضاً أن تعلن براءة العقيدة الإسلامية من هذا القرار، أو استمراره حتى يومنا هذا على الورق، أو على الواقع المعاش •

وأن كل مَن يسيء إلى السلطان العثماني ــ في إصدار أمره الهمايوني أي " السلطاني " ــ إنما هو كاذب ومَدَّعٍ ومدلّس، وغير قادر على مواجهة الحقيقة، أو أنه يجهلها، وأن الأمر الهمايوني قد أصدره السلطان بعد توسلات ورجاء بابا الكنيسة ورهبانها وقِسّيسيها وشمّاسيها وخدامها وحراس أبوابها، بعدما هجمت الإرساليات الكنسية الكاثوليكية الرومانية والبروتستانتية الفرنسية والإنجليزية والألمانية والأمريكية على بلاد المسلمين تحت مظلة الحملات الصليبية أحياناً، وبمصاحبة قوات الاحتلال الغربي أحياناً اخرى، ثم من خلال الغزو الثقافي والفكري لبعض العقول في بلاد المسلمين، إلا أن هذه الجهود لم تحقق أهدافها في المسلمين، ولم تؤثر في عقيدتهم أو لغتهم أو عاداتهم أو تقاليدهم، بالقدر الذي أساءت فيه للكنيسة الشرقية، وأذلت أعناق أتباعها، وأثارت بينها الانشقاقات والعداوات والخصومات، وحطّت قدر النصارى في عيون المسلمين المشاركين لهم في الأوطان، كما أصابت هذه الكنائس بالضعف والوهن، ومزيد من التشرذم والانغلاق، حماية للذات، وحفاظاً على البقاء، فلم تجد الكنيسة المصرية مفراً من تقديم طلبها إلى الباب العالي ــ سلطان البلاد ــ بأن يضع خطاً يوقف زحف الصليبيين الغاشم، ولو كانوا طلبوا منه ــ قبل أن

يُسقط عرشه ـ أن يلغي هذا الخط لفعل، لكن ذلك لم يحدث أبداً ؛ لأن نصارى مصر الأرثوذكس مازال مسلطاً عليهم سيف الكثلكة والأنجلة حتى يومنا هذا، ولعل تجربة الأب دانيال البراموسي مازالت ماثلة أمام أعين الكنيسة الأرثوذكسية بعدما انشق الرجل عليها، وذهب إلى الإنجيليين، بصحبته عشرة آلاف من أتباعه الذين كانوا بالأمس ـ فقط ـ من أتباع الكنيسة المصرية المرقسية !٠

وعلى الرغم من ذلك فإن هذا القانون ـ الذي يمنع ترميم دورة مياه بغير إذن رئيس الجمهورية - سابقاً - ومجالس المدن والقرى - حالياً ـ هو القانون نفسه الذي تحت ظله تم تجديد جميع كنائس وأديرة مصر ـ خلال عهد الرئيس حسني مبارك بطرق غير مشروعة، ولدى الكاتب صور فوتوغرافية لعشرات من هذه الكنائس قبل التجديد وبعد التجديد إن أراد صاحب شأن برهاناً ٠



( صورة لكنيسة تم تجديدها بإحدي قري وسط الدلتا - قرية بهناي مركز الباجور بمحافظة المنوفية - تحكي من يضطهد من ؟! )

## التطرف القبطي والنزعة العنصرية ( هذه هي الجذور ):

يري مفكروا أقباط مصر أن دور مصر الحضاري، هو استمرار لوجودها القديم منذ الفراعنة بصرف النظر عن الديانات التي تعاقبت عليها ... ناسين أن مصر تستمد مقوماتها الفكرية والحضارية والوجدانية من الإسلام وتراث الإسلام، وأن انتماء مصر الطبيعي هو الجامعة الإسلامية التي تضم كل الشعوب الإسلامية بصرف النظر عن انتماءاتها العرقية أو القومية أو اللسانية انطلاقا من النص القرآني ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾(الحجرات:١٠) .

هم يرون أنهم البقية الباقية من سلالة المصريين القدماء، وأنهم الورثة الأوفياء لحضارة مصر القديمة، وأنهم لم يختلطوا بغيرهم من الأجناس التي وفدت علي مصر مثلما حدث لإخوانهم الذين تحولوا عن المسيحية إلي الإسلام .. لذا فعليهم يقع عبء إحياء هذه الحضارة في الفن والأدب وأساليب الحياة اليومية، فضلا عن استخدام اللغة القبطية في المعاملات اليومية .. وليس فقط في الطقوس الدينية !!

هم يرون أن كلمة أقباط تعني مصريين، ولكنها بعد دخول الإسلام أصبحت مقصورة علي المسيحيين وحدهم ..

هذا في الوقت الذي يري فيه المسلم أن علاقته بالحضارة الفرعونية علاقة متحفية .. أي أنها حبيسة المتاحف وغرف البحث الأكاديمي، لثقته أن عقيدة الإسلام قد نسخت كل ما سبقها من عقائد وأديان، وأن الإسلام هو المعين الذي يستمد منه حضارته .

يقول ذكي شنودة في الجزء الأول من موسوعة " تاريخ الأقباط " أن الأقباط احتفظوا بمميزات الجنس المصري القديم حتي اليوم إذ كان اختلاطهم بالأجناس المختلفة التي نزحت إلي مصر قليلا إلي درجة لم تؤثر عليهم، وبذلك يمكن القول أن أقباط اليوم هم من ناحية الجنس، سلالة مباشرة لقدماء المصريين(١) ..

---

(١) تاريخ الأقباط ج ١

أما الدكتورة سميرة بحر وهي كاتبة قبطية فتقون: " إن شعور المصري بالانتماء إلي الأرض هو من الرسوخ والعمق بحيث يتجاوز انتماءه إلي دين من الأديان، ومن ثم يفخر الأقباط بأنهم استطاعوا الحفاظ علي كيانهم الحضاري المستقل بالرغم من الطوفان الإسلامي الذي أحاط بهم .. "

وفي ذلك يقول د. زاهر رياض الأستاذ بمعهد الدراسات القبطية في كتابه " المسيحيون والقومية المصرية ":

" شيء آخر يجب أن يفخر به أقباط مصر، أنهم في وسط هذا الخضم من القومية الإسلامية، لم يكن هناك من دليل واحد علي بقاء القومية المصرية الحية سوي هؤلاء الأقباط الذين احتفظوا بأسمائهم القبطية دليلا علي مصريتهم، بل حرصوا علي أن يعطوا أولادهم هذه الأسماء المميزة، ليميزوا أنفسهم كمصريين في وسط هذا البحر الذي لم يكن يعرف فيه المصري من غيره من رعايا الدولة، فكانوا مثلا حيا للقومية المصرية، حتي إذا رأوا بوادر أمل في إحياء هذه القومية لم يكونوا يترددون في تشجيعها .. وإذا كان التاريخ قد سجل لنا ثورة علي بك الكبير،علي الحكم التركي ومحاولته الاستقلال بمصر عن السلطان وسعيه في استعادة القومية المصرية وإحيائها في رأي بعض المؤرخين، أو محاولته فقط التمتع بمركز مرموق في الدولة في رأي البعض الآخر، فإن الأقباط كانوا من ورائه يشجعونه وينظمون له حركته ويعينونه علي القيام بها.."

## نصاري مصر يسعون لإخراج مصر من دائرة الخلافة الإسلامية:

سعي نفر من زعماء الأقباط في زحزحة الوجود التركي عن مصر، خاصة إبان السنوات التي قضتها الحملة الفرنسية في مصر، والتي يعتبرها زاهر رياض أثمن لدينا في التاريخ من هذه القرون الأربعة الطويلة التي مكثها العثمانيون في مصر، فقد علمتنا دروسا كانت نعم الزاد فيما خلف من أيامنا . فقد تعلمنا قيمة هؤلاء الترك والمماليك الذين يستأسدون علينا وهم أجبن من الأرانب، وأن قيمتهم لا تساوي جنديا واحدا من الجنود الأوربيين .. ولكن الأثمن من هذا كله أنها دفعت بأقباط مصر لأن يظهروا قوميتهم الغافلة، فيتقدموا

الصفوف كي يصرخوا في إخوانهم – أي المسلمين – أن الوقت قد حان لأن يفكوا هذا الطلسم عن عيونهم فيسعوا نحو الاستقلال التام بعيدين عن تركيا وغير تركيا، وأن ولاءهم للخليفة أو لأمير المؤمنين لن يغني عن استقلالهم المفقود شيئا، وأن رابطتهم الإسلامية لا تعني خضوعهم للأجانب وإن كانوا مسلمين .

الراصد لكل هذا يجد أنه يتعارض مع مفهوم الوحدة الإسلامية التي تجمع كافة شعوبها في إطار العقيدة والمصلحة المشتركة .. سعي الأقباط نحو استقلال مصر عن الأتراك لحساب قوي أجنبية أخري كفرنسا، ولا ينكر زاهر رياض أن الأقباط نظروا إلي الحملة الفرنسية نظرة أمل تخلصهم من القومية الإسلامية التي اصطنعتها الخلافة الإسلامية ثم الأتراك العثمانيون بعدهم، من أجل القضاء علي القوميات الوطنية للبلاد التي دخلت في نطاقها .. فأقبلوا – أي الأقباط – يعينونها بمختلف الوسائل .. فكل مساعدة تقدم للفرنسيين إنما هي مسمار في نعش الاحتلال التركي .. ثم يعرض علينا صورة وصفية لبطولة المعلم يعقوب الذي تعاون مع الفرنسيين تعاونا جعله جديرا بأن نقيم له تمثالا من حجر .. بل من ذهب في أوسع ميادين القاهرة ونكتب علي قاعدته:

" أول من نادي باستقلال مصر في العصر الحديث ..!!"

**رفض النصاري لفكرة الجامعة الإسلامية:**

هاجم النصاري فكرة الجامعة الإسلامية هجوما كبيرا، وفي ذلك تقول د. سميرة بحر في كتابها " الأقباط في الحياة السياسية المصرية ": كان مصطفي كامل الزعيم المصري الوطني، من المتحمسين لفكرة الجامعة الإسلامية علي أساس أنها القوة الكفيلة بتخليص مصر من الاحتلال البريطاني .."

لقد ربط مصطفي كامل القضية المصرية بالآستانة، واعتقد أن الوطنية المصرية لا يمكن أن تتأجج إلا من خلال الإسلام، وأنه إذا كانت الدولة العلية رأس الإسلام، فمصر هي روحه، وعز مصر من عز الدولة العثمانية، وسقوط هذه الدولة معناه سقوط الصلة القانونية الوحيدة التي تفكر بريطانيا في بترها

تلقائيا من قبل أن تجعل الاحتلال البريطاني لمصر أمرا مفروغا منه نهائيا، وقد ساعدت عوامل مختلفة علي تغلغل فكرة الجامعة الإسلامية بين الجماهير المصرية، وبخاصة أن الشعب المصري - كما لاحظ الباحثون من أقدم العصور - شعب متدين حريص علي معتقداته حرصا شديدا مما ساعده علي الاعتزاز بانتسابه للدولة العثمانية المسلمة .

وتقول سميرة بحر: وكان رد الفعل التلقائي في الأوساط القبطية هو الهجوم علي دعوة الجامعة الإسلامية، فكانت الصحف القبطية وعلي رأسها "الوطن" تتحين الفرص للنيل من الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد الثاني، وكان "جندي إبراهيم" المسئول عن إصدار وتحريرجريدة "الوطن" القبطية، يري أن الجامعة الإسلامية " وهم " خلقه السلطان عبد الحميد لتهديد دول أوربا ..

في معرض حديثها عن الحزب الوطني الذي أسسه مصطفي كامل، تؤكد الكاتبة القبطية علي أنه استحوذ علي إعجاب الكثير من الشباب القبطي، ولكنها لا تلبث أن تقول: " إلا أن الصبغة الإسلامية في فكر الحزب الوطني بعد ذلك قد تسببت في تصاعد حساسية الأقباط المؤيدين له والابتعاد عنه تدريجيا مع التزام الحذر في تأييده، أما بالنسبة لبقية جماهير الأقباط فلم تستطيع أن تنصر دعوة تضع الإيراني والأفغاني والتونسي إلي جانب المصري المسلم علي قدم المساواة، ثم تضع القبطي المصري في مرتبة أقل، ولم يستطيع هؤلاء الأقباط أن يهضموا هذه الدعوة للجامعة الإسلامية، فهم وإن آمنوا بعدم شرعية الاحتلال البريطاني .. إلا أنهم لم يستطيعوا أن يؤيدوا دعوة تدعوهم إلي أن يستبدلوا بالسيد البريطاني سيد آخر، هو السيد العثماني الذي قاسوا من حكمه الكثير من المظالم والويلات ..

لم يقتصر موقف الأقباط عند حد الرفض السلبي لفكرة الجامعة الإسلامية، بل مضوا إلي خطوة أبعد من ذلك وهي إنشاء حزب قبطي بعد أن نفروا من الاتجاه الإسلامي المتطرف الحاد للحزب الوطني وبخاصة بعد وفاة مصطفي كامل، وكان مما أثار تخوفهم دعوة محمد فريد بأن مسلمي مصر يجب أن يتعلقوا دائما بتركيا لأنها دولة الخلافة الإسلامية ولا عبرة بتاريخها السياسي في

مصر وغير مصر، ورأي مؤسسوا الحزب الجديد أن البديل للاتجاه الإسلامي هو الغلو في الاتجاه المصري[١] ..

هذا التطرف القبطي وهذه النزعة العنصرية، لم تظهر إلا في بدايات القرن العشرين، ولم يكن لها أدني وجود منذ دخل الإسلام مصر علي يد عمرو بن العاص في عام ٢٠هـــ ٦٤١م، وطوال العهود الإسلامية التي توالت علي مصر علي مدي ١٣قرنا، لم يسجل التاريخ أي مظهر من مظاهر رغبة الأقباط في إحياء التراث الفرعوني والحضارة الفرعونية، التي اندثرت بعد ضياع مفاتيح اللغة المصرية القديمة، وانقطع الحبل السري بين المصريين وحضارتهم السالفة، فتلاشي تأثيرها في الوجدان المسلم مثلما تلاشي في الوجدان القبطي ..

## مزاعم أقباط المهجر:

فى مقال بعنوان "الأقباط بين الأندماج الوطني والتذويب الديني" فى "عرب تايمز" الناطقة بالعربية فى أمريكا كتب مجدى خليل الناشط القبطى المهجرى الذى لا يكف عن استعداء أمريكا والغرب على مصر والمسلمين:

"وتخبطت مصر بين المشروع القومي العربي والمشروع الإسلاموي ثم التحالف بينهم مؤخرا على أرضية العداء للعالم وللغرب خصوصا. ولكن الأقباط رفضوا المشروعين معا وتمسكوا بالهوية المصرية وبجذورهم التي تمتد إلى أعماق التاريخ المصري، وفي نفس الوقت استماتوا في مواجهة محاولات التذويب الديني. المشروع الإسلامى الذى أطل بوجهه منذ بداية السبعينات لا يهدد الأقباط فقط فى دينهم بين الأسلمة والذّمّيّة وعند الحد الأدنى الذوبان فى الثقافة والهوية الإسلامية، وأنما أيضا يهدد الهوية المصرية فى صميمها ويشتتها ويحولها إلى شئ ثانوى تابع لهوية دينية عابرة الحدود. الأقباط يضطهدون ويشتمون ليس لأنهم يقولون أن مصر لهم وحدهم ويريدون إسترجاعها كما يدعون عليهم كذبا، ولكن لأنهم يعلنون الهوية والانتماء المصري على أي انتماء آخر، وفي نفس الوقت يعتبر الأقباط أنفسهم جزء من التيار الإنساني العالمي

---

(١) جمال بدوي – الفتنة في مصر الجذور والأسباب

ولا يعادون العالم من آجل المتأسلمين... العالم تغير وبات واضحا أن الأقباط لن يقفوا مع المتأسلمين في مشروع عدائهم الحالي للعالم، لأنه ببساطة عداء ينطلق من ثقافة دينية تنشر الكراهية وقد عاني منها الأقباط طوال قرون من الزمن".

**أمور تدعو للعجب .. !!**

افتراءات وتزييف للواقع وقلب للحقائق وزعم كاذب بأن المسلمين هم الذين يعادون العالم .. أمريكا وأوربا !! مع أن الجميع يعرف أن الغرب يواصل العدوان علي الأمة المسلمة منذ أيام الحروب الصليبية مرورا بالاحتلال البريطاني والفرنسي والإيطالي...، وانتهاء بالإجرام الأمريكي والصهيوني في فلسطين وأفغانستان والعراق. إلا أن الغرض مرض، والعياذ بالله.

أعود فأقول إن المسلمين يستأهلون هذا كله وأفظع منه ما داموا يستمرئون التخلف والهوان ويَرْضَوْن بالمذلة ولا يجدون عيبا في الأوضاع المزرية التي تحيط بهم من كل جانب، تلك الأوضاع الناتجة عن كسلهم وبلادتهم وكراهيتهم للعلم والعمل والإبداع والحرية والكرامة، وهو ما يتلخص في نبذهم لقيم دينهم الجوهرية وتركيز كثير منهم في غالب الأحيان على القشور التي لا تقدم ولا تؤخر ولا تنتشلهم مما هم فيه! إنني دائما ما أتخيل أن الرسول ﷺ قد بُعِث ورأى أحوال المسلمين فأخذه الهم والغم غير مصدق أن هذه الأمة تنتمي إليه أو تصلها بدينه صلة!

ويكرر خليل اتهاماته مرة أخرى في ذات المقال حيث يقول:

"لم ينعزل الأقباط نتيجة الاحساس بالظلم والاضطهاد وعدم المساواة فقط، وإنما انعزلوا لاستشعارهم بتحول واضح في نموذج "الاندماج الوطني" إلى مشروع "التذويب الديني". وقد ترتب على ذلك أيضا تآكل القيم المشتركة بالتدريج وانكماش أرضية التعايش المشترك، لصالح قيم جديدة وافدة، وقد تمسك الأقباط في المقابل بالقيم المصرية المتوارثة وبالهوية المصرية وبإيمانهم الديني. الأقباط حسموا موضوع الهوية مبكرا، المشكلة الأساسية تكمن في قطاع كبير من المسلمين لم يحسموا مسألة الهوية حتى الآن من مصطفي كامل إلى مهدي

عاكف. لا تجد قبطيا واحدا، باستثناء الذين قبلوا مشروع الأسلمة، يتحدث عن مفهوم الأمة بمعني يزيد عن حدود مصر الجغرافية، لأنهم يرون بلدهم مصر نموذجا متكاملا لأمة لاتحتاج امتدادا جغرافيا وإنما التفاعل بندية وبايجابية مع الآخرين. الأقباط ليسوا جماعة أصيلة فحسب وإنما هم في الواقع ومعهم الليبراليين المصريين حراس للهوية المصرية في أزمنة الانحطاط. رغم الاختلاف والتباينات الكثيرة بين الأقباط، وهذا طبيعي لشعب يزيد عن عشرة ملايين، إلا أن هناك توحد حول مفهومين: التمسك بالهوية المصرية ومقاومة التذويب الديني حتى الموت، بل أن كل تاريخ الأقباط يتمحور حول فكرة واحدة هي مقاومة التذويب الديني، وقد دفعوا ملايين الشهداء في مقابل ذلك".

**استبداد الأقلية :**

ويرى مجدى خليل، إلى جانب المزاعم الكاذبة عن تمثيل الأقباط للهوية المصرية وعن عددهم العجيب الذى لا أدرى من أين أتى به، يبتهج ابتهاجا شديدا بتشبث طائفته بهويتها الدينية وارتباطها الكنسى، وهذا حقه، ولا اعتراض لنا على شىء منه، لكنه يكره كراهية العمى أن يكون عند المسلمين المصريين نفس الشعور والموقف. لماذا؟ مرة أخرى، إنها استبداد الأقلية، ولا شىء سواها! ولله فى خلقه شؤون!

كما أنه فى الوقت الذى يستصرخ فيه أمريكا النصرانية ويستقوى بها، بل فى الوقت الذى نسمع فيه كثيرا من أقباط الداخل يستصرخون أمريكا النصرانية، وإسرائيل اليهودية فوق البيعة، عيانا بيانا على مرأى ومسمع من العالم أجمع فى الشوارع والطرقات، نراه ينكر علينا مجرد التطلع إلى أن تكون لنا دولة قوية ترتبط بدول العروبة والإسلام حتى لا نُؤكَل هنيئا مريئا من القوى الكبرى التى لا تتركنا نهنأ بحياتنا! أليس هناك شىء اسمه الاتحاد الأوربى؟ أليس هناك شىء اسمه حلف الأطلسى؟ إن الأمم العاقلة هى التى تحرص على أن يكون لها دولة قوية مرهوبة الجانب حتى لا يطمع فيها الطامعون ويستذلوها ويسرقوا خيراتها ويكسروا شوكتها ويحتلوا بلادها، فما الضرر فى أن يفكر العرب والمسلمون فى أن يكون لهم كيان متحد قوى يستطيع الصمود فى وجه هذا العدوان الغربى

المجرم الشرس المستمر منذ قرون؟ وما خوف الأقباط من ذلك ما دامت حقوقهم مصونة، ودينهم معززا مكرما، وكيانهم محترما؟

وفى مقال بـــــ"القدس العربى" فى ٤/ ٥/ ٢٠٠٦م للصحفى المصرى المقيم فى نيويورك فرانسوا باسيلى بعنوان "الإخوان والدولة الدينية في جانب، والأقباط والعلمانية في جانب: إنفصام الشخصية المصرية" نراه يقيم من نفسه ومزاجه وما يحبه الأقباط فى مصر عموما معيارا يزن به مظهر المسلمين والمسلمات المصريين وملابسهم وأشكال سلوكهم ويرفضها ويتهكم عليها ويصفها بالتخلف والشذوذ. يقول:

"استطاع الإخوان ومن انشق عنهم من الجماعات الدينية الأكثر تطرفاً ان يقوموا بتحويل مصر من دولة علمانية تؤمن بالعلم والفن والإبداع والحداثة في العهد الناصري الي مجتمع ودولة تتسربل في أردية دينية سلفية بالغة التزمت تنظر إلي الحياة والمجتمع برؤية دينية أحادية لا تسمح معها بأي خلاف فكري أو تحرر ديني أو إبداع فني، وبالتالي تخمد معها الروح الإنسانية الشابة المتوثبة المتشوقة للخلق والإبداع والإنطلاق الحر في سباق مع العصر والحداثة. تخمد هذه الروح في كل إنسان في ذلك المجتمع تحت ثقل الرداء الديني المتزمت الخانق الذي اقنعوا المرأة المصرية بأنه الرداء الوحيد الحلال فكان ان نجحوا في تحجيب الأغلبية الساحقة من المسلمات المصريات في خلال سنوات معدودة.

وهكذا نظر الأقباط حولهم ذات يوم فإذا بأولاد اخوالهم شركائهم في الوطن قد تغيروا مظهراً وجوهراً فيما بدا وكأنه قد حدث بين ليلة وضحاها. فالتحول في السبعينات كان سريعاً فعلا، وكيف لا وقد جاء من فوق ومن تحت في نفس الوقت، إذ جاء من الحكومة وعلي رأسها الرئيس المؤمن وفي نفس الوقت من داخل الحارات والأزقة والشوارع في المدن المكتظة والقري المنسية بلا خدمات ولا تواجد للدولة بأي شكل محسوس مفيد، فيما تواجدت الجماعات الدينية تقدم نفسها فعلا لا مجازا كبديل للدولة الغائبة، فتقدم الخدمات الصحية والوظيفية والسكنية وخدمات النقل والمواصلات والمصارف وتوظيف الأموال،

بالإضافة الي الخدمات الإجتماعية والأسرية من زواج وطلاق وإغاثة وتكافل وحل للخلافات علي الطريقة الشرعية!...

لقد نظر الأقباط حولهم فجأة في كافة ربوع مصر فإذا باخوتهم في الوطن الذين كانوا بالأمس يتكلمون مثلهم ويلبسون مثلهم ويعملون مثلهم ويذهبون معهم الي السينما والمسرح ويغنون ويضحكون معهم قد اصبحوا فجأة مختلفين عنهم في كل شيء. فالرجال الآن كثير منهم يطلق لحيته ويرتدي الجلباب ويمسك بسبحة في يده ويضع المسواك في فمه ويقحم اسم الجلالة بين كل كلمة وكلمة، وصار بعضهم يرتدي الساعة في يده اليمني ويدخل الحجرة بقدمه اليمني لأن اليسري نجسة، وصار بعضهم الآخر لا يبادره بالتحية ولا يجلس ليأكل معه لأنهم قالوا له ألا يبادر الكفرة بالتحية ولا يجلس علي موائدهم.

وأما نساء مصر، وكنّ قد قطعن شوطاً هائلاً علي طريق التحرر والحداثة والتمرد علي السيطرة الغاشمة للرجل في مجتمع ذكوري غليظ، فقد أقنعوهن ان صوتهن عورة وشعرهن عورة وأن عليهن ان يتحجبن حتي لا تقع علي شعرهن الشيطاني الماجن أعين الرجال الأتقياء الذين لا يبغون سوي وجه الله تعالي، فإذا بالمصريات يتنكرن لتاريخهن ولثورة هدي شعراوي وإلقائها هي واخواتها في الحركة النسائية المصرية بحجابهن في النيل في ذلك الزمن النهضوي الثائر القديم. وإذا بكافة مسلمات مصر يخترن ما بين الحجاب والنقاب. وبينما نجد كل جيل جديد من مجتمعات العالم كله من الهند الي الصين إلي اليابان الي امريكا الشمالية واللاتينية يلبس ويفكر ويتصرف باسلوب اكثر تحررا من أسلوب جيل والديه، رأينا في مصر الحدث الأعجب في تاريخ الحضارة، إذ جاءنا جيل من المصريين اشد محافظة وتقليدية وتشددا وتزمتا دينيا من جيل والديه!! هذا هو حجم الكارثة الإنسانية التي تعيشها مصر اليوم. فكيف كان ممكنا للأقباط التعامل مع شركائهم في الوطن وقد أصيب معظمهم بهذا التغير الشديد. وليته كان تغيرا نحو الدين الحقيقي، وهو المعاملة الحسنة، ولكنه كان تغيراً جاء مصاحباً لازدياد هائل في الفساد والرشوة والإهمال والبلطجة والظلم الفاجر والغلظة في المعاملة وفشل شامل في أسس الحياة الإنسانية اللائقة النبيلة".

لم يكره الإسلام أحدا علي الدخول فيه ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾(البقرة:٢٥٦)، وعاش النصاري بين ظهراني المسلمين منذ فجر الرسالة وحتي اليوم، ولولا عدالة الإسلام وتسامحه لما بقي نصراني واحد في العالم الإسلامي اليوم .

ولأن وحدة الأمة لا تتحقق إلا بولاء كل أبنائها لها، وانتماء جميعهم لدولتها ولمقومات هويتها- أمنها الوطنى والقومى والحضارى- اشترط هذا العهد على نصارى نجران أن يكون الولاء خالصا، والانتماء كاملاً لهذه الأمة الواحدة، ولهذه الدولة الإسلامية.. فالولاء- كل الولاء- لها وحدها، والبراء- كل البراء - من جميع أعدائها.. ولذلك جاء فى هذا الميثاق: "واشترط عليهم أمورا يجب عليهم فى دينهم التمسك بها والوفاء بما عاهدهم عليه منها: ألا يكون أحد منهم عينا ولا رقيبا لأحد من أهل الحرب على أحد من المسلمين فى سره وعلانيته، ولا يأوى منازلهم عدو للمسلمين يريدون به أخذ الفرصة وانتهاز الوثبة، ولا ينزلوا أوطانهم ولا ضياعهم ولا فى شيء من مساكن عباداتهم ولا غيرهم من أهل الملة، ولا يرفدوا- يساعدوا- أحدا من أهل الحرب على المسلمين بتقوية لهم بسلاح ولا خيل ولا رجال ولا غيرهم، ولا يصانعوهم، وإن احتيج إلى إخفاء أحد من المسلمين عندهم وعند منازلهم ومواطن عباداتهم ؛ أن يؤوهم ويرفدوهم ويواسوهم فيما يعيشون به ما كانوا مجتمعين، وأن يكتموا عليهم، ولا يظهروا العدو على عوراتهم، ولا يخلوا شيئا من الواجب عليهم"، ويزيد من سمو هذا الإنجاز الإسلامى تعميم التطبيقات الإسلامية لهذا المنهاج وهذه المبادئ على الديانات الوضعية أيضا.. فلم يقف المسلمون بهذه الثورة الإصلاحية فى العلاقة بالآخر عند اليهود- أهل التوراة؛ والنصارى- أهل الإنجيل- فقط، وإنما عمموها لتشمل المجوس والهندوس والبوذيين، وعندما فتح المسلمون فارس- وأهلها مجوس يعبدون النار، ويقولون بإلهين أحدهما للخير والنور، وثانيهما للشر والظلمة- عرض أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ٤٠ ق. هـ - ٢٣هـ، ٥٨٤- ٦٤٤م هذا الأمر الواقع المستجد على مجلس الشورى فى مسجد المدينة، وقال:

- "كيف أصنع بالمجوس؟"

- فوثب عبد الرحمن بن عوف ﷺ ٤٤ق. هـ -٣٢هـ، ٥٨٠- ٦٥٢م فقال: أشهد على رسول الله ﷺ أنه قال: "سنوا فيهم سنة أهل الكتاب" .

فطبقت الخلافة الراشدة هذه السنة النبوية، وساد هذا التطبيق على امتداد تاريخ الإسلام فى بلاد الديانات الوضعية من فارس إلى الهند إلى الصين، حتى لقد تمتع أهل هذه الديانات، لا بحرية الاعتقاد فقط، وإنما أيضا بحرية مناظرة علماء الإسلام فى مجالس الخلفاء، إبان مجد وقوة وعظمة الخلافة الإسلامية.

ولقد أورد السير توماس أرنولد ١٨٦٦- ١٩٣٠م بإعجاب كيف أن زعيم المانوية المجوس فى فارس يزدانبخت قد أتى بغداد، وناظر المتكلمين المسلمين فى حضرة الخليفة المأمون " ١٧٠- ٢١٨هـ، ٧٨٦- ٨٣٣ م فلما أفحمه علماء الإسلام تاق "المأمون" إلى أن يسلم يزدانبخت ففاتحه فى ذلك، لكنه رفض فى أدب وقال للخليفة: نصيحتك يا أمير المؤمنين مسموعة، وقولك مقبول، ولكنك ممن لا يجبر الناس على ترك مذهبهم ، فتركه المأمون وشأنه، بل وطلب حمايته من العامة حتى يبلغ مأمنه بين أتباعه وأنصار مذهبه من المجوس .

هكذا بلغ الإسلام القمة عندما لم يكتف بالوصايا والمنظومة الفكرية والفلسفية التى تعترف بالآخر الذى لا يعترف بالإسلام، وإنما تجاوز الفكر إلى الممارسة والتطبيق فى الدولة والأمة والاجتماع، وعندما تجاوز الاعتراف بالآخر الى حيث دمج هذا "الآخر" فى " الذات " مع الحرص على التعددية الدينية التى سلكها فى إطار وحدة الدين الإلهى الواحد، لا باعتبارها مجرد حق من حقوق الضمير الإنسانى، وإنما باعتبارها سنة من سنن الله التى لا تبديل لها ولا تحويل، فحقق الإسلام بهذا الإصلاح الثورى مستوى غير مسبوق فى التاريخ الإنسانى، سواء على المستوى الفكرى أو فى الممارسة والتطبيق.

- وإذا كانت سنة من سنة الله فى الاجتماع الإنسانى، أن يكون هناك- دائما وأبداً- فارق بين "الواقع " وبين " المثال"، وأن يظل "المثال"- دائماً وأبداً- عصياً على كمال التحقق فى الواقع المعين.. فإن ممارسات الدولة الإسلامية

والمجتمعات الإسلامية لم تكن دائماً على مستوى هذا "المثال" الإسلامى فى العلاقة مع "الآخر" الدينى.. كما أن هذا " الآخر" الدينى لم يكن- دائماً وأبدا على مستوى هذا ". المثال" الذى نصت عليه العهود والمواثيق، أو لنقل: لم يكن كل المسلمين ولا كل الحكام على مستوى هذا "المثال"..

ولم يكن كل غير المسلمين على مستوى هذا "المثال"، لكن- ومع ذلك- ظلت هناك ثوابت حكمت علاقة المسلمين بغير المسلمين فى الدولة الإسلامية، والمجتمعات الإسلامية عبر تاريخ الإسلام.

- فلم يعرف هذا التاريخ الإسلامى إكراها فى الدين.. فلقد دخل الشرق بالفتوحات الإسلامية، فى الدولة الإسلامية خلال سنوات قياسية فى تاريخ الفتوحات، إذ فتح المسلمون فى ثمانين عاماً أوسع مما فتح الرومان فى ثمانية قرون.. ولقد كانت هذه الفتوحات الإسلامية تحريراً للشرق- الإنسان والأرض- من القهر الدينى والحضارى الذى مارسه الرومان والفرس ضد شعوب الشرق على امتداد عشرة قرون، من الإسكندر الأكبر ٣٥٦- ٣٢٤ ق.م فى القرن الرابع قبل الميلاد إلى الفتوحات الإسلامية فى القرن السابع للميلاد، فترك الناس وما يدينون دونما إكراه، بل وفى أحيان كثيرة دونما ترغيب، عندما كان بعض الولاة أحرص على الجزية منهم على إسلام غير المسلمين، حتى إن أقليات اليوم الدينية- وخاصة النصرانية- قد ظلت أغلبيات غير مسلمة فى الدولة الإسلامية لعدة قرون.

- وإذا أخذنا مصر نموذجا، وهى التى ضربت المثل الأروع فى الاستمساك بنصرانيتها على امتداد ستة قرون من الاضطهادات الرومانية التى ضربت بها الأمثال، فإننا نجد أن تحول أغلبية أهلها إلى الإسلام قد استغرق عقودا طويلة.. فلقد كان تعداد سكانها، من النصارى واليهود، عند الفتح الإسلامى لها سنة ٢٠هـ، ٦٤١م ، ٢,٥٠٠,٠٠٠ نسمة.. حتى نهاية خلافة معاوية بن أبى سفيان "٢٠ق. هـ - ٦٠ هـ، ٦٠٣- ٦٨٠م" - أى بعد نحو نصف قرن من الفتح الإسلامى- كان قرابة نصف المصريين لا يزالون على نصرانيتهم.. فكان تعداد غير المسلمين فى نهاية عهد معاوية سنة ٦٠ هـ،

١٨٠م ٠٠٠. ٠٤٠. ١ نسمة.. وفى نهاية عهد هارون الرشيد ١٤٩- ١٩٣هـ، ٧٦٦- ٨٠٩م - أى بعد مرور قرابة القرنين من الزمان على تاريخ الفتح- كان تعداد غير المسلمين بمصر ٦٥٠,٠٠٠ نسمة، أى نحو ربع السكان البالغ عددهم يومئذ ٢,٦٧١,٠٠٠وحتى القرن التاسع الميلادى، أى بعد قرنين ونصف من الفتح الإسلامى لمصر، كانت نسبة غير المسلمين فى سكانها ٢٠% من هؤلاء السكان الأمر الذى يقدم الحقائق المادية- بالأرقام- لهذه الخلاصة التى كتبها المستشرق الإنجليزى، الحجة، والشديد التدين بالنصرانية- "سير توماس أرنولد"، والتى قال فيها: إنه من الحق أن نقول: إن غير المسلمين قد نعموا، بوجه الإجمال، فى ظل الحكم الإسلامى بدرجة من التسامح لا نجد لها معادلا فى أوروبا قبل الأزمنة الحديثة؛ وإن دوام الطوائف المسيحية فى وسط إسلامى يدل على أن الاضطهادات التى قاست منها بين الحين والآخر على أيدى المتزمتين والمتعصبين كانت من صنع الظروف المحلية، أكثر مما كانت عاقبة مبادئ التعصب وعدم التسامح .

- فلم يكن هناك إكراه على التحول إلى الإسلام ؛ بل لم تكن للإسلام عبر تاريخه "مؤسسة تبشيرية" تنظم وتتابع نشر هذا الدين.

- وأكثر من ذلك فلقد كتب علماء وباحثون من النصارى الغربيين عن تحولات الأغلبيات النصرانية الشرقية إلى الإسلام، فأرجعوا هذه التحولات إلى اختلافات الكنائس النصرانية حول طبيعة المسيح- عليه السلام- تلك الاختلافات التى حولت العقيدة النصرانية إلى أسرار وألغاز جعلتها مستعصية على فهم الجمهور، فلما أشرقت شمس التوحيد الإسلامى، على هذا النحو البسيط والفطرى، تحولت أغلبيات نصارى الشرق إلى هذا التوحيد عن رغبة، وللإشباع الروحى، ولخلو الإسلام من سلطة الكهنوت التى تحتكر مفاتيح التوبة والخلاص.. تحولت هذه الأغلبيات لذلك- نحو الإسلام دونما إكراه، بل ولا حتى ترغيب، كتب عن هذه الحقيقة علماء نصارى- منهم "كيتانى"Caetanin- الذى يقول:

إن انتشار الإسلام بين نصارى الكنائس الشرقية إنما كان نتيجة شعور باستياء من السفسطة المذهبية التى جلبتها الروح الهلينية إلى اللاهوت المسيحى، أما

الشرق الذى عرف بحبه للأفكار الواضحة البسيطة، فلقد كانت الثقافة الهلينية وبالا عليه من الوجهة الدينية؛ لأنها أحالت تعاليم المسيح البسيطة السامية إلى عقيدة محفوفة بمذاهب عويصة، مليئة بالشكوك والشبهات؛ فأدى ذلك إلى خلق شعور من اليأس، بل زعزعة أصول العقيدة الدينية ذاتها، فلما أهلت آخر الأمر أنباء الوحى الجديد فجأة من الصحراء لم تعد تلك المسيحية الشرقية التى اختلطت بالغش والزيف، وتمزقت بفعل الانقسامات الداخلية، وتزعزت قواعدها الأساسية، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الريب، لم تعد المسيحية بعد ذلك قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد الذى بدد بضربة من ضرباته كل الشكوك التافهة، وقدم مزايا جليلة، إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التى لا تقبل، الجدل، وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى فى أحضان نبى العرب .

لقد أقبل الناس على الإسلام، الذى رأوه- كما يقول "مونتيه ".. عقلانى الجوهر، بأوسع معانى هذه الكلمة ، وأقبلوا عليه "دون أى محاولة للإرغام والاضطهاد" كما يقول "أرنولد"

والثابت الثالث من ثوابت علاقة الإسلام بغير المسلمين فى الدولة الإسلامية والمجتمعات الإسلامية هو: استمرار غير المسلمين قابضين على عصب دواوين وإدارات الدولة الإسلامية- قبل تعريب لغة تلك الدواوين وبعد تعريبها ٨٧ هـــ - ٧٠٥ م وهذه الحقيقة جعلت المستشرق الألمانى الحجة " آدم متز" ١٨٦٩- ١٩١٧م يكتب فيقول:

"لقد كان هم الذين يحكمون بلاد الإسلام "ومن يراجع كتاب "الإشارة إلى من نال الوزارة" لابن الصيرفى يرى حجم السيطرة غير المسلمة على مناصب الوزارة والإدارة عبر تلك القرون، لقد قام نبي الإسلام ﷺ لجنازة يهودي، وطلب القرآن الكريم من المسلمين مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وقالها الصديق ﷺ مدوية عبر العصور، ورددها من بعده خلفاء كثيرون:

"بأن لهم مالنا وعليهم ما علي المسلمين، ما لم ينقضوا ما عاهدناهم عليه"

وأوصي عمر بن الخطاب ﷺ وهو علي فراش الموت بالمعاهدين وأهل ذمة رسول الله خيرا .. كما كانت وثيقة المدينة بين المسلمين واليهود أول وثيقة لحقوق الإنسان في التاريخ، وعلي ذلك سار عمر بن الخطاب عندما فتح القدس، ومحمد الفاتح في البلقان .. والعهدة العمرية خير شاهد وهي محفوظة إلي يومنا هذا..

يقول الباحث الإنجليزي المسيحي السير توماس أرنولد صاحب كتاب- الدعوة إلي الإسلام – وقد عكف هلى تأليفه أربعين عاما – : " إن استمرار وجود النصاري واليهود في ديار الإسلام عبر ثلاثة عشر قرنا من الزمان، وتزايد أعدادهم، يأتي مصداقا لعدم إرغامهم علي تغيير عقيدتهم، فلو أن أي قدر من القسر والضغط قد مورس عليهم،كانت ديار الإسلام قد خلت منهم .. " وهذه هي حصيلة استقراء مئات المصادر وآلاف الوثائق المعنية بانتشار الإسلام ..

يقول الرجل: " يمكننا أن نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملا حاسما في تحويل الناس إلي الإسلام، فمحمد نفسه ﷺ قد عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية وأخذ علي عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم في أمن وطمأنينة .. إن الأخبار الخاصة بزوال المسيحية من بين القبائل العربية النصرانية التي كانت تقيم في بلاد العرب الشمالية لا تزال بحاجة إلي شيء من التفصيل، والظاهر أنهم قد انتهوا إلي الامتزاج بالمجتمع الإسلامي الذي كان يحيط بهم عن طريق ما يسمونه الاندماج السلمي، الذي تم بطريقة لم يحسها أحد منهم، ولو أن المسلمين حاولوا إدخالهم في الإسلام بالقوة عندما انضووا باديء الأمر تحت الحكم الإسلامي لما كان من الممكن أن يعيش المسيحيون بين ظهرانيهم حتي عصر الخلفاء العباسيين .. "

اعتنق النصاري الإسلام عن اختيار وطواعية وإرادة حرة بفضل التسامح الذي بسطه المسلمون المنتصرون علي العرب النصاري في القرن الهجري الأول واستمر في الأجيال المتعاقبة .. يقول أرنولد:

"لما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن وعسكر أبو عبيدة علي فحل، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلي العرب يقولون: يا معشر العرب المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم وإن كانوا علي ديننا، أنتم بنا أرأف وأوفي لنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا، ولكنهم غلبونا علي أمرنا وعلي منازلنا.."

وأغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل، وأبلغوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الأغريق وتعسفهم. أما ولايات الدولة البيزنطية التي سرعان ما استولي عليها ا لمسلمون ببسالتهم فقد وجدت أنها تنعم بحالة من التسامح لم تعرفها طوال قرون كثيرة بسبب ما شاع بينهم من الأراء اليعقوبية والنسطورية (١)..

يقول كارل بروكلمان في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية:

زار راهب دمنيكاني من فلورنسا بلاد الشرق حوالي نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر وتحدث عن روح التسامح التي تمتع بها النساطرة في ظل الحكم الإسلامي فقال: " قرأت في التاريخ القديم وفي مؤلفات للعرب موثوق بها أن النساطرة أنفسهم كانوا أصدقاء لمحمد، وأن محمدا نفسه قد أوصي خلفاءه أن يحرصوا علي صداقتهم مع النساطرة، التي يرعاها العرب أنفسهم حتي ذلك اليوم بشيء من العناية .. وإذا نظرنا إلي التسامح الذي امتد علي هذا النحو إلي رعايا المسلمين من المسيحيين في صدر الحكم الإسلامي، ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلي الإسلام بعيدة عن التصديق .. إننا لم نسمع عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين علي قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي .

ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدي الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصي بها فرديناند وإيزابيلا دين الإسلام من إسبانية، أو التي جعل بها لويس الرابع عشر المذهب البروتستانتي مذهبا يعاقب عليه متبعوه في فرنسا، أو

---

(١) عماد الدين خليل – مدخل إلي التاريخ الإسلامي – الدار العربية للعلوم

بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن انجلترا مدة خمسين وثلاثمائة سنة . وكانت الكنائس الشرقية في آسيا قد انعزلت انعزالا تاما عن سائر العالم المسيحي الذي لم يوجد في جميع انحائه أحد يقف إلي جانبهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين، ولهذا فإن مجرد بقاء الكنائس حتي الآن ليحمل في طياته الدليل القوي علي ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من تسامح نحوهم ."

– أما التوترات الطائفية التى شهدتها المجتمعات الإسلامية، والتى ألحقت قدرا من الضيق والتمييز والأذى بالأقليات غير الإسلامية، فلقد كانت عارضة.. وعابرة.. وكانت أغلب أسبابها وافدة على الموقف الإسلامى الثابت والأصيل، ومفروضة على المنهاج الطبيعى للتطبيقات الإسلامية لهذا المنهاج.. وبعبارة "سير توماس أرنولد" فلقد كان مرد هذه الاضطهادات إلى "ظروف محلية"

أكثر مما كانت ثمرة لمبادئ التعصب وعدم التسامح .

– أما هذه الأسباب الطارئة على الإسلام، والمفروضة على منهاج المسلمين فى معاملة الآخر الدينى ؛ فلقد فصلها وحصرها باحث ومؤرخ نصرانى لبنانى، هو الدكتور "جورج قرم " عندما قال: إن فترات التوتر والاضطهاد لغير المسلمين فى الحضارة الإسلامية كانت قصيرة، وكان يحكمها ثلاثة عوامل:

– **العامل الأول:** هو مزاج الخلفاء الشخصى. فأخطر اضطهادين تعرض لهما الذميون الأول وقعا فى عهد المتوكل ٢٠٦- ٢٤٧هـ، ٨٢١- ٨٦١م الخليفة الميال بطبعه إلى التعصب والقسوة، وفى عهد الخليفة الحاكم بأمر الله ٣٧٥- ٤١١هـ، ٩٨٥- ١٠٢١م الذى غالى فى التصرف معهم بشدة وكلا هذين الحاكمين عم اضطهادهما المسلمين وغير المسلمين !!.

– **العامل الثانى:** هو تردى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لسواد المسلمين، والظلم الذى يمارسه بعض الذميين المحتلين لمناصب إدارية عالية، فلا يعسر أن ندرك صلتهما المباشرة بالاضطهادات التى وقعت فى عدد من الأمصار.

– أما **العامل الثالث:** فهو مرتبط بفترات التدخل الأجنبى فى البلدان

الإسلامية، وقيام الحكام الأجانب بإغراء واستدراج الأقليات الدينية غير المسلمة إلى التعاون معهم ضد الأغلبية المسلمة. إن الحكام الأجانب بمن فيهم الإنجليز- لم يحجموا عن استخدام الأقلية القبطية فى أغلب الأحيان ليحكموا الشعب ويستنزفوه بالضرائب، وهذه ظاهرة نلاحظها فى سوريا أيضاً، حيث أظهرت أبحاث "جب " و "بولياك " كيف أن هيمنة أبناء الأقليات فى المجال الاقتصادى أدت إلى إثارة قلاقل دينية خطيرة بين النصارى والمسلمين فى دمشق سنة ١٨٦٠م، وبين الموارنة والدروز فى جبال لبنان سنة ١٨٤٠م و١٨٦٠م، ونهاية الحملات الصليبية قد أعقبتها- فى أماكن عديدة- أعمال ثأر وانتقام ضد الأقليات المسيحية، ولا سيما الأرمن الذين تعاونوا مع الغازى.

- بل إنه كثيرا ما كان موقف أبناء الأقليات أنفسهم من الحكم الإسلامى، حتى عندما كان يعاملهم بأكبر قدر من التسامح ؛ سببا فى نشوب قلاقل طائفية، فعلاوة على غلو الموظفين الذميين فى الابتزاز، وفى مراعاتهم وتحيزهم إلى حد الصفاقة- أحيانا- لأبناء دينهم، ما كان يندر أن تصدر منهم استفزازات طائفية بكل معنى الكلمة .

- وإذا شئنا الإشارة إلى وقائع من التاريخ الوسيط والحديث تؤكد صدق هذا التحليل الذى قدمه الدكتور " جورج قرم " لأسباب التوترات الطائفية العارضة وخاصة بسبب الغوايات الاستعمارية لبعض أبناء الأقليات الدينية، فإن هناك واقعة دالة إبان الغزوة التترية، عندما استقوى نصارى دمشق بالقائد التتارى "كتبغا "- وكان نصرانيا نسطوريا- فانحازوا إلى الغزاة ضد المسلمين، وتحولوا إلى أداة إذلال واضطهاد للمسلمين فى ظل الاحتلال التترى، ولقد تحدث مؤرخ العصر "المقريزى " ٧٦٧ - ٨٤٥هـ، ١٣٦٥- ١٤٤١م عن هذا الاستعلاء والاستقواء النصرانى بالتتار، فقال:

استطال النصارى بدمشق على المسلمين، وأحضروا فرمانا من "هولاكو" بالاعتناء بأمرهم وإقامة دينهم، فتظاهروا بالخمر فى نهار رمضان، ورشوه على ثياب المسلمين فى الطرقات، وصبوه على أبواب المساجد، وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب،

وصاروا يمرون به فى الشوارع إلى كنيسة مريم، ويقفون به، ويخطبون فى الثناء على دينهم، وقالوا جهرا: ظهر الدين الصحيح، دين المسيح ، وخربوا مساجد ومآذن كانت بجوار كنائسهم، فقلق المسلمون من ذلك، وشكوا أمرهم لنائب هولاكو وهو كتبغا فأهانهم وضرب بعضهم، وعظم قدر قسوس النصارى، ونزل إلى كنائسهم، وأقام شعائرهم .

– وأمام هذه الخيانة، والاحتماء بالعدو الغازى، واضطهاد الأقلية للأغلبية ما كان من السلطان "قطز" ٦٥٨ هـ– ١٢٦٠م إلا أن أوقع بنصارى دمشق، وترك الناس فخربوا دورهم ونهبوها عقب الانتصار على التتار فى "عين جالوت " ٦٥٨ هـ– ١٢٦٠م .

– ولقد تكرر مشهد الغواية والخيانة فى مطلع العصر الحديث، عندما جاء بونابرت ١٧٦٩– ١٨٢١م على رأس الحملة الفرنسية لغزو مصر ١٢١٣هـ– ١٧٩٨م ، وألقى حبال الغواية لأبناء الأقليات الدينية، ووقع فى هذه الحبال نفر من أقباط مصر– خانوا أمتهم وطائفتهم وكنيستهم– قادهم "المعلم يعقوب حنا" ١٧٤٥– ١٨٠١م وكونوا فيلقا قبطيا تزيا بزى الجيش الفرنسى، وحارب المصريين وأذلهم لحساب الفرنسيين، ولقد تحدث مؤرخ العصر الجبرتى ١١٦٧م– ١٢٣٧هـ، ١٧٥٤– ١٨٢٢م عن صنيع "بونابرت " مع هذه القلة الخائنة، عندما جعل لهم نصف عضوية "ديوان المشورة"، والسلطة الفعلية فى الجهاز المالى والإدارى.. وبعبارة" الجبرتى"، فلقد فوض الجنرال كليبر١٧٥٣– ١٨٠٠م للجنرال يعقوب أن يفعل بالمسلمين ما شاء، حتى تطاول النصارى– من القبط ونصارى الشوام– على المسلمين بالسب والضرب، ونالوا منهم أغراضهم وأظهروا حقدهم، ولم يبقوا للصلح مكاناً !! وصرحوا بانقضاء ملة المسلمين وأيام الموحدين".

– فكان السقوط فى شراك الغواية الاستعمارية من أكثر أسباب التوتر الطائفى تأثيرا، فى الفترات العارضة التى شابت فيها هذه التوترات تلك الوحدة التى حققها الإسلام مع الآخر الدينى فى الأمة والدولة، ومقومات الهوية الوطنية والحضارية على امتداد تاريخ الإسلام.

– إن قرآن محمد ﷺ، وإنجيل عيسي عليه السلام يأمران بالإحسان وصلة المودة والجوار بين المسلم وغير المسلم، وينهيان عن البغي والعدوان، أليست هذه حقائق أكدتها وقائع التاريخ عبر العصور ؟!

– لقد أحيا الإسلام الإنسانية وبني أمة وأرسي أسس العلاقات البشرية بين بني البشر بما لم يسبق له مثيل، بل لم يصل العالم إلي مستواه حتي اليوم ولا يزال نداءه الخالد يصدع في العالمين ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(آل عمران:٦٤) ..

– لم يعرف الإسلام الإبادة التي شهدتها الشعوب المستضعفة في أوروبا علي يد البابوات في منطقة البلقان والقوقاز وآسيا وأفريقيا وأمريكا واستراليا علي يد النصاري، بل أكد أن ﴿ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾(المائدة: ٣٢) .

– العلاقة بين المسلمين والأقباط علاقة حدد ملامحها الله ﷻ في القرآن الكريم .. – الدستور الإلهي – في قوله تعالي: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ ﴾(العنكبوت:٤٦).

– لقد حذر الرسول الخاتم ﷺ – الذين يسيئون إليه – من الإساءة إلي ذمي أو معاهد، في قوله: " من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما " البخاري ..وقوله ﷺ: " إنكم ستفتحون مصر وهي أرض يسمي فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلي أهلها فإن لهم ذمة ورحما " مسلم .. وقوله: " الله الله في قبط مصر فإنكم ستظهرون عليهم ويكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل الله " إسناده صحيح ورجاله ثقات، وصححه الألباني ..

## المرارة تملأ القلوب

إن المرارة تملأ القلوب لنكران الجميل من أتباع الكنيسة .. لماذا يزرعون الكراهية والحقد في النفوس .. يستهزؤون في كتاباتهم ورسوماتهم بالإسلام ونبي الإسلام .. لقد حرم رأس الكنيسة في مصر الصلاة علي الباحث النصراني د. نظمي لوقا في كنائسه، لأنه كتب عن نبي الإسلام بموضوعية وإجلال، ودارت أرملته علي الكنائس دون فائدة !!

لقد كان نصاري العرب المنتشرين في البلاد والأقطار العربية جزء من هذه الأمة .. لهم ما للمسلمين وعليهم ما علي المسلمين، لا تفرقة بين مسلم عربي، ونصراني عربي في الشكل والعادات والتقاليد .. كان النصاري يؤمنون بأن الإسلام هو الدين القومي لهذه الأمة، وأن القرآن هو التراث الخالد الذي حفظ اللغة العربية، كما ذكر القبطي المصري مكرم عبيد في أكثر من مناسبة، وكان يفتخر بأنه يحفظ القرآن كشيوخ الأزهر ..

لقد ساهم نفر من المسيحيين العرب بدور تاريخي في المسيرة العربية منذ الفتح العربي الإسلامي، وكان لهم أدوار قيمة في الثقافة العربية، لذلك كانوا مسيحيين دينا ومسلمين ثقافة وحضارة، ولكل هذا كان دفاع العلماء وتصدي الفقهاء المسلمون لأية محاولة للخروج والمساس بهم، أو بما تضمنته عهود الصلح الأولي، وما استقر عليه الأمر في صدر الإسلام فيما يتعلق بأهل الذمة .

كان نصاري العرب يعلمون أن الإسلام هو الذي وحد الأمة العربية، وأخرجها من الظلمات إلي النور، وحقق لها الأمجاد التاريخية الخالدة .. كان الفلاسفة والمفكرين والشعراء والأدباء من نصاري العرب يفتخرون بالإسلام وما حققه للأمة العربية من مجد وعز ورفعة .. فارس الخوري .. مكرم عبيد .. إلياس فرحات .. نظمي لوقا .. وغيرهم آلاف تغنوا بأمجاد الإسلام وأنصفوه .. كانوا يعلمون أنهم عرب لغة وثقافة وأنماط سلوك، وأنهم جزء لا يتجزأ من النسيج العربي .. لذلك لم يعيشوا في عزلة قسرية أو اختيارية، وساهموا في الحراك السياسي والاجتماعي، وجميع الأنشطة الحياتية، وتمسكوا بالوحدة

الوطنية، وتصدوا لدعاة الفرقة، وكان للقيادات الروحية القبطية والمسلمة مواقف تاريخية اتسمت بقدر كبير من الاستنارة وفهم مقاصد الدين والقدرة علي استلهام الجوانب المشرقة من التراث وإدراك حقائق العصر ..

يذكر للقيادات القبطية ورجالات الكنيسة في الوفد، أنهم قد أكدوا مرارا علي أن الأقباط بمصر محكومون بمصريتهم وعروبتهم، وأنه يستحيل عليهم أن يعيشوا بمعزل عن محيطهم الوطني، وأن مايجمعهم بأبناء وطنهم أشد مما يجمعهم بأبناء دينهم إنجليز كانوا أو أمريكان ..

يذكر للبابا كيرلس الخامس بابا الكنيسة القبطية فتواه ضد الانجليز حين أعلن: " إن الانجليز بعدوانهم ومحاولتهم احتلال مصر، قد خرجوا عن تعاليم دينهم الحقة التي تدعو إلي السلام وعدم الاعتداء، ومن ثم اعتبروا كفره، خارجين عن دينهم، ويجب حربهم " (١)..

تأسست الكنيسة القبطية في عهد القديس مرقص الذي جاء إلي مصر ما بين ٤٨- ٦٤م وظلت الكنيسة حريصة علي استقلالها، ودخلت في صراع مع البابوية وكنيسة بيزنطة دفاعا عن استقلالها، ولم يرتبطوا بأوروبا كمسيحي بلاد الشام ..

لذلك وقف شيوخ الأزهر إلي جانب الأقباط، وكانوا يرددون دوما أن الأقباط ما خرجوا عن كونهم من أبناء الوطن .. وقف الشيخ الباجوري شيخ الجامع الأزهر في وجه الخديوي عباس الأول معارضا محاولته إخراج الأقباط إلي السودان، محتجا بأن الأقباط ذميون وقال: هم أهل البلاد ومن أصحابها ولم يطرأ علي ذمة الإسلام خلل، وأنهم في ذمة الإسلام إلي يوم الدين .. كان الأقباط لهم رواق في الأزهر، يتلقون فيه العلوم المنطقية والشرعية، وتخرج منه عددا من أبرز مثقفيهم حتي مطلع القرن العشرين .. عاش الأقباط والمسلمون في جوار وتآخي منذ عهد عمرو بن العاص .. وإذا كان هناك اضطهاد لهم من قبل بعض الخلفاء والولاة، فقد كان الاضطهاد عاما، ودارس التاريخ يري أنهم عانوا أكثر من أهالي ديانتهم الأرثوذكس والكاثوليك ..

---

(١) صلاح عيسي – الثورة العرابية – القاهرة – دار المستقبل العربي

## الحقائق تقول :ـ

الحقائق تقول برغم كل ذلك كان من الأقباط قضاة وأعضاء في مجلس شوري القوانين ١٨٨٣-١٨٨٩م شغلوا ٤٥% من الوظائف الإدارية، ٤٠% من الرواتب الحكومية وهم أقل من ١٠% من السكان .. في العهد الأموي كانت لهم مناصب مرموقة في الإدارة العليا، وبلغوا الذروة أيام الفاطميين فشغل بعضهم منصب الوزارة، وتزايدت أهميتهم في العهد المملوكي نتيجة لتوسيع الإقطاع وإسناد مهمة الإشراف عليه إلي نظار من الأقباط .. حازوا الثروات .. أسهموا في الثقافة العربية وظفروا بأفخم الألقاب وشاركوا في صناعة القرار .. لم يكونوا كما مهملا .. وإن كان قد تراجع الاعتماد عليهم في العهد العثماني بسبب الاعتماد علي اليهود ..

يقول رفاعة الطهطاوي : أنه علي الرغم من أن مصر مسلمة، إلا أن جميع من فيها من يهود ونصاري جزء من الجماعة الوطنية، لهم حريتهم الدينية كاملة ويقيم المسلمون معهم كل أسباب التعايش والتواصل .. وكان من تلامذة جمال الدين الأفغاني من أذكياء الملل المختلفة .. وكان الإمام محمد عبده يري أن الوطنية عبارة عن تعاون أهل الوطن الواحد المختلفي الأديان، والإسلام لا يعارض ذلك شرعا .. وكان مصطفي كامل يضم بين قادة الحزب الوطني اثنين من زعماء الأقباط: ويصا واصف، ومرقص حنا !!

قتل المسلمون بطرس غالي لأنه حكم علي الفلاحين بالإعدام، حين تولي رئاسة محكمة دنشواي .. وهم ضحايا العدوان .. ولتوقيعه مد امتياز قناة السويس، رغم المعارضة الوطنية، ولتوقيعه اتفاقية السودان المعترض عليها من الشعب، مما أدي إلي اغتياله .. وبسبب صحافة الإثارة والاستثارة الطائفية والمهاترات الصحفية من صحف ترأسها الأقباط مثل "مصر" و "الوطنية" وتهجمها علي دعوة الجامعة الإسلامية والتاريخ العربي الإسلامي، ووصف العرب بأنهم غزاة ودخلاء، وكذلك استنهاض الأقباط لمقاومة القيم، والاستقواء بالدول الأوربية ناصرة الإنسانية !! وتولي الوظائف لا علي أساس المساواة، بل لأنهم الأكثر كفاءة، ودعوتهم لإحياء اللغة القبطية، واعتبرت ذلك واجبا دينيا وإنسانيا !!

ويذكر بلنت صاحب كتاب " التاريخ السري لاحتلال بريطانيا لمصر " أن العلاقة بين مسلمي مصر والأقباط، كانت ودية للغاية، وكان الأقباط عموما إلي جانب الثورة العرابية، وأن العلاقة بين البطريرك والوزارة كانت ودية جدا ..

كانت الغالبية الساحقة لمسلمي مصر وأقباطها شخصية وطنية، وموقف واحد .

### سياسة فرق تسد devide in order to conquer

ولكن سياسة فرق تسد من الحكام الإنجليز !! التي خطط لها كرومر حاكم مصر طيلة ثلاثة وعشرين عام ١٨٨٤- ١٩٠٧م. لشق الصف الوطني بفصل الأقباط عن المسلمين وتفتيت وحدة الأقباط، بتحويلهم إلي العلمانية واختراق الكنيسة القبطية، التي استعصت علي محاولات الهيمنة الأجنبية طوال قرون .. لقد اعتبر كرومر مسيحية أقباط مصر مسيحية محافظة، لا تساعد علي التقدم والتطور، ورد ذلك إلي تأثير الإسلام في الأقباط وكتب قائلا :ـــ

" إن الأقلية القبطية كان لابد أن تخضع بالضرورة لتأثير الأكثرية، وإنه إذا كان المسلم لم يصبح مسيحيا في أي وجه من الوجوه، فإن القبطي قد أصبح مسلما من قمة رأسه إلي إخمص قدميه في السلك الأخلاقي والروح واللغة .. ويشارك كتاب أوروبا في قولهم أن سلبيات ونقائص الأقباط ترجع إلي الاضطهاد الذي لاقوه علي أيدي الغزاة العرب الدخلاء .. أكرهوهم علي التخلي عن ديانتهم .."

حرص الإنجليز علي تعميق خط الانشقاق بين المسلمين والقبط، وعزل الأقباط عن أنصارهم التاريخيين الذين منحوهم سائر حقوقهم، ووقفوا إلي جانبهم ودعموا استقلالهم .. أدرك الإنجليز ضرورة تغيير الواقع المصري، وتفكيك عرب الكنيسة القبطية، وخلق مشكلة أقلوية مضمونها اضطهاد الأقباط والتمييز ضدهم، فمارسوا تحيزا مستمرا ضد الأقباط في الوظائف لمصلحة أتباع الإرساليات من الشوام البروتستانت والمصريين، ووظفوا خريجي المدارس الأجنبية من أبناء أثرياء المسلمين والأقباط بحجة، تحديث الإدارة وتخليصها من الأساليب العتيقة، التي يتبعها الموظفون الأقباط العاجزون عن التطور ..

كانت المسيحية في المشرق العربي بعد الفتح الإسلامي، من دعائم الرفض

للغزو النصراني الغربي، والاستبداد الغربي، وكان أعيان النصاري جزءا أساسيا من القيادة المثقفة للأمة، يتحملون مسؤوليتهم إلي جانب المسلمين، وكانت الكنائس العربية قلاعا لمقاومة التغلغل الاستعماري الغربي، فماذا جري ؟!

لقد حمي الإسلام بفلسفته، وحضارته الجماعات والأديان والطوائف والعناصر والقوميات، التي كانت تواجه خطر الإبادة في ظل الهيمنة الغربية التي ترفض التعدد ...وأبقت الحضارة الإسلامية علي الكنائس والأديان، وما كان لهذه الكنائس لتبقي إلي اليوم وتنجو من الإبادة أو الذوبان لولا الإسلام .. كانت الكنائس مطاردة، ومعتصمة بالصحراء والجبال عشية الفتح العربي الإسلامي .. وازدهرت الأقليات وتألقت بعد الفتح الإسلامي، وساهمت في البناء الحضاري الإسلامي علي نحو لم يسبق له مثيل في التاريخ ..

**أهمـــية الدارســـة الفاحــصة للأناجيل .. التوحيد هو دعوة كل الأنبياء والمرسلين !!**

– دفعني للكتابة كل ذلك، وقبل ذلك .. دعوة النصاري إلي دراسة الأناجيل الأربعة دراسة فاحصة منصفة، مع دراسة أسفار العهد القديم التي يؤمنون بقدسيتها، والتي صرحت بتوحيد الله تعالي ووجوب عبادته وحده لا شريك له، تلك وأيم الله هي دعوة موسي عليه السلام ووصيته إلي قومه، ودعوة عيسي عليه السلام ووصيته لبني إسرائيل، ووصية الله عز وجل للأولين والآخرين من بني آدم .. ليتقوا الله وليقولوا في عبد الله ورسوله عيسي عليه السلام قولا سديدا .. هم أولي الناس باتباع محمد ﷺ، لأنه ﷺ البشارة التي زفها الأنبياء إلي أقوامهم، وخلعوا عليه وعلي أتباعه أجل الأوصاف، وأكرم المعاني، فتعلقت أفئدتهم بذلك النبي المنتظر.. قال تعالي علي لسان عيسي ابن مريم عليه السلام ﴿ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾(الصف:٦). وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(الأعراف:١٥٧) ..

هذا ما أردت توضيحه و ليس قصدي التهجُّم على إخواننا النصارى، الذين تربطنا بهم رابطة الوطن الواحد و البلد الواحد و المصير الواحد، بل تربطني ببعض منهم صداقةُ طفولةٍ و زمالة دراسةٍ و جيرة حيّ و ذكريات عزيزة، ولازالت عائلتي بالريف تتعامل مع أسر قبطية في أعمالها الزراعية والحياتية في إقليم المنوفية – بوسط الدلتا – لأن الوفاق والتعايش الديني والوحدة الوطنية التي عرفتها مصر طوال حياتها ضرورة حياتية ..

ليس قصدي إثارة الفتنة بالطعن في دينهم، حاشا وكلا، كيف ودينهم في عقيدتنا دين سماوي من عند الله تعالى ربنا وربهم، فيه أسمى وأرفع التعاليم، و إنما أدعوهم فيه للعودة لأناجيلهم نفسها ليروا فيها عبودية المسيح لله تعالى وحده لا شريك له، فيتركوا الغلو بالمسيح، الذي قام به بعض أسلافهم في ماضي الزمن، ويعودوا لوحدانية الله النقية الخالصة و إفراد ذاته بالإلـــهية دون مشاركة أي ذات أو شخص آخر له فيها، ذلك التوحيد الذي كان عين ولب دعوة سيدنا المسيح عليه السلام و ذلك عملا بقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(آل عمران:٦٤) ..

**دين الله واحد ..**

هل يعقل أن الله الواحد الأحد، يبعث لعباده بأديان مختلفة متصارعة، ثم يحاسبهم يوم القيامة ؟ كلا فالدين عند الله واحد هو الإسلام .. بعث الله به إلي جميع الأنبياء والرسل ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾(آل عمران:١٩). هذه حقيقة يفرضها العقل والدين !!

**وأخيرا ما الحل؟ ..**

يقول د. إبراهيم عوض: الحل هو أن يسود بيننا صوت العقل والحكمة، وأن يعرف كل من الطرفين أنه ليس صاحب البلد وحده وأن الله لو شاء لجعل الناس جميعا أمة واحدة، وأن يقف كلاهما عند حدود الأدب واللياقة فلا يتطاول

على نبى الطرف الآخر ورموزه. فأما المسلمون فهم، على خلاف ما يسوّق فى الصحف والفضائيات المغرضة، لم ولا ولن يقولوا إن مصر هى بلدهم وحدهم، ولا إن المصريين ينبغى أن يكونوا كلهم مسلمين، كما أنهم لم ولا ولن يتطاولوا على عيسى بن مريم أو ينالوا منه أو من أمه الطاهرة أى منال، فهل يتأسى بذلك الموقف إخوان الوطن؟.

**مصر وطننا كلنا:** مسلمين ونصارى، ولا أحد أمام القانون أحسن من أحد، أما التباذؤ فى حق الرسول ودينه العظيم أو صحابته الكرام فلا أظن أى عاقل يقبل أن يمر مرور الكرام ..

ليس معنى الحرص على الوحدة الوطنية هو أن نرضى الدنية فى ديننا ومصريتنا وعروبتنا وأن نبتلع الإهانات خوفا من تعكير الأجواء، بل يُسْأل عن ذلك من لا يَرْعَوْن فى الأخوة الوطنية إلاً ولا ذمة .وهؤلاء هم الذين جاء ذكرهم فى الفقرة التالية من التقرير الموجود فى كتاب الشيخ الغزالى: "قذائف الحق": "الخطة التبشيرية التي وُضِعَتْ بُنِيَتْ على أساس هدفٍ اتُّفق عليه للمرحلة القادمة، وهو زحزحة أكبر عدد من المسلمين عن دينهم والتمسك به، على ألا يكون من الضروري اعتناقهم المسيحية، فإن الهدف هو زعزعة الدين في نفوسهم، وتشكيك الجموع الغفيرة منهم في كتابهم وصدق محمد، ومن ثم يجب عمل كل الطرق واستغلال كل الإمكانيات الكنسية للتشكيك في القرآن وإثبات بطلانه وتكذيب محمد. وإذا أفلحنا في تنفيذ هذا المخطط التبشيري في المرحلة المقبلة، فإننا نكون قد نجحنا في إزاحة هذه الفئات من طريقنا، وإن لم تكن هذه الفئات مستقبلاً معنا فلن تكون علينا".

# الفصل الثاني

# المسيحية في مصر

قبل الفتح الإسلامي بحوالي ستة قرون دخلت المسيحية مصر في بداية القرن الأول الميلادي، في وقت كانت فيه أفكار الناس مشتتة بين عشرات المعبودات، التي خلفتها لهم الديانات الفرعونية واليونانية، بالإضافة إلي الديانات اليهودية، وبعض الديانات الشرقية الأخري ..وكما دخلت اليهودية من خلال دعوة مباشرة من موسي وأخيه هارون عليهما السلام .. دخلت المسيحية مصر من خلال رحلة المسيح عيسي ﷺ والعائلة المقدسة إلي مصر هربا من " هيرودس " الحاكم الروماني للشام – الذي أمر بقتل كل طفل غير وثني – عمره أقل من سنتين !!

بدأت الرحلة من سيناء – بالسيدة العذراء وابنها المسيح عليهما السلام – ومرت علي الفرما .. فتل بسطة، فسمنود، ثم وادي النطرون، فأشمون، ومنها رحلوا إلي القوصية ومير ودير المحرق بصعيد مصر .. ولما سمعوا بموت هيرودس، ذهبت العائلة المقدسة إلي بابليون بمصر القديمة ثم إلي المطرية حيث استظلت بالشجرة المقدسة الموجودة حتي اليوم ثم عادوا إلي الشام ليواصل المسيح رسالته المقدسة إلي العالم ..

دخلت المسيحية مصر علي يد " مرقص " في منتصف القرن الأول الميلادي، ومرقص هو يوحنا والملقب بمرقص أحد الإنجيليين الأربعة وأصله من اليهود القاطنين في شمال أفريقيا ثم هاجر أبواه إلي فلسطين، وأقام في أورشليم القدس، وهو ابن أخت " برنابا " كما جاء في رسالة بولس، ويعد من أوائل الذين آمنوا بالمسيح، وقبلوا دعوته، وكان كثيرا ما يتردد علي بيته، لكنه لم يعد من الحواريين لأن المسيح اختاره ليكون من ضمن السبعين رسولا .. صاحب خاله برنابا في رحلاته التبشيرية .. إلي أنطاكية عام ٤٥م، وإلي قبرص وبعض جهات آسيا الصغري، وفي سنة٥٢ م قصد وحده شمال أفريقيا ثم اتجه

إلي مصر عن طريق الصحراء الغربية مارا ببعض بلاد الوجه القبلي ثم تقدم شمالا إلي بابليون، ثم غادر بابليون إلي الإسكندرية سنة ٦١م، وكانت عاصمة لمصر حينئذ .. وفيها بدأ يبشر بالمسيح ..

قصد مرقص مصر وأسس كنيستها، وكان أول بطريرك لها ثم غادرها إلي روما حيث وقع في الأسر مع بولس، ثم عاد إلي الإسكندرية وظل بمصر حتي قتله الوثنيون عام ٦٢م.. وفي يوم استشهاد مرقص تتبع حكام الرومان الوثنيون نصاري الإسكندرية وأمعنوا في قتلهم وسحلهم، فملأوا بجثثهم أكثر شوارع المدينة .. وكان يوما من أيام التاريخ المصري المليء بالقهر والتنكيل .

لم تكن بشارة مرقص أمر جديدا أو غريبا علي الإسكندرية، فقد كان أخبار ظهور المسيحية لدي أهل الإسكندرية من خلال سكانها من اليهود الذين سمعوا بمحاكمة المسيح وقيامته ..

وجدت بشارة مرقص تربة مواتية، لأن الديانات المصرية القديمة كانت تعاني في ذلك الحين أشد حالات الفساد والضعف، وكانت تلاقي كثير من التعريض والتهكم والتنديد - بما فيها من خرافات وخيالات - من اليهود واليونانيين المقيمين ..

قاست الكنيسة القبطية من الاضطهادات ما لم تقاسه كنيسة أخري في العالم .. فما بدأت المسيحية تنتشر في البلاد المصرية، وتتغلب شيئا فشيئا علي الوثنية حتي فزع قياصرة الرومان وولاتهم في مصر، واعتبروها خطرا يهدد كيان الامبراطورية الرومانية ويعمل علي تقويضها، فقاومته أشد المقاومة، واضطهدت المؤمنين به شر اضطهاد وأوقعت بهم أقسي صنوف التنكيل والتعذيب والقتل في أبشع صوره وأشنع أساليبه، وعاقدة العزم علي إبادتهم ..

كان أقسي أباطرة الرومان الذين اضطهدوا المسيحيين في مصر الامبراطور " دقلديانوس " الذي اعتلي عرش روما سنة ٢٨٤م فقد صمم علي ألا يكف عن قتل المسيحيين حتي تصل دماؤهم إلي ركبة فرسه، وفعلا نفذ عزمه وراح يطوف بفرسه في بحر من دماء الشهداء .. هدم الكنائس وأحرق

الكتب وقبض علي الأسقافة وأذاقه كل صنوف العذاب وأغرقهم في مذابح دامية لم يسبق لها مثيل في التاريخ .. يقول يوسابيوس المؤرخ:

" إنه ليعسر علي الكاتب الماهر أن يصف مقدار ما تجرعه الشهداء في مصر من ألوان العذاب القاسية والآلام التي تشيب من ذكرها النواصي، فقد كانوا يأتون بأولئك الشهداء ويشقون بالخناجر أجسادهم ويروحون ينزعون عنها الجلد عضوا عضوا حتي تزهق الروح .. استمر هذا الاضطهاد عشرين عاما راح فيها أكثر من مليون شهيد .. "

جاء من بعد " دقلديانوس" صهره "غاليريوس " سنة٣٠٤م ليواصل الاضطهادات القاسية التي شنت علي المسيحيين ..

### مصر قبل الفتح العربي:

كانت مصر قبل الفتح العربي ولاية رومانية - محكومة من قبل الامبراطورية الرومانية - تم خضوعها لسلطانهم عقب موقعة " اكتيوم " بعد أن أنهي الامبراطور الروماني " أوكتافيوس " حكم الملكة كليوباترة عام ٣٠ق. م. بعد أن استطاعت أن تستقل بمصر استقلالا صوريا عن الامبراطورية اليونانية، التي كان قد أصابها الضعف علي يد أباطرتها الإغريق ..الذين حكموا مصر من عام ٣٣٢ق م إلي ٤٤ق م ..

وعندما فتح أوغسطس مصر وأعلن ضمها إلي سلطان الشعب الروماني، عانت مصر في عهدهم كثيرا من ضروب الذل والهوان، لأنهم كانوا يتقنون أساليب الاستغلال، ويتفننون في استنزاف موارد البلاد .. في عهدهم ذاق المصريون ألم الجوع والحرمان، وزاد الرومان إمعانا في ظلمهم واستغلالهم بعد أن دخل المصريون في المسيحية، وصبروا علي ما أصابهم حتي نفذ صبرهم، وثاروا ثورة عارمة بقيادة القديس جرجس - ماري جرجس - وحدثت مقتلة الشهداء التي راح فيه آلاف مؤلفة من المصريين في طليعتهم رجال الدين، واعتبرت هذه الموقعة مبدأ للتاريخ القبطي المعروف الآن .. لم يجد المصريون سبيلا للخلاص من ظلم الرومان غير الفرار إلي المعابد والأديرة التي أقاموها

في أطراف البلاد .. تلك الأديرة الأثرية النائية كان سببها الأكبر هو طغيان الرومان [1]..

في آخر القرن الأول الميلادي نما عدد المسيحيين في الإسكندرية فامتد إليهم لهيب اضطهاد القيصر تراجان - الذي تولي الحكم سنة ٩٨م - واشتد عليهم ، واستشهد في ذلك الاضطهاد الكثيرون .. ومنذ ذلك التاريخ أصبح اضطهاد أقباط مصر جزءا من حياة نصاري مصر، وبشكل لم يحدث له مثيل لأية فئة أخري من نصاري العالم كله . ولم ينته إلا بدخول العرب مصر ..

استمر اضطهاد حكام الرومان لنصاري مصر حتي بعد أن دخلت المسيحية روما ذاتها، لأن روما اعتنقت المسيحية المخالفة لعقيدة أقباط مصر، واستمر ذلك الخلاف الدامي لعدة قرون ولم ينته ..

مثلما اضطهدت مصر علي يد أباطرة الرومان الوثنيين اضطهادا عنيفا، اضطهدت بنفس القسوة من معظم أباطرة الرومان المسيحيين .. كان الأباطرة الوثنيون يخشون خطر المسيحية علي عروشهم الغارقة في الفساد والدعارة .. لذلك استخدموا كافة ألوان التعذيب الوحشية من حرق وجلد وصلب وسلخ ونشر ورجم وتقطيع أعضاء وتهشيم أسنان والإلقاء إلي الوحوش المفترسة دون جدوي .. وبعد أن كان الأباطرة يعمدون إلي قتل الأفراد، أخذوا يبيدون قري ومدنا بأكملها !! حتي وصل عدد شهدائهم مئات الألوف ..

كان أسوأ ما تعرض له المصريون في ظل الحكم البيزنطي تلك المظالم والاضطهادات التي كانت ترتكب في حقهم باسم الدين، فقد كان المصريون يختلفون عن حكامهم البيزنطيين في المذهب الديني حول طبيعة المسيح هل هي إلهية وناسوتية، كما يقرر مذهب الدولة الرسمي، أم إلهية فقط كما استقرت عليه الكنيسة المصرية منذ مجمع نيقية عام ٣٢٥م ..

أصبحت مصر خلال القرنين السابقين للفتح العربي ساحة للمعارك الدامية بين الأحزاب والمذاهب السياسية والدينية، ومرتعا للصوص وقطاع الطرق

---

(١) د . سيدة الكاشف - مصر في فجر الإسلام

والمغيرين البرابرة، وأصبحت جرائم القتل شيئا مألوفا في شوارع المدن وأزقة القري، وانتشرت الأوبئة والمجاعات، وما إن أهل القرن السابع الميلادي حتي كان أقباط مصر قد وصلوا إلي حالة تستحق أعمق الرثاء، فقد انهارت قواهم الذاتية، وتفرقت صفوفهم، ودب فيها الفناء، وفقدوا كل أمل في الخلاص وأصبحوا يرحبون بكل ما يمكن أن يخلصهم من هذه الشدة [١].. وفي قمة اليأس القاتل فتح باب الخلاص علي مصراعية بمقدم الفاتح العربي عمرو بن العاص..

**الأنبا بنيامين:**

كان بنيامين أول بطريرك شرعي للأقباط في عهد هرقل علي مصر، كانت حياته كلها سلسلة من الآلام .. فلم يكد يرسم بطريركا حتي أوفد هرقل قيصر الرومان بطريركا بيزنطيا مخالفا لعقيدة الكنيسة القبطية .. ليوفق بين عقائد المسيحيين الرومان والمصريين .. ورفض بنيامين قبول المعتقد البيزنطي، وخوفا علي حياته قرر الهروب والاختفاء في دير صغير بصعيد مصر بعيدا عن اضطهاد الوالي البيزنطي الذي اغتصب كرسي الكنيسة القبطية بالأسكندرية ..

ظل بنيامين هاربا طيلة عشرون عاما في صعيد مصر، إلي أن دخل عمرو بن العاص مصر فاتحا فأرسل له كتابا يدعوه فيه للحضور إليه دون خوف، وحضر بنيامين وقدم لعمرو شكره، فأكرمه عمرو وأعطاه الأمان لنفسه ولرعيته، وعزل عمرو بطريرك روما عن كرسي الكنيسة القبطية، ورجع بنيامين إلي كنيسة الإسكندرية معززا مكرما .. وعاد الأقباط الهاربون في النجوع والأديرة النائية إلي المدن ينعمون مع بطريركهم الشرعي ومزاولة عبادتهم معه ..

يقال أن الأنبا بنيامين رأي في منامه قبيل الفتح أن مصر ستفتح لأناس مختونين تجد خلاصها علي أيديهم، وذكر ابن عبد الحكم صاحب أقدم كتاب عن فتح مصر أن الأنبا بنيامين عندما بلغه مقدم عمرو بن العاص جمع أساقفته

---

(١) .. بتلر – فتح العرب لمصر – ترجمة فريد أبو حديد

وأبلغهم أنه لن تكون للروم دولة في مصر، وأن ملكهم قد انقطع، وأمرهم بتلقي عمرو .. والثابت أن القبط كانوا عونا للعرب في فتح بلادهم خاصة عندما زحف عمرو إلي الإسكندرية فكانوا يرممون لهم القناطر والجسور، ويحضرون لهم المؤن والمعلومات المفيدة، ويحاصرون معهم قلاع البيزنطيين ويحولون دون اتصالها سويا، وفي هذا يقول ابن عبد الحكم:

"فخرج معه جماعة من رؤساء القبط، وقد اصلحوا لهم الطرق، وأقاموا لهم الجسور والأسواق، وصارت لهم القبط أعوانا علي ما أرادوا من قتال الروم" (١)

**الوجود العربي في مصر:**

صلة الرحم والنسب بين المصريين والعرب قديمة تمتد جذورها إلي أبعد من عصر إبراهيم عليه السلام وهاجر المصرية .. أحس بهذه العلاقة التاريخية المقوقس عظيم القبط قي مصر، فأرسل إلي النبي صلي الله عليه وسلم مارية القبطية، هدية خالصة له عليه الصلاة والسلام، ردا علي كتابه الذي أرسله النبي ﷺ يدعوه فيه إلي الإسلام، ولهذا أوصانا النبي عليه السلام بأقباط مصر خيرا في قوله: " إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما "

هذا وتوضح القراءة التاريخية المتأنية، أنه حين فتح العرب المسلمون مصر عام ٢١هـ وضعوا حدا ونهاية حاسمة لتبعية أجنبية، تواصلت نحو أحد عشر قرنا من الزمان .. بدأت بغزو فارسي عام ٥٢٥ ق.م. ثم احتلال يوناني وروماني . . لم يكن فتح العرب المسلمين لمصر احتلالا أو غزوا خارجيا كما يزعم البعض،لأن العرب المسلمين الفاتحين لم يكونوا غرباء عن المنطقة فهم قادمون من شبه الجزيرة العربية، ذلك الخزان البشري الهائل الذي كان مصدرا لهجرات بشرية تدفقت علي الهلال الخصيب ووادي النيل، وانساحت حتي الشمال الأفريقي علي دفعات متتالية منذ فجر التاريخ، ثم إن العرب الفاتحين كانت تجمعهم بشعوب المنطقة وقبائلها قرابة جنسية ولغوية وتراثية، كما أن المصادر التاريخية تجمع علي أن الفتح العربي الإسلامي لم يسقط سلطة وطنية ولم يصطدم

---

(١) الرافعي وعاشور – مصر في العصور الوسطي

بقوي شعبية، ولكن كان الصدام مع القوي الأجنبية المحتلة المستغلة، وأن الشعوب في المنطقة قد نظرت إلي الفتح العربي الإسلامي علي اعتباره عملية تحرير رفعت عن كاهلها نير الطغيان الأجنبي والاضطهاد الديني [١]..

كان للعرب وجودهم في الهلال الخصيب ووادي النيل ودلتاه، منذ أواسط القرن الثامن ق.م.، ثم تواصل تدفقهم علي الهلال الخصيب ووادي النيل ودلتاه في ظل سيطرة الفرس والرومان واليونان، وكان تفاعلا واضحا بين الهجرات المتتالية، ولقد عزز هذا التفاعل القرابة السلالية واللغوية بين العرب والشعوب والقبائل، التي عمرت المنطقة منذ فجر التاريخ، تلك القرابة التي أكدها علماء الأجناس واللغات، حيث يذهبون إلي أن الجزيرة العربية كانت الموطن الأول لغالبية الجماعات البشرية التي استقرت في وادي الرافدين ووادي النيل والشمال الأفريقي ..

كانت مصر مرتبطة بالعرب والعروبة قبل الفتح الإسلامي بعهود سحيقة وأزمان بعيدة .. يذكر مانيتون المؤرخ السكندري ويوسيفوس المؤرخ الإسرائيلي المتوفي في أواخر القرن الأول للميلاد، أن هجرات متلاحقة تمت علي وادي النيل، ومن هؤلاء المهاجرين الهكسوس، وهم عرب سماهم المصريون شاسو أي البدو .. ملوك البدو .. ويذكر هيرودت أن قبائل عربية سكنت شرقي مصر، تأثروا بها، وأثروا فيها، وتركوا أعقابا وأحفادا، وامتزج الدم العربي بالدم المصري، وتسمي فراعنة مصر بأسماء عربية مثل مصعب والوليد[٢] ..

ومنذ ظهر العرب بهويتهم الصريحة أواسط القرن الثامن ق.م. كان لهم وجود وفعالية بارزان في الهلال الخصيب ودلتا مصر، ووادي النيل والشواطئ الغربية للبحر الأحمر، ويؤكد ذلك الجغرافي اليوناني " استرابون " عندما زار مدينة فقط بالصعيد عام ٢٥ق.م. وجد أنها نصف عربية، والعرب كانوا يشغلون

---

(١) عوني فرسخ – الأقليات في التاريخ العربي – بيروت – لندن ١٩٩٤م

(٢) ابن إياس – بدائع الزهور في وقائع الدهور

آنذاك المنطقة ما بين البحر الأحمر والنيل .. في أعالي الصعيد بلغ تركز القبائل العربية في شرق الدلتا حدا دعا إلي تسمية الإدارة الحكومية لهذا الأقليم باسم الأقليم العربي .. ولو انتقلنا إلي الهجرات العربية التي تدفقت علي مصر قبل الفتح الإسلامي فسوف نري بصماتها لا تزال قائمة علي جانبي وادي النيل الممتد من الجيزة حتي أسوان .. حيث لا يلبث أن يتوقف بك القطار أمام بني سويف، وبني مزار، وبني مر، وبني حسن .. وكلها أسماء لقبائل عربية آثرت أن تستوطن الصعيد لأسباب بيئية ولتشابه الظروف المناخية مع جو صحراء بلاد العرب ..

ولا تزال مسيرة بني هلال يتردد صداها في الفن المصري الشعبي، ولا يزال أبناء الصعيد والريف يلتفون حول شاعر الربابة ليروي لهم قصة أبو زيد الهلالي عندما خرج بقومه من بطن الجزيرة إلي صعيد مصر قبل أن يواصل مسيرته إلي تونس في مهمة تأديبية لسلطانها الذي تمرد علي زعامة المعز لدين الله الفاطمي ..

ومنذ فجر المسيحية استقرت قبائل كهلان والقبائل المتحدرة من قحطان في شمال شرق مصر وشكلت ركيزة تعريب إقليم الشرقية، كما انتشرت قبائل جذام ولخم في الشمال والجنوب من هذا الإقليم، كما أنه في القرون السابقة للفتح الإسلامي كان في الإسكندرية جاليات عربية، كما أقطع حاكم منطقة تنيس للغساسنة قبل الفتح العربي بسنوات [١]..

كما أن المصادر التاريخية تكاد تجمع علي أن العرب بعد الفتح الإسلامي، قد نجحوا في اعطاء شعوب المنطقة الهوية الخاصة، في الوقت الذي فشل فيه الفرس والإغريق والرومان وغيرهم في إعطاء تلك الشعوب هوياتهم الخاصة، برغم خضوع المنطقة لهم أحقابا طويلة، تمت فيها الهيمنة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية علي البلاد، بسبب انعدام القرابة الجنسية واللغوية بين الشعوب وحكامها الأجانب ..

---

(١) عبد الله خورشيد البري – القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولي للهجرة – القاهرة – الهيئة المصرية العامة للكتاب – عام ١٩٦٧م.، أبوسيف يوسف – الأقباط والقومية العربية ١٩٧٨م .

## الفتح الإسلامي لمصر:

نبه الرسول ﷺ، أصحابه لمصر، وفضل مصر وشعب مصر .. فقد ذكرها القرآن في أكثر من آية، وذكرت في أحاديث كثيرة .. فعن عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض " فقال له أبو بكر: " ولم يارسول الله ؟ " قال: " لأنهم وأزواجهم في رباط إلي يوم القيامة " أي في صلة دائمة بالله إلي يوم القيامة ..

وفي حديث آخر قال ﷺ: " إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فإن لهم ذمة ورحما " .. والرحم هنا إشارة لأم سيدنا إسماعيل، الجد الأكبر للرسول ﷺ .... هاجر المصرية التي تزوجها إبراهيم عليه السلام ..

وفي حديث ثالث عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إنكم ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما"

وفي حديث رابع عن عمر بن الخطاب: " سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لكم منهم ذمة وصهرا " والإشارة هنا إلي مارية القبطية هدية المقوقس وزوجة رسول الله ﷺ ..

وفي حديث خامس، قال ﷺ: " الله الله في قبط مصر، فإنكم ستظهرون عليهم، ويكونون لكم عدة وأعوانا في سبيل الله " وقد حدث هذا فعلا أيام قطز ضد التتار وأيام صلاح الدين ضد الصليبيين ..

وظلت وصايا الرسول ﷺ، بقبط مصر وبشاراته بفتحها، حتي وهو في مرضه الأخير وهو يعاني سكرات الموت ..

بعث النبي ﷺ في السنة السادسة من الهجرة برسائل إلي كسري الفرس، وقيصر الروم، ومقوقس مصر ، وبعض ولاة الجزيرة العربية الخاضعين للفرس والروم وحاكم عمان .. ولأن المقوقس – رغم أصله اليوناني – كان قد تأثر بالمذهب الديني الذي يؤمن به أقباط مصر، فقد أحسن استقبال مبعوث رسول الله

ﷺ و من معه، وأجري معه حوارا، أخبره فيه المقوقس بأنه يعلم أن نبيا قد بقي، وأنه كان يظن أن مخرجه من الشام، وأخبره بأن القبط لن يطاوعوه في اتباعه، ثم دعا المقوقس كاتبا فكتب رده علي رسول الله ﷺ، وبعث بجاريتين لهما مكان لدي القبط، وهدايا .. كان سبب إرسال المقوقس للجاريتين والهدية هو ما روي عن المقوقس بأنه لما جاءه كتاب رسول الله ﷺ ضم الكتاب إلي صدره وقال:

هذا زمان يخرج فيه النبي الذي وصفه ونعته في كتاب الله – الكتاب المقدس – وصفة هذا النبي المرتقب أنه: لا يجمع بين الأختين في نكاح، وأنه يقبل الهدية، وأن خاتم النبوة بين كتفيه، ولا يقبل مال الصدقة، وجلساؤه من المساكين .. ثم أرسل مع الجاريتين والهدية رسولا من قبله وطلب منه أن ينظر من جلساؤه وينظر إلي شامة كبيرة في ظهره .. ففعل .. وقدم للرسول الجاريتين الأختين والدابتين، والعسل والثياب وأعلمه أن ذلك كله هدية، فقبل الرسول الهدية، واختار مارية زوجة له بعد أن بادرت قبل أختها إلي الإسلام، وولدت له مارية إبراهيم الذي توفي قبل أن يبلغ الستة عشر شهرا، ووهب الرسول أخت مارية إلي جهم بن قيس العبدري ..

**الأقباط يرحبون بالفتح الإسلامي:**

الأقباط هم نصاري مصر، وهم أكثر نصاري العرب عددا، ليسوا أقلية عرقية أو سلالية، وليست لهم لغة أو ثقافة خاصة بهم تعزلهم عن غيرهم، وإنما هم جزء من نسيج المجتمع المصري الاجتماعي والثقافي .. يختلفون في العقيدة الدينية، وهو حق كفلته الشريعة الإسلامية الغراء، ونص عليه الدستور المصري وقرر للمواطنين جميعا حرية العقيدة وحرية العبادة وإقامة الشعائر، والجميع في الحقوق والواجبات سواء، وإن بقوا من الناحية الشخصية علي عقائدهم وعباداتهم .

ويفترق الأقباط إلي ثلاث فرق: –

١– **الأقباط الأرثوذكس:** ويتبعون للكنيسة الشرقية، وهذا المذهب منتشر في أوروبا الشرقية وروسيا، ويحرمون الطلاق إلا في حالة الزنا ..

٢- **الأقباط الكاثوليك:** وهم أتباع بابا روما، وبابا الفاتيكان هو الرئيس العام لجميع الكاثوليك في العالم ..وهم أكثر الأوربيين الغربيين وشعوب أمريكا الجنوبية، ويحرمون الطلاق بتاتا حتي في حالة الزنا، ويبيحون أكل الدم والمخنوق ..

٣- **الأقباط البروتستانت:** وهم أتباع مارتن لوثر، ويسمون بالإنجيليين، ويرون أن الخطايا والذنوب لا تغفر إلا بالندم والتوبة، وأن لكل أحد الحق في فهم الإنجيل، ويحرمون الصور والتماثيل في الكنائس لأنها مظهرا من مظاهر الوثنية وينتشر هذا المذهب في ألمانيا وبريطانيا وكثير من بلاد أوروبا وأمريكا الشمالية ..

بعد أن خسر هرقل الحرب في الشام وهو في أوج قوته وانتصاراته الفارسية، استقر في الأعماق أن الهزيمة لا محالة من نصيبهم، وأن النصر لا جدال في صالح العرب، كان اعتقادهم الراسخ أن العرب لا يقهرون ..

وقر في أذهان المستوطنين الروم في شتي أنحاء الامبراطورية أنهم آثمون، وأن العرب سوط عذاب به يقتص الله منهم جزاء اثمهم وخطاياهم .. قيلت هذه العبارة في صراحة في مؤتمر انطاكية وعلي مسمع من هرقل الذي كان يشعر شخصيا بأنه غارق في الخطيئة بسبب علاقته المحرمة بابنة اخته مارتينا .. وفي نفس الوقت كانت أخبار الفتوح الإسلامية تصل إلي أسماع المصريين أولا بأول .. العرب يهزمون الروم والفرس، ويقوضون الامبراطوريات العاتية، وينتصرون في السهل والجبل دون أن تستطيع قوة أن تقف في وجههم، وهم إلي جانب ذلك حملة عقيدة سمحاء، ويسيرون بين الناس بالرحمة والعدل، وأن الخليفة العربي عمر بن الخطاب يرفض الصلاة في كنيسة القيامة حتي لا يطالب بها المسلمون من بعده، ويعطي عهدا بالأمان لبطريرك بيت المقدس، ثم إن العرب من قبل ومن بعد أبناء عمومة المصريين فهم أبناء إسماعيل من هاجر المصرية، وأقرب إليهم من أي جنس آخر، وها هو النبي العربي يستوصي بأقباط مصر خيرا فإن لهم ذمة ورحما .. وهكذا كان

المصريون مهيأين تماما لاستقبال الفتح العربي والتعاون مع الفاتحين ..

لقد عرف المصريون أن مباديء إخوانهم العرب المسلمين تقوم علي العدالة والمساواة والأخذ بيد الضعيف وعدم الإكراه في الدين والعمل علي إقامة مجتمع سليم تسوده المحبة والإخاء والرحمة .. لذلك حين قدم إليه عمرو بن العاص علي رأس جيش المسلمين عام ١٨هـ وجد نفوسهم مستعدة لقبول دعوته، ولم يجد منهم مقاومة تذكر، ولكن المقاومة المستميتة كانت من جانب جيوش الرومان التي تصدت له عند الفرما والإسكندرية، ولكنه تغلب عليهم وتمكن من طردهم، وأقبل العرب إلي مصر أفواجا كثيرة .. ووجدوا في ربوعها حياة كريمة بين إخوة فتحوا لهم قلوبهم، وأنسوا إليهم وأحبوهم وأقبلوا يقيمون معهم علاقات أخوة ومصاهرة .. واختلط المصريون والعرب وامتزجوا، ومنهما نشأ شعب عربي واحد ..

كان لمبادئ الإسلام، وللمعاملة الكريمة الطيبة والأسوة الحسنة التي سار عليها المسلمون الأول أثر كبير في إقبال المصريين علي اعتناق الإسلام .. وجد المصريون في هذا الدين منفذا لهم مما هم فيه، واعتبروه علاجا لآلامهم وبلسما لجراحهم التي طال عليها الأمد، وسار كثير من هؤلاء المصريين الذين أسلموا تحت لواء الإسلام جنودا فاتحين ومن بقي من المصريين علي دينه أمنه المسلمون عليه لأن مبدأ الإسلام " لا إكراه في الدين " .. ونفذ المسلمون وصية نبيهم محمد ﷺ " إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لكم بهم صهرا وذمة " فكانوا يتحببون إلي الأقباط، ولم يكن العرب غزاة أتوا للسلب والنهب، ولذلك لم يتركوا في فتوحاتهم أي أثر للعسف أو الظلم [١] ..

رحب الأقباط في مصر بالفاتحين العرب، وكذلك كان حال الآراميين في العراق وبلاد الشام، كما انضم إلي جيوش الفاتحين من هم من أهل البلاد إلي جند حبيب بن مسلمة الفهري في فتحه لشمالي سوريا، وفي الشمال الأفريقي صالح أهل برقة عمر بن العاص، وأدوا له الجزية، وحين سير عثمان بن عفان

---

(١) د . سيدة إسماعيل الكاشف – مصر في فجر الإسلام

والي مصر عبد الله بن أبي السرح، لفتح أفريقيا ضم جيشه عددا من أقباط مصر وفي فتوح بلاد الشام توزع الأقباط، ما بين ولائهم لبني دينهم الرومان، وولائهم لبني قومهم العرب الفاتحين، ففي موقعة اليرموك لحق جبلة بن الأيهم ملك غسان، ومن معه بجيش هرقل، فيما لم تحل نصرانية عرب حمص دون المشاركة مع أبي عبيدة بن الجراح في القتال ضد البيزنطيين، وفي فتح العراق برز الولاء القومي بصورة أوضح، ففي معركة الجسر ١٣هـ . أنجد المثني بن حارثة زعيم مسيحي من بني طيء، كما تدفقت علي جيشه إمدادات قبيلة بني نمر النصرانية، التي كانت تقيم داخل الدولة البيزنطية، وفي معركة البويب استوي المثني علي فرسه وتوجه إلي القائد المسيحي وقال له: إنك امرؤ عربي، فإذا حملت فاحمل معي، فارتد الفرس أمام هجومهم المروع [١]..

كان الفاتحون العرب يدعون الناس إلي الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، وكانت رؤيتهم إلي السيد المسيح، لاتختلف كثيرا عن تصورات آريوس، ومن بقي علي تأييد تعاليمه في مصر، مما جعل الدعوة الإسلامية مقبوله لدي الكثيرين من النصاري، هو أن الإسلام لا يفرق من حيث المبدأ بين محمد ﷺ وبقية الأنبياء، فالإسلام يقر الرسالات السماوية السابقة، ويدعو إلي التفاعل مع معتنقيها: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾(العنكبوت:٤٦) .

وعندما دخل عمر بن الخطاب بيت المقدس لم يُصلِّ إلا خارج كنيسة القيامة، تأكيدا لحق المسيحيين في دور عبادتهم، والحرص علي عدم سوق أسباب قد يحتج بها مستقبلا لمنازعتهم في ملكيتها، وقد جاء في العهدة العمرية لأهل إيلياء " القدس ":

" هذا ما أعطي عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين لأهل إيلياء من الأمان، وأعطاهم أمانا لأنفسهم وصلبانهم وسقيمها وبدينها وسائر ملتها، ألا

---

(١) سير توماس أرنولد – الدعوة إلي الإسلام – مكتبة النهضة ١٩٧٠م.

تسكن كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من غيرها ولا من صليبهم، ولا شيء من أموالهم ولا يكرهون علي دينهم ولا يضار أحد منهم، ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود "

أقبل نصاري الشرق علي الإسلام إقبالا واسعا بسبب الحالة التي كانت قد وصلت إليها الكنيسة الشرقية في الشام ومصر، فقد تدهورت في ذلك الوقت الكنيسة من الناحيتين الخلقية والروحية .. هذه الحالة دفعت الكثيرين إلي أن يلتمسوا جوا روحيا أسلم وأصح وجدوه في الدين الجديد، وخاصة بعد أن كثرت صراعات رجال الكنائس الشرقية واختلافاتهم في أشد مسائل الدين إبهاما وأكثرها غموضا، فيما يتعلق بما وراء الطبيعة في العقيدة الدينية، واستحكام العداوة بينهم، مما زعزع أسس عقيدة آلاف الناس وجعلهم يلتمسون ملجأ من حيرتهم في حقيقة الوحدانية والواضحة التي جاء بها الإسلام، لقد جذبت بساطة تعاليم الإسلام الناس الذين ضاقوا ذرعا بالجدل والصراعات المذهبية ..

جاء الإسلام إلي الناس يحضهم علي التواضع والتسامح وسعة الصدر، والبر بالإنسان بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو دينه، ولم يلجأ الفاتحون إلي وسائل الضغط والإكراه والإغراء لفرض دينهم ولغتهم علي شعوب البلاد المفتوحة ..

**يذكر سير توماس أرنولد في كتابه الدعوة إلي الإسلام:**

" لم نسمع عن أي محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين علي قبول الإسلام أو عن اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي، ولو اختار الخلفاء المسلمين تنفيذ إحدي الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصي بها فرديناند وإيزابيلا دين الإسلام من أسبانيا، أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين عن انجلترا مدة خمسين وثلاثمائة سنة، ولهذا فإن مجرد بقاء الكنائس حتي الآن ليحمل في طياته الدليل علي ما قامت عليه سياسة الحكومات الإسلامية بوجه عام من تسامح نحوهم "

رحب الأقباط بالفتح الإسلامي لأنه كان إيذانا ببدء مرحلة تحرر من

التبعية والهيمنة الخارجية، وشهدت البلاد حرية في العقيدة والفكر لم تكن سائدة قبل الفتح الإسلامي، فالحرية والمساواة نص عليهما الإسلام واعتبرهما ملزمتين للحاكم، وحقا للمحكوم .

قررت التشريعات الإسلامية الحرية لليهود والنصاري، ولم يجبرهم علي اعتناق الإسلام: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾(البقرة:٢٥٦). ﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ﴾(الكافرون:٦). ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ ﴾(الكهف:٢٩) .

كما أبقي العرب الفاتحون علي ما وجدوه في الأمصار المفتوحة من أنظمة وتشريعات وأعراف، مما لا يتناقض مع النص من كتاب وسنة، ومن بين ما أبقوه عليه الجزية، وهي ضريبة عينية علي الرؤوس سنويا، كانت موجودة قبل الفتح الإسلامي، وكان الروم يفرضونها علي الفتاة ابتداء من سن الثانية عشرة، وعلي الفتي من الرابعة عشر، وكان اليهود في الإسكندرية قبل فتحها يدفعون الجزية لقاء إعفائهم من الجزية، فجاء الإسلام وحصر تحصيلها علي الرجال الأحرار العقلاء الأصحاء، وأعفيت النساء من دفعها، ولم تحصل من صبي ولا مجنون، ولا عبد، ولا ابن سبيل، ولا سائل ولا راهب، ولا شيخ، وأصبحت جزية الفرد من أهل الذمة دينارا بعد أن كانت أربعة دنانير علي الأغنياء .

كان التسامح الديني، وتخفيف وطأة الضرائب علي الأقباط والنصاري من وراء حسن استقبال العرب الفاتحين .. فتحا أمام العرب مدنا عديدة، وكفلا لهم حسن الاستقبال من قبل الجماهير الريفية ..

يذكر رجاء جارودي في كتابه " وعود الإسلام " ترجمة د. ذوقان فرقوط:

إن الأساقفة في سوريا رحبوا بالفتح العربي الإسلامي لإنه وضع نهاية حاسمة للاضطهاد الديني في المنطقة، ويروي علي لسان أحدهم " إن إله الإنتقام إذ رأي خبث الرومان وأذاهم الذين حيثما كانوا ينهبون بوحشية كنائسنا وأديرتنا ويقضون علينا بلا شفقة أرسل إلينا أبناء إسماعيل لإنقاذنا منهم .. ولم تكن تلك

فائدة طفيفة بالنسبة إلينا أن نتخلص من قساوة الرومان ومن خبثهم وأذاهم ومن غضبهم ومن غيرتهم الفظة وأن نجد أنفسنا في راحة "

لم يكن الفتح الإسلامي احتلالا أو غزوا استعماريا، فلم يصبح الفاتح العربي، كالغازي الأوربي في جنوب أفريقيا، طبقة مستعمرة مستغلة، متفوقة، متميزة، ولا كالأوربي في الأمريكتين واستراليا، سفاحا مبيدا للحضارات متلفا، ولا كالأوربي والأمريكي الذي يستنزف ويمتص دماء الشعوب، في بقاع شتي، مجوعا لها ومشردا إياها، وناهبا لبترولها ومقسما ترابها إلي ممالك ودول ..

كان الفتح الإسلامي تضحية عالمية، تحمل أعباءها الإنسان العربي، الذي أعطي الكثير وأخذ القليل .. أعطي زهرة شبابها الذي بذل الدماء ..

لم يكن الفتح العربي دافعه الجوع أو الاستيلاء علي الأراضي الخصبة في مصر والشام وشمال أفريقيا والعراق .. كان دافعه تحرير الإنسان من الطواغيت .. من الاستعمار الفارسي والرومي .. حررت الفتوحات العربية الإنسان والأرض من الخوف، وأنقذته من الجوع صارت الشعوب التي كانت تحكمها الأكاسرة بإمكانها أن تبني حياة جديدة يسودها الحب والإخاء ..

**الفتح العربي الإسلامي يضع النهاية الحاسمة للاضطهاد الديني للنصاري:**

تعرض أتباع الكنيسة الأرثوذكسية لمذابح وحشية طالت رجال الكنيسة قبل الفتح الإسلامي، ولم يؤد تحول القياصرة الرومان إلي النصرانية إلي وقف اضطهادهم لنصاري الشرق العربي، ذلك الاضطهاد البشع الذي وصل حد تحريق الرجال والنساء لتحويلهم عن عقيدتهم، بعد الاختلاف حول طبيعة السيد المسيح ﷺ، وأسس الإيمان بالثالوث، وبعد أن اختلفت رؤية كنيسة بيزنطة عما رأته كل من كنيسة السريان بالشام، وكنيسة الأقباط بمصر ..

أعلنت الكنيسة البيزنطية الحرب علي الكنيستين القبطية والسريانية، ومارست الدولة البيزنطية قمعا واضطهادا قاسيين علي أتباع الكنيستين، مما كان له انعكاسا واضحا علي موقف نصاري الشرق من الفتح العربي الإسلامي، الذي وضع نهاية حاسمة للاضطهاد الديني في المنطقة .

يذكر أحد رجال الدين المسيحي: " إن إله الانتقام بعد أن رأي خبث الرومان وأذاهم ، الذين حيثما كانوا يسيطرون وينهبون بوحشية كنائسنا وأديرتنا ويقضون علينا بلا شفقة .. أرسل علينا من الجنوب أبناء إسماعيل لإنقاذنا منهم، ولم تكن تلك فائدة طفيفة بالنسبة إلينا أن نتخلص من قساوة الرومان، ومن خبثهم وأذاهم، ومن غضبهم ومن غيرتهم الفظة وأن نجد أنفسنا في راحة "

جلب الفتح الإسلامي إلي الأقباط في مصر حياة تقوم علي الحرية الدينية التي لم ينعموا بها قبل ذلك بقرن من الزمان وقد تركهم عمرو أحرارا علي أن يدفعوا الجزية، وكفل لهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، وخلصهم بذلك من التدخل المستمر الذي أنوا من عبئه الثقيل في ظل الحكم الروماني ..

يا أقباط مصر:

لا تطـيعوا مــنا ومــنكم أناسا ... بــذروا بينــنا بــذور الجفــاء
لا تولــوا وجــوهكم شطر من ... عكــر مــا في قلوبنا من صفاء
إن ديــن المسيح يأمر بالعرف ... وينهــي عــن خطــة الجهلاء
لا يكــن بعــضنا لــبعض عدوا ... لعــن الله مــستبيحي العــداء

إسماعيل صبري

# الفتوح الإسلامية

## طبيعة الفتوح الإسلامية:

هناك فرية قديمة أطلقها نفر من أعداء الإسلام، وصدقها بعض الغافلين وهي أن الإسلام قد انتشر بالقوة وأن المسلمين غزاة أكرهوا الناس علي اعتناق الإسلام !! إنها أكذوبة شديدة الغرابة، شديدة الزيف، تدحضها حقائق الواقع والتاريخ، قديمه وحديثه ..

كانت القاعدة التي سار عليها الفتح الإسلامي في نشر الدعوة هي التي رسمها القرآن الكريم ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(النحل:١٢٥) .. سار علي هذه القاعدة رسول الله ﷺ أول الفاتحين وأعظمهم ومن بعده الصحابة رضوان الله تعالي عليهم لزموا غرزه وتأسوا به .

كانت الفتوحات الإسلامية حركة تحريرية رفعت شعار الانطلاق إلي العالم لإخراج الإنسان من ضيق الدنيا إلي سعتها ومن جور الأديان إلي عدل الإسلام، ومن عبادة العباد إلي عبادة رب العباد وحده لا شريك له ..تمكنت هذه الحركة من التجذر في كل مكان وصلت إليه، وتفوقت علي كل صيغ التآكل والانكماش والفناء التي تعرضت لها سائر محاولات الانتشار والهيمنة في التاريخ البشري، فأين هي الآن علي سبيل المثال فتوحات هانيبال وسنحاريب وقمبيز والإسكندر المقدوني ويوليوس قيصر وجنكيزخان وهولاكو ؟ وأين هو توسع نابليون بونابرت وهتلر وموسوليني، أين هي الامبراطورية البريطانية التي لا تغيب عنها الشمس ؟ وأين هي مستعمرات وممتلكات أسبانيا والبرتغال وفرنسا ؟ أين هو الاتحاد السوفيتي ؟

تآكلت كلها وتعرضت للتفتت والانكماش والغياب .. أما الذي بقي هو الفتح الذي نفذه هذا الدين لأنه كان ينطوي علي كلمة الله في العالم، ويستهدف تحرير الإنسان من كل صيغ الطاغوت والصنمية والاستلاب [١]..

---

(١) د. عماد الدين خليل – التاريخ الإسلامي – الدار العربية للعلوم

**لم تكن حروب ككل الحروب:**

تميزت الفتوحات الإسلامية بامتدادها علي أراض لها أهميتها في العالم، كما تميزت بعمق أثرها ودوامه، رغم تصدي قوي الجاهلية الأولي واليهودية والردة والمجوسية والصليبية والصهيونية والشيوعية والإلحاد وغيرها لها .. وحلت اللغة العربية بعد أن انتشر الإسلام محل لغات متفرقة، وقام شعب عربي مسلم في منطقة هي صرة العالم – الشرق الأوسط والشمال الأفريقي – تجمع بين أبنائه أواصر العقيدة واللغة والتاريخ والعادات والنسب والمصالح .. وثبتت اللغة العربية دون أن تتغير أو تتبدل أو تندثر .. وصمد الدين لم يناله التبديل أو المسخ أو الزيادة أو النقصان ..

في التاريخ شملت فتوحات الإسكندر الأكبر واجتياحاته نحو خمسين خطا من خطوط الطول، وبلغت مسيرتها أكثر من ١٧٠٠٠كم طيلة تسع سنوات قبل أن يموت عام ٣٢٣ق.م . ولكن سرعان ما تلاشت بعد أن انقسمت وتفككت بمجرد وفاته ولم تخلف أثرا يذكر ولم تعد أكثرمن حديث ..

وفي التاريخ أيضا كانت اجتياحات جنكيزخان التي اكتسحت من أمامها من شرق آسيا إلي غربيها، وأسقطت الخلافة العباسية ولم يوقفها سوي جيش مصر الإسلامية بقيادة سيف الدين قطز في عين جالوت بالقرب من غزة، وارتد المغول في هزائم متلاحقة .. ولم يعد التاريخ يذكرهم بغير اللعنات علي ماارتكبوا من جرائم يندي لها الجبين ..وهكذا كانت أعمال تحتمس الثالث، وهانيبال، ويوليوس قيصر في صفحات التاريخ القديم، ونابليون بونابرت، وبنيتوموسليني، وأدولف هتلر في التاريخ الحديث بعد أن انتكست أعمالهم وانتهت ..

كان للفتوحات الإسلامية أثر لصدق رسالة الإسلام، وشموليتها وعموميتها وصلاحيتها لكل مكان وزمان، ولأن الفاتحين الأوائل كانوا أصحاب عقيدة حقة، وذوي إيمان وأمانة، ففتحوا القلوب بدعوتهم سيرتهم قبل أن يفتحوا الأرض بسيوفهم .. كانت الفتوحات تهدف إلي نشر الدعوة، وتحرير الناس من طواغيت

الأرض، وتأمين الحدود، فكان لها كل ذلك .. أمنت الحدود من تدخل الفرس والروم، وأسقطت طواغيت فارس التي أشاعت الظلم والبطش، وأتمت جلاء النفوذ البيزنطي عن الشام ومصر، ودخل الناس في دين الله أفواجا ..

## الفلسفة الإسلامية للفتوح الإسلامية:

لم يكن الفتح الإسلامي لتحقيق أهداف إمبراطورية، أوسياسية، أواستراتيجية لتكوين دولة عظمي تكون عاصمتها مكة أو المدينة .. بدليل ضمور مكة والمدينة بعد الفتوحات مباشرة، وانتقال الثقل السياسي إلي دمشق في عصر الأمويين، وإلي بغداد في عصر العباسيين ثم إلي القاهرة في عصر الفاطميين، إلي أن انتهي في عصر العثمانيين إلي الآستانة، وكان مواطنو الجزيرة العربية في جميع العصور متساوين في مرتبة المواطنة، بل وربما أقل مع مواطني هذه العواصم الجديدة، دون أي شعور بالضيق، لأنهم كانوا يعتبرون أنفسهم مواطنين الدولة الإسلامية، بغض النظر عن جنسية العاصمة، فالفتح الإسلامي كان يرفض الاعتراف بسيادة الفاتحين وعبودية البلاد المفتوحة .. وفي قصة عمر بن الخطاب مع ابن عمرو بن العاص، وابن أحد أقباط مصر خير دليل " متي استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا "..

لم يكن فتحا في أصله بهدف الجباية واستنزاف الثروات لصالح هذه العواصم الإسلامية، بدليل أن عمر بن عبد العزيز، الخليفة الأموي، عنف عامله علي مصر وهو " حيان بن شريح " عندما اشتد علي الناس في هذه الجباية .. وقال له: " لقد بعث الله محمدا ﷺ هاديا ولم يبعثه جابيا "

لم تكن العوامل الاقتصادية هي التي من وراء الفتوحات الإسلامية ونجاحها بل كان الإيمان القوي بالدعوة الإسلامية والروح المعنوية العالية وقوة احتمال الجند وجلدهم والجهاد في سبيل الله لنشر دين الله من أقوي دوافع الحرب والفتوح ونجاحها ودوام أثرها .. أرادوا بها الله تعالي وحده فنصرهم الله .. كانت حياتهم لله وحده لا شريك له .. كانت هناك قوي وسلطات تمنع تبليغ الرسالة وتصد عن سبيل الله .. لذا أصبح الفتح ولو بالسيف مشروعا لتبليغ الدعوة ..

كان الفتح أساسا يهدف إلي نشر الدعوة الإسلامية فمن دخل الإسلام أصبح مواطنا في الأمة الإسلامية .. ومن أراد أن يبقي علي دينه يدفع الجزية مقابل الزكاة عن المسلمين .. ومقابل الدفاع عنه في وطنه .. أما القتال .. فكان المقصود به مجرد اسقاط النظام الحاكم الذي يحول بين الفتح الإسلامي وتوصيل الدعوة الإسلامية للشعوب المحكومة .. والبلاد المفتوحة ..

لم تكن الفتوح الإسلامية حروب ككل الحروب .. لم يحارب المسلمون شعبا ليجبروه علي دخول الإسلام، وإنما قاموا بمحاربة القوي التي تحول دون وصول الإسلام إلي الناس .. لقد حارب رسول الله ﷺ والصحابة أئمة الكفر في مكة، وعندما استسلم رؤوساء مكة دخلت قوات الإسلام مكة دون حرب ولم يجبر أحد نبي الإسلام علي الدخول في الإسلام بل قال ﷺ لأهل مكة: " اذهبوا فأنتم الطلقاء "

.. وأسلمت مكة وكذلك كان الأمر مع بقية البلاد التي فتحها العرب . لم تكن الفتوحات في العصر الراشدي حروبا علي أهل الشام ومصر وشمال أفريقيا وبلاد فارس وإنما كانت حروبا علي من استعبدوا تلك الشعوب وسخروهم لمصالحهم وحالوا بينهم وبين وصول رسالة الإسلام إليهم ..

لم تكن الحروب للاستيلاء علي البلاد بل لانتزاعها من غاصبيها وردها إلي أهلها وتركهم بعد ذلك أحرارا في أن يؤمنوا أو لا يؤمنوا ولا إكراه في الدين ..

لقد غزا الفرس والروم البلاد وأكلوا خيراتها وأموال أهلها، وكان طعام روما من قمح مصر والشام .. جمع القياصرة وعمالهم الأموال الطائلة من دماء الناس وعاشوا عليها قرون طويلة .. أما العرب الفاتحين الذين جادوا بدمائهم وخاضوا المعارك في فتوحاتهم لم يخرجوا آخر الأمر إلا بثواب الله ﷻ .. لم يكونوا كالأوربيين في جنوب أفريقيا والأمريكتين واستراليا مبيدين للحضارات مصاصين للدماء ومجوعين لأهلها ومشردين لشعوبها وناهبين لثرواتها ومقسمين لترابها ..

## لم تكن الدنيا كل همهم !!

يروي عيسي بن حماد: في كتاب " فتوح مصر " فيقول: لما حاصر العرب حصن بابليون، كان عبادة بن الصامت - الصحابي الجليل يصلي وفرسه عنده، فرآه قوم من الروم، فخرجوا إليه وعليهم حلية وبزة فاخرة، فلما دنوا منه سلم من صلاته، ووثب علي فرسه ثم حمل عليهم، فلما رأوه هاجما عليهم بفرسه ولوا هاربين .. فتبعهم وجعلوا يلقون مناطقهم - أحزمتهم - ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن اللحاق بهم .. وهو ماض في ركابهم حتي دخلوا الحصن لاهثين، ورموا عبادة من فوق الحصن بالحجارة، فرجع لايلوي علي شيء ولا يلتفت إلي ماكانوا قد طرحوه من متاعهم الثمين .. حتي عاد إلي موضعه فعاد يصلي وخرج الروم ليجمعوا ما سقط منهم خلال الفرار .. ودهشوا لهذا الرجل الأسمر اللون .. الذي عاد إلي الصلاة، ولم يحاول أن يلتقط ما وقع منهم من نفائس خلال المطاردة ..

لقد جاءوا يبحثون عن رضا الله تعالي .. لم يكن همهم زينة الدنيا، ولم تكن الدنيا كل همهم !!

لما رأي المقوقس أن الموقف يتطور في غير صالحه وأصحابه المحاصرين، بعث إلي عمرو بن العاص يطلب الصلح فرد عليه عمرو بن العاص مع رسل المقوقس أنه ليس بينه وبينهم إلا إحدي خصال ثلاث: الإسلام، أو الجزية، أو القتال .. والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين .. فلما جاء الرسل إلي المقوقس سألهم كيف رأيتم المسلمين ؟ فقالوا:

" رأينا قوما الموت أحب إلي أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة .. ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة .. جلوسهم علي التراب، وأكلهم علي ركبهم، وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفيعهم من وضيعهم، ولا السيد فيهم من العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنه منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء، ويتخشعون في صلاتهم .. "

عندئذ قال المقوقس: إن هؤلاء لو استقبلوا الجبال لأزالوها، ولن يقوي علي قتالهم أحد ..

بعث عمرو بن العاص – للتفاوض مع المقوقس – عشرة من المجاهدين علي رأسهم عبادة بن الصامت ﷺ، وأوكل إليه مهمة التكلم، فلما تقدم عبادة من المقوقس، هابه المقوقس لسواده وقال لهم: نحوا عني هذا الأسود، وقدموا غيره يكلمني ..

فقالوا: إن هذا الأسود أفضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا .. وإنما نرجع جميعا إلي قوله ورأيه، وقد أمره الأمير دوننا وأمرنا ألا نخالف رأيه وقوله ..

قال المقوقس: وكيف رضيتم أن يكون هذا الأسود أفضلكم وإنما ينبغي أن يكون دونكم ؟ قالوا: كلا، وإنه وإن كان أسود كما تري، فإنه من أعظمنا موضعا، وأفضلنا سابقة إلي الإسلام، وأفضلنا عقلا ورأيا، وليس ينكر السواد فينا ..

قال المقوقس لعبادة بن الصامت: تقدم يا أسود وكلمني برفق فإني أهاب سوادك، وإن اشتد كلامك علي ازددت لذلك هيبة ..

فتقدم إليه عبادة فقال: " لقد سمعت مقالتك وأن فيمن خلفت من أصحابي ألف رجل أسود، ولكنهم أشد سوادا مني وأفظع منظرا، لو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لي، وأنا قد وليت وقد أدبر شبابي، وإني مع ذلك – بحمد الله – ما أهاب مائة رجل من عدوي، لو استقبلوني جميعا، وكذلك أصحابي، وذلك أن كل همنا ورغبتنا الجهاد في سبيل الله ونيل رضوانه، وليس غزونا أعداءنا ممن يحاربون الله لرغبة في دنيا .. ولا طلبا للاستكثار منها .. رغم أن الله أحل لنا ذلك .. وما يبالي أحدنا أكان له قنطار من ذهب أم كان لايملك إلا درهما، لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يسد بها جوعه لليله ونهاره، وشلمة يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه .. وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه في طاعة الله واقتصر علي هذا الذي في يده .. ذلك أن نعيم الدنيا – عندنا – ليس بنعيم،

ورخاءها ليس برخاء .. إنما النعيم والرخاء في الآخرة، وبذلك أمرنا ربنا وأمرنا به نبينا وعهد إلينا ألا تكون همته وشغله في رضاء ربه وجهاد عدوه .."

ويقول ابن الصامت للمقوقس حين عرض عليه أموالا، وخوفه بجيوش الروم:

" يا هذا لا تغرن نفسك ولا أصحابك .. أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم، وأنا لا نقوي عليهم، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به .. ولا بالذي يكسرنا عما نحن فيه، إن كان ما قلتم حقا فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم، فهذا أمكن لنا في أبواب جناته ورضوانه، وما من شيء أقر لأعيننا، ولا أحب إلينا من ذلك .. وأنا منكم حينئذ لعلي إحدي الحسنيين، فإما أن تعظم لنا غنيمة الدنيا إن انتصرنا عليكم أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا .. وإن الله ﷻ قال لنا في كتابه: ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾(البقرة:٢٤٩)، وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة أو لايرده إلي بلده ولا إلي أهله وولده وليس لأحد منا هم فيما خلفه، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده .. وأن همنا مما أمامنا ..

وأما قولك إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا .. فنحن في أوسع السعة – ولو كانت كلها ما أردنا منه لأنفسنا أكثر مما نحن فيه، فانظر الذي تريد فبينه لنا، فليس بيننا وبينكم خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث فاختر أيها شئت ولا تطمع نفسك في الباطل، بذلك أمرني الأمير وبها أمر أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله ﷺ من قبل إلينا .. أما إن أجبتم إلي الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته فإن لكم ما لنا وعليكم ما علينا .. وكنتم أخوة لنا في دين الله .. فإن أبيتم فأدوا إلينا الجزية، نعاملكم علي شيء نرضي به نحن وأنتم في كل عام أبدا ما بقينا وما بقيتم، ونقاتل عنكم من ناوأكم أو عرض لكم في شيء من أرضكم ودمائكم وأموالكم، ونقوم بذلك عنكم ما دمتم في ذمتنا وكان لكم عهد علينا .. وإن أبيتم فليس بيننا سوي القتال، حتي نموت عن آخرنا، أو نصيب ما نريد منكم .. "

كان الفتح العربي تضحية عالمية تحمل أعباءها الإنسان العربي الذي أعطي الكثير وأخذ القليل .. أعطي زهرة الشباب الذي بذل الدماء رخيصة .. لم يكن الفتح العربي دافعه الجوع أو الاستيلاء علي الأراضي الخصبة في مصر والشام وشمال أفريقيا والعراق، وإنما كان دافعه تحرير الإنسان من الطواغيت والأخذ بأيدي الشعوب إلي الحضارة .. لم يرفع سيف علي أحد ليدخل الإسلام، وإنما كان السيف علي من وقف في طريق الدعوة الإسلامية، ودخلت شعوب الأرض والبلاد المفتوحة الإسلام ..

وكان الفضل لله تعالي وحده وللإسلام في الدخول في دين الله ﴿ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾(الحجرات:١٧) .

**للقتال في الإسلام ضوابط وأخلاق:**

القتال في الإسلام لرد العدوان عن الدين، حتي يكون الدين خالصا لله تعالي، ولرد العدوان عن الأوطان .. عدوان الذين يخرجون المسلمين من أوطانهم ومن ديارهم، أو يظاهرون ويساعدون علي إخراجهم من ديارهم .. أسفرت كل حروب رسول الله ﷺ وغزواته وبعوثه وسراياه علي امتداد السنوات التسع التي شهدتها عن ٣٨٦ من شهداء المسلمين وقتلي المشركين علي حين أهلكت الحروب الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت في أوروبا الوسطي ٤٠ في المائة من شعوب تلك البلاد عشرة ملايين .. المساجد التي أقامتها جيوش الجهاد الإسلامي وهي ذاهبة إلي القتال أو عائدة منه زادت علي عدد الضحايا الذين قتلوا في الغزوات ..

كانت وصايا قادة دولة الرسول ﷺ لجند الإسلام الفاتحين: " لا تخونوا ولاتغلو ولا تمثلوا .. لا تقتلوا طفلا ولا شيخا ولا امرأة .. لا تقطعوا نخلا ولا تحرقوه .. لا تقطعوا شجرة ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا إلا للأكل، وإذا مررتم بقوم فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له .. " أوامر صارمة من خليفة رسول الله ﷺ بألا تغدر أو تحرق أو تخرب، وبأنها ستمر علي رهبان قد انعزلوا في صوامعهم فلا تروعهم أو تعتدي عليهم ..

أوامر صارمة حذرتها من قتل المسالمين وإرهاب النساء والشيوخ والأطفال، بل حتي من قطع الأشجار وإتلاف الزرع والضرع [1]..

لقد كان قتالا متحضرا .. قتالا ضبطته قيم الدين الآتي من عند الله ﷻ، فلم يرفع السيف وهو يلاحق السلطات الباغية قبالة كل الذين لم يمارسوا العدوان

هذا في الوقت الذي دخل فيه الآخر بلاد المسلمين واستباحوا الأرض والشعب ونهبوا الثروات، وقتلوا الشيوخ والأطفال واستحيوا النساء .. لم يبقوا زرعا ولا ضرعا .. قطعوا الأشجار ولم تسلم المساجد من همجيتهم .. هدموها علي رؤوس المصلين وسالت دماء الأبرياء علي مذبح الديمقراطية وحقوق الإنسان

الحرب في الإسلام ذات أهداف سامية، تكون ردا علي عدوان معتدين، كما قال الله تعالي: ﴿ وَقَـٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾(البقرة:١٩٠)، وقال: ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَـٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(البقرة:١٩٤) ..

تكون عقابا لمن نكث العهود والمواثيق، كما قال تعالي: ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴾(التوبة:١٢) .

تكون ردعا لمن منع وصول دعوة الحق إلي الناس كما قال ﷻ: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(البقرة:١٩٣) .

تكون نصرة للمظلومين، هدفه رفع الظلم قال تعالي: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾(النساء:٧٥) .

---

(١) ابن جرير الطبري – تاريخ الرسل والملوك – دار المعارف – القاهرة

## فعالية القيم الإسلامية، والأعراف العربية في الرد علي الآخر:

في أعقاب فتح خيبر من العام السابع الهجري وضع الفاتحون أيديهم علي ملفات من أسفار العهد القديم وجاءوا بها إلي رسول الله ﷺ .. كان بمقدوره وهو المنتصر علي فئة الخصوم ما وجدت فرصة مشروعة أو غير مشروعة إلا سخرتها لتدمير الإسلام والمسلمين، والقضاء علي رسولهم ودولتهم أن يأمر بإحراقها، لكنه ﷺ ما لبث أن أعاد إلي اليهود أسفارهم دون أن يمسها بأذي ..

يمكن مقارنة هذا بما فعلته محاكم التحقيق والكنيسة الكاثوليكية في الساحة الأندلسية إزاء التراث الإسلامي زمن انتصار فرديناند وإيزابيلا وسقوط غرناطة آخر المعاقل الإسلامية هناك . لقد كانوا يصدرون أوامرهم بجمع هذا التراث دينيا أو غير ديني ويركمونه أكداسا في الساحات العامة في قرطبة وأشبيلية وطليطلة وغرناطة لكي يشعلوا فيه النار قبالة جماهير المسيحيين التي كانت تستدعي لمشاهدة ماسمته الكنيسة بأعمال الإيمان ..

وثمة إحصائية تشير إلي أنه لم يتبق من هذا التراث الذي بلغ ما يقرب من ثمانمائة ألف سفر، سوي ثمانية آلاف وضعت في أقبية الأسكوريال في مدريد، وهناك لاحقتها النار فأحرقت منها ستة آلاف أخري، حيث لم يتبق اليوم سوي ألفي مخطوط من ذلك التراث الخصب الذي غطي سائر فروع المعرفة الإنسانية والعلمية (١)..

التزم المسلمون في ردهم علي عدوان النصاري بالقيم الإسلامية والأعراف العربية النبيلة، وغلبت علي معظم ممارساتهم الحكمة والشهامة، متمسكين بالنصوص الشرعية والسنة المتوارثة، ولم تتغلب عليهم شهوة الانتقام والثأر ..

تحمل شمالي العراق، وتحملت بلاد الشام ومصر عبء التصدي للصليبيين الغزاة، فنهض – البرسقي – أمير الموصل بدور رائد في دعم حلب والحيلولة دون سقوطها عام ١١٢٤م، ولكن بعد اغتياله علي يد الحشاشين، حمل الراية عماد الدين زنكي، فأحال المد الصليبي إلي جزر، بتوحيده شمالي العراق

---

(١) محمد عبد الله عنان – مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام – القاهرة

مع شمالي بلاد الشام وتحريره الرها، ثم أعقبه ابنه نور الدين محمود، ثم تسلم من بعده الراية صلاح الدين الأيوبي، فقام بتوحيد مصر مع بلاد الشام، وأقام دولته التي امتدت من الموصل شرقا إلي تونس غربا، ومن حلب شمالا إلي اليمن جنوبا، وأعاد لمصر العربية الإسلامية دورها ..

أبدي عماد الدين زنكي لدي تحريره الرها عام ١١٤٤م مواقف أشاد بها الأعداء، فقد ميز بين سكان الرها السريان وبين الصليبيين الغزاة، فاستقبل المطران السرياني الأكبر باحترام وعمل علي رعاية كنائس السريان والأرمن وأمن الجميع علي أنفسهم وأموالهم، وتساهل معهم في موضوع الأسري ..

ويجمع المؤرخون علي أن صلاح الدين الأيوبي، حاول فتح بيت المقدس صلحا، لما لها من مكانة روحية، وحرصا علي سلامتها من الدمار، ولكن الصليبيين في المدينة شعروا بقوتهم، بعد أن انضم إليهم الكثيرون ممن فروا من المدن والقلاع التي كانت قد فتحت عنوة وتولي القيادة فيها أمير الدولة الذي كان أسيرا عند صلاح الدين الأيوبي، واستأذنه لإحضار أسرته من المدينة المحاصرة، فانضم إلي المحاصرين حانثا بقسمه، وعندها بدأ الهجوم علي المدينة المقدسة، وبعد استردادها أبقي علي حياة المسيحيين جميعا، كما سمح للفرنجة واللاتين بمغادرة المدينة في مدي أربعين يوما، لقاء فدية قدرها عشرة دنانير للرجل وخمسة دنانير للمرأة واثنان للصبي، أما المسيحيون العرب والسريان وغيرهم من أهالي البلاد، فقد ثبت وضعهم وحقوقهم باعتبارهم " أهل ذمة " وصان لهم ممتلكاتهم ..

سمح صلاح الدين للبطريرك الأكبر أن يغادر بما حمل من أموال البيع وذخائر المساجد التي كان الصليبيون قد غنموها في فتوحاتهم، ورفض أن يأخذ باعتراض بعض أعوانه الذين رأوا أن البطريرك يقوي بهذا المال علي حرب المسلمين .. كما أن صلاح الدين قد استجاب لرجاء أميرات ونبيلات الصليبيين، فأطلق سراح رجالهن من الأسر، علاوة علي إطلاق سراحه للمعوذين من الشيوخ والعجائز دون فدية، ولم تغلق كنيسة القيامة سوي ثلاثة أيام، وبعدها سمح للحجاج النصاري بزيارتها .

ويؤكد المؤرخون علي أن صلاح الدين كان متسامحا مع أتباع المذاهب المختلفة، وأتاح للأقباط حرية ممارسة شعائرهم الدينية، وكان من نتيجة ذلك أن أحبه الأقباط لدرجة أنهم وضعوا صورته في كنائسهم [١]..

نعم أقباط مصر بالتسامح والرعاية إلي حد كبير في عهد صلاح الدين، فقد خفت الضرائب التي كانت عليهم، وشغل عدد كبير منهم الوظائف العامة في الدولة كوزراء وكتاب وصيارفة، لم يكن هناك ما يشكون منه إلا ما اتصف به كهنتهم من الفساد والانحلال .. تمتعوا في عهده بالحرية التامة في إقامة شعائرهم، وسمح لهم بإعادة كنائسهم، وتخلصوا من القيود، وأعفي الرهبان من دفع الجزية، ومنحوا كثير من الامتيازات ..

يذكر بعض المؤرخين غير هذه الممارسات عن السلطان مسعود – سلطان قونية – في الأناضول الذي قتل أسري النصاري من الرجال حين دخل مدينة كلكيا، ولكنه لم يقدم علي ما أقدم عليه الصليبيون من قتل رجال الدين والمسنين والنساء والأطفال، فاكتفي بأخذ المطران والكهنة والبنات والأولاد أسري ..

كما يذكرون عن السلطان الظاهر بيبرس رابع سلاطين المماليك وأعظمهم، أنه حين حرر قلعة الكرك الحصينة ضرب كنيسة الناصرة، وغدر بحامية قلعة الداوية في صفد فقتلهم وأحرق كنائس أنطاكية وسبي أهلها وغنم منها أموالا طائلة، كما أن الناصر بن قلاوون قد فعل الشيء نفسه، ونشط ضد النصاري في الشام ..

كان ذلك جزاء مناصرتهم المتواصلة للصليبيين، ومشاركتهم في القوات المغولية التي أوقعت بجيش قلاوون البلاد، وإلحاحهم علي هولاكو ليندفع بجنوده نحو مصر ..

**يقول فيليب حتي في كتابه تاريخ العرب:**

" كانت الفتوحات العربية الإسلامية بمثابة استرداد من الشرق القديم لسابق

---

(١) انظر عوني فرسخ – مصدر سابق. قدري قلعجي – صلاح الدين الأيوبي. وأحمد شلبي – موسوعة التاريخ الإسلامي

سلطانه القديم وذلك كان بباعث من الإسلام، وأعاد تثبيت نفسه بعد تغلب غربي دام ألف عام منذ عهد الإسكندر ٤٠٠ ق.م. والذي تمتع بسلطانه في الشرق ٩٦٣سنة فوضعت الفتوحات الإسلامية حد لها ..

صارت الشعوب التي كانت تحكمها القياصرة والأكاسرة حرة طليقة بعد أن قلمت الفتوحات الإسلامية أظافرهم التي كانت مطبقة علي بلدان البحر الأبيض المتوسط، بعد تدمير أساطيلهم في ذات الصواري واستعادة الساحل العربي حريته التي فقدها منذ أكثر من ألف عام .. بعد أن أخرج العرب القوي البحرية البيزنطية من البحر المتوسط عام ٣١هـ . نهائيا وصار البحر الذي كان يدعي ببحر الروم بحرا عربيا خالصا بسواحله وجزره .

ولقد حمل المسلمون معهم رحمة الله التي وسعت كل شيء لتشمل كل شيء في العالم المحيط بهم بعد أن امتدت فتوحاتهم من كاشغر غرب الصين حتي طنجة والأندلس في أقصي الغرب .. " يذكر د. فيليب حتي:

" كان السوريون والمصريون يعتبرون العرب الفاتحين قوما من بني جنسهم يربطهم بهم ما لا يربطهم بأولئك الحكام السابقين الذين كانوا من الأجانب الغاصبين، فالفتوحات الإسلامية من هذه الوجهة هي عند التحقيق انقلاب اجتماعي سياسي استرد به الشرق الأدني مجده الغابر، فقد جاء الإسلام مهيبا بالشرق إلي النهوض من كبوته بعد ألف سنة اجتاحته فيه سطوة الغريب فاستطاع الشرق بالإسلام أن يسترجع ماضيه لا في ميدان السياسة فحسب بل في ميدان الثقافة أيضا حيث تسني له أن يعيد قيادته الفكرية "

لقد رأي شعوب البلاد المفتوحة في الإسلام متنفسا أنقذهم من الطغيان والإكراه والاستغلال ، لقد ترك المسلمون للشعوب حرية الأديان وأعفاهم من الجندية مقابل دفع الجزية الضئيلة، كما أمن المسلمون الأهلين علي أموالهم ونسائهم وأولادهم ورأوا في المسلمين المساواة التي كانوا لا يحلمون بها ..

ترك المسلمون الأرض للمصريين والسوريين والعراقيين علي أن يدفعوا خراجها وهو أقل بكثير مما كان يأخذه الأكاسرة والقياصرة الذين كانوا يعتبرون الأرض ملكا لهم ..

لكل ذلك وغير ذلك أقبل أهل هذه البلاد علي الإسلام يعتنقونه ويدينون به، فأخذ الإسلام ينتشر رويدا رويدا وأخذت اللغة العربية أيضا تنتشر حتي كان رجال الكنيسة القبطية في القرن العاشر يضعون كتاباتهم باللغة العربية لكي يفهمها أتباعهم [١]..

لقد انتشر الإسلام بمبادئه السمحة وتعاليمه البسيطة وسهولة تناوله .. انتشر في أندونيسيا وماليزيا رغم وقوف المسيحية والكونفوشيسية والهندوكية واليوذية له بالمرصاد مدعومة بالملايين من المدارس والمستشفيات والوظائف وسائر الإغراءات ..

انتشر الإسلام وسلك طريقه إلي النفوس بالدعوة، لم يجبر النبي ﷺ أحدا علي الدخول في الإسلام .. يقول العقاد رحمه الله: إن كثيرين من الناس لم يخضعوا للسيف ليسلموا، ولكنهم تعرضوا للسيف حين أسلموا واحتملوا السيف في سبيل الله .. اضطهدت قريش المسلمين اضطهادا قاسيا وأنزلت بمحمد وأتباعه ألوانا من العذاب وحين كان المسلمون يعانون في مكة ما يعانونه كان الإسلام يشق طريقه في يسر في المدينة إذ كان أهل المدينة يسعون إليه ويعتنقونه ويدعون له ذويهم وأهليهم ..

لم يجبر الإسلام أحدا في الدخول فيه، لقوله تعالي: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾(البقرة:٢٥٦) .. ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾(النحل:١٢٥) .. ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴾(الكافرون:٦) .. ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴾(الرعد:٤٠) ﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴾(الغاشية:٢١/٢٢) ..

حين جاء الصليبيون إبان ضعف الخلافة العباسية لمحو الإسلام والقضاء عليه، فإذا بالإسلام يجذب جموعا منهم فيدخلونه ويحاربون في صفوف المسلمين ..

اعتنق الكثيرون من الصليبيين الإسلام في عهد صلاح الدين، بتأثير

---

(١) ارجع إلي د. أحمد شلبي – موسوعة التاريخ الإسلامي نقلا عن ابن جرير الطبري

المعاملة الرحيمة التي لقوها من المسلمين، فلم يحدث أن أجبر أحد علي نبذ دينه .. يقول أرنولد توماس في كتابه الشهير الدعوة إلي الإسلام:

" لقد اجتذبت الدعوة المحمدية إلي أحضانها من الصليبيين عددا مذكورا حتي في العهد الأول أي في القرن الثاني عشر ولم يقتصر ذلك علي عامة النصاري، بل إن بعض أمرائهم وقادتهم انضموا إلي المسلمين حتي في ساعات انتصار المسيحيين " ..

ويروي بعض مؤرخي النصاري، أن ستة من أمراء مملكة القدس استولي عليهم الشيطان ليلة معركة حطين فأسلموا وانضموا إلي صفوف الأعداء دون أن يقهروا من أحد علي ذلك .

ويعلل أرنولد ذلك بقوله:

ويظهر أن أخلاق صلاح الدين وحياته التي انطوت علي البطولة قد أحدثت في أذهان المسيحيين في عصره تأثيرا سحريا خاصا حتي إن نفرا من الفرسان المسيحيين قد بلغ من قوة انجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم المسيحية وهجروا قومهم وانضموا إلي المسلمين، وكذلك كانت الحال عندما أطرح النصرانية مثلا فارس انجليزي من فرسان المعبد يدعي روبرت أوف سانت إليانس واعتنق الإسلام ثم تزوج بإحدي حفيدات صلاح الدين ..

كان من نتائج الهزيمة النكراء في حطين وسقوط بيت المقدس، وتوالي انتصارات صلاح الدين، أن كثيرين من الصليبيين الذين سقطت قلاعهم وبلادهم راحوا يطرقون أبواب المدن التي كانت لا تزال بأيدي الفرنجة، ولكن هذه المدن أقفلت أبوابها في وجوههم، ولقد عبر بعضهم البحر إلي أوروبا، وكثيرون منهم اندمجوا في غمار الحياة في ظل الإسلام فوجدوا رعاية طيبة وترحيبا شديدا .. ويضيف أحد رجال الدين المسيحي قائلا:

" إن المسلمين حين استردوا سلطانهم علي الأراضي المقدسة، بسطوا علي المسيحيين نفس روح التسامح التي كانت من قبل .. وهذا يحمل علي الظن بأن ما حدث من تحول إلي الإسلام إنما كان من مسيحيين أشربوا العقيدة الإسلامية في

أذهانهم قبل أن يقدموا علي الخطوة الأخيرة . ومن المؤكد أن المسيحيين من أهالي البلاد قد آثروا حكم المسلمين علي الصليبيين، ويظهر أن أهالي فلسطين من المسيحيين لما وقع بيت المقدس في أيدي المسلمين نهائيا عام ١٢٤٤م رحبوا السادة الجدد واطمأنوا إليهم ورضوا بحكمهم، وكذلك دفع هذا الشعور نفسه، شعور الاطمئنان إلي الحياة الدينية في ظل الحكم الإسلامي كثيرا من مسيحي آسيا الصغري إبان هذه الفترة ذاتها إلي الترحيب بمقدم السلاجقة الأتراك باعتبارهم مخلصين لهم من الحكومة البيزنطية البغيضة لا بسبب نظام الضرائب المجحفة وحده، ولكن بسبب روح الاضطهاد والتي ظهرت بها الكنيسة البيزنطية " ..

في القرن السابع الهجري هاجم المغول العالم الإسلامي هجوما وحشيا قاسيا مدمرا فسفكوا الدماء أنهارا وحطموا مظاهر الحضارة الإسلامية به .. هدموا القصور والمساجد وأحرقوا الكتب وقتلوا العلماء وامتدت أيديهم إلي الخليفة فقتلوه وقتلوا أهله معه وأزالوا الخلافة العباسية عام ٦٥٦ هـ . وأصبحت للمغول اليد العليا وهوت أمامهم كل قوي المسلمين في عاصمة الخلافة وما حولها وسرعان ما جذب الإسلام هؤلاء الفاتحين الغزاة فدخل المغول الدين الذي هاجموه وعملوا علي تقويضه .

يقول السير توماس أرنولد: لا يعرف الإسلام من بين ما نزل به من خطوب وويلات خطبا أعنف قسوة من غزوات المغول فلقد انسابت جيوش جنكيز خان واكتسحت في طريقها العواصم الإسلامية وقضت علي ما كان بها من مدنية وحضارة .. علي أن الإسلام لم يلبث أن نهض من رقدته وظهر من بين الأطلال واستطاع بواسطة دعاته أن يجذب أولئك الفاتحين البرابرة ويحملهم علي اعتناقه [(١)]..

في غزوات الرسول ﷺ بلغت جملة شهداء المسلمين ١٣٩ شهيدا و١١٢ قتيلا من قتلي المشركين .. دخل الإسلام بعد توقيع صلح الحديبية خلال عامين أكثر ممن دخلوه خلال عشرين عاما تقريبا .. دخلت الشعوب في البلاد المفتوحة

---

(١) أنظر د. أحمد شلبي – موسوعة التاريخ الإسلامي – ص ٤٥٦ ج ١

الإسلام عندما رأوا الفرق الكبير بين حكم قيصر وطغيانه، وبين بساطة عمر بن الخطاب وسماحته وتواضعه ..

يقول kirk في كتابه: A short History of the middle east " إن غالبية أهل الشام ومصر السفلي في القرن التاسع الميلادي كانت لا تزال مسيحية علي الرغم من أن الإسلام كان قد مضي عليه في هذه البقاع أكثر من قرنين " .. وإلي اليوم هناك من سكان مصر والشام من لم يدخل الإسلام ..

**المسيحية ... وسماحة الإسلام والمسلمين**

فسدت عقائد المسيحيين بالعقائد التي دسها بولس وابتكرها ، وأصبحت عقائد لهم في الشرق والغرب بعد مؤتمر نيقية عام ٣٢٥م.، ولما بزغ نور الرسالة الخاتمة دخل الكثيرون منهم الإسلام، وكانت علاقة المسلمين بالنصاري علاقة تقوم علي أسس نابعة من تعاليم الإسلام السمحة .

**إسلام عدي بن حاتم:**

يروي ابن هشام أن عدي بن حاتم قال: كنت امرءا شريفا نصرانيا وكنت ملكا علي قومي وأسير فيهم بالمرباع، آخذ ربع الغنيمة وأدع الباقي لهم فلما سمعت بمحمد كرهته لمخالفته لي في الدين والعادات وكنت أخاف زحف المسلمين فقلت لغلام لي أعد لي عددا من النوق القوية واجعلها قريبة مني، فإذا سمعت بجيش محمد يطأ هذه البلاد فآذني ففعل وبعد فترة جاءني مهرولا وقال: ما كنت صانعا أذ غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن فإن رايات محمد علي وشك أن تصل هذه الأرض . قال عدي:

فقمت من فوري وفي عجلة من أمري احتملت أهلي وولدي وقلت الحق بأهل ديني من النصاري بالشام وبسبب هذه العجلة لم يصحب عدي أخته سفانة التي يبدو أنها كانت بعيدة آنذاك عن خيام أختها .وكان الرسول ﷺ حزم أمره علي القضاء علي عباده الأوثان في الجزيرة العربية بعد أن تم فتح مكة وبعد الانتصار علي هوازن وثقيف . فأرسل الرسول علي بن أبي طالب علي رأس جماعه لهدم صنم طيء الذي لا يزال هناك من يعبده وفر عدي كما قلنا وتصدي بعض رجال

طيء لعلي بنِ أبي طالب ولكنه سرعان ما هزمهم وأسر منهم وغنم وكانت سفانة ضمن الأسري الذين أخذوه للمدينة ووضعت سفانة في مكان خاص بالأسري من النساء غير بعيد عن مسجد رسول الله ﷺ . كانت سفانة امرأة لها هيبة وقدرة بلاغية وحدث أن مر رسول الله ﷺ بالمكان الذي به سفانة فاشرأبت له وهتفت بقوة: بنات الملوك وأجابها الرسول ﷺ بحكمة الأنبياء وكان الحديث التالي:

سفانة: يامحمد هلك الولد وغاب الرافد فامنن علي من الله عليك ..

ومن رافدك يا فتاة ؟

عدي بن حاتم الفار من الله ورسوله !! وكأنما أدركت المرأة بذكائها أن أخاها لا يصلح أن تستعين باسمه في هذه الأزمة فغيرت من أسلوبها عندما رأت الرسول في مرة تالية وكان الحوار التالي:

-يا محمد هلك الوالد وكان سيد قومه كان يفك العاني ويحمي الزمار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشو السلام ويقضي حاجة من سأله أية حاجة أنا ابنة حاتم الطائي .

-يا جارية هذه الصفات صفات المؤمنين ومن حقك أن نكرمك من أجل أبيك والتفت إلي من حوله وقال لهم: خلوا سبيلها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق ولكن لا تعجلي يا فتاة بالعودة حتي تجدي من يكون لك ثقة ليبلغك إلي أهلك وآذنيني قبل الرحيل .. وبعد فترة قضتها سفانة حرة طليقة بالمدينة جاءت للرسول لتقول له:

يا محمد: هنا رهط من قومي لي فيهم ثقة وبلاغ فأذن لي أن أصحبهم فكساها الرسول وحملها علي راحلة وأعطاها نفقة مناسبة تبلغها مأربها وسيرها معززة مكرمة فقالت له عبارات دعاء تعتبر قمة من البلاغة والفكر ونصها: شكرتك يد افتقرت بعد غني ، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ، وأصاب الله بمعروفك موضعه ، ولا جعل لك إلي لئيم حاجة ، وجعلك وسيلة لرد نعمة سلبت من كريم فسر الرسول بدعائها وسأل الله الهداية لقومها .. ورحلت سفانة إلي الشام ودار الحوار التالي بينها وبين أخيها عدي:

- مرحبا يا ابنة حاتم

- اغرب عني أيها القاطع رحمه احتملت أهلك وولدك وتركت عورتك وبقية أبيك .

- غفرانك يا أخية فما صنعت ما ذكرت إلا في ساعة هول ولكن قولي لي ماذا رأيت في هذا الرجل ؟

- والله ما رأيت إلا خيرا ، وقصت عليه قصتها مع رسول الله ﷺ ثم قالت له: أر والله أن تلحق به سريعا فإن يكن الرجل نبيا ، فاللسابق إليه فضيلة وإن كان ملكا فلن تذل عنده .

- هذا والله هو الرأي . وبينما كان النبي ﷺ في المسجد إذ دخل عليه رجل أعرابي تبدو عليه النعمة والمجد وسلم علي الرسول فرد الرسول ﷺ السلام وسأل الرسول من الرجل ؟ فأجاب: عدي بن حاتم وقد وصفه الرسول من قبل بأنه فر من الله ورسوله .. احتفي به النبي ﷺ كعادته وفرش له عباءته وأجلسه بجواره ثم بعد فترة أخذه بيده وصحبه إلي بيته ..

- وفي الطريق عرضت له امرأة لها حاجة فاستوقفت الرسول فوقف لها وطالت وقفته ليستمع إلي شكاية المرأة وليقضي حاجتها فقال عدي في نفسه ما هذا ملك فالملوك لا يفعلون ذلك وفي بيت الرسول لم يجد عدي فراشا وثيرا ولا أي مظهر من مظاهر الترف وقدم الرسول لعدي حشية من ليف ليجلس عليها ولم تكن هناك حشية أخري ليجلس عليها الرسول . ودار بين الرسول الحوار التالي مع عدي:

- يا عدي تعتنق النصرانية ولا تتبعها !!

- كيف ذلك ؟!

- تسير في قومك بالمرباع وليس هذا من المسيحية في شيء !

- هل أنت تعلم ديني أكثر مني ؟

-نعم فالقرآن الكريم فيه كثيرمن النصرانية الحقة وأما ما تتبعه فهو عادات عربية تحاول أن تخلطها بالدين !!

-" يا عدي اسلم تسلم وإذا كنت تري فينا فقرا الآن فوالله ليوشكن المال أن يفيض علي المسلمين فلا يجد من يأخذه وإذا كنت تري فينا ضعفا فوالله لينصرن المسلمون علي أعتي قوي الأرض بعد وقت ليس بالطويل وإذا كان الملك والسلطان في غير فوا الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل وقد فتحت للمسلمين يا عدي اسلم تسلم "

فقال عدي: أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..

ويروي عن عدي قوله: وعشت حتي رأيت القصور البيض قد فتحت للمسلمين ورأيت المال يفيض عليهم فيضا ..

# الفصل الثالث

# نصاري وأقباط مصر عبر العصور

كانت المسيحية في المشرق العربي من دعائم الرفض الوطني للغزو الغربي الاستعماري والاستبداد الغربي، وكان أعيان النصاري في مصر بالذات جزءا أساسيا من القيادة المثقفة للأمة، يتحملون مسؤوليتهم إلي جانب شيوخ الأزهر، وكانت الكنائس العربية والكنيسة المصرية العريقة والتي هي أقدم كنائس العالم علي الإطلاق قلاعا لمقاومة التغلغل الاستعماري الغربي ..

كما أن صلة المودة والجوار بين المسلم والقبطي، تؤكدها وقائع التاريخ عبر العصور .. فمصر كانت دوما هي أم للمسلم، والنصراني علي السواء ..

لما دخل الإسلام مصر في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، فتح الشعب المصري ذراعيه للفاتحين المسلمين، واعتنقت الغالبية الإسلام وظلت الأقلية القبطية علي دينها، ولم يمر وقت طويل حتي تغلب اللسان العربي واللغة العربية، وتوارت اللغة القبطية حتي في الكنائس ..وارتفعت المآذن إلي جوار الكنائس، ولم يحدث أن طرد دين دينا آخر، كما حدث في أسبانيا عندما طرد المسلمون منها، وإنما تجاور الدينان السماويان في نفوس الشعب المصري، يحترمون شعائر إخوانهم الأقباط والأقباط يعقلون لا " إكراه في الدين "، وأنهم أقرب إلي المسلمين .. يعقلون وصية رسول الله ﷺ بالأقباط خيرا لأن للمسلمين فيهم نسبا وصهرا - يقصد بذلك زواجه ﷺ من مارية القبطية وإنجابه منها ولده إبراهيم ..

### الطبيعة الخاصة للكنيسة المصرية:

يختلف أقباط ونصاري مصرعن نصاري العالم كله، وذلك يرجع إلي تاريخ الكنيسة القبطية المصرية كأعرق وأقدم كنائس العالم، وككنيسة مستقلة لا تتبع أية كنيسة أوربية، أسسها مرقس الرسول، أحد كتاب الأناجيل الأربعة، والمدفون رأسه في كنيسة الإسكندرية بعد مقتله في القرن الأول الميلادي ٥٦٨م ، ومن هنا تعتبر الكنيسة القبطية من أهم المراكز التي حافظت علي المسيحية في بداياتها

الأولي، لذلك فهي موضع تقدير واحترام من سائر المسيحيين في العالم كله من أرثوذكس في شرق أوروبا، وبروتستانت في ألمانيا وانجلترا وأمريكا، وكاثوليك في إيطاليا وفرنسا وأسبانيا وأمريكا اللاتينية .

تمتاز الكنيسة القبطية بتعاليم المسيحية الأولي التي صيغت في مجمع نيقية ٣٢٥م. عندما بدأت الأباطرة يستغلون المجامع لتحقيق مطامعهم، أو إرضاء مطامح بعض القساوسة امتنعت الكنيسة القبطية المصرية عن مجاراتها وانقطعت عنها .. بل إن تاريخها قبل الفتح الإسلامي العربي لمصر هو تاريخ صراع مرير ضد سيطرة الكنيسة الغربية الأوربية .

يذكر التاريخ أن أقباط مصر لم يشعروا بالأمن والأمان علي أنفسهم وأموالهم إلا بعد الفتح العربي الإسلامي الذي وضع حدا ونهاية للمذابح والاضطهادات التي شنتها أوروبا عليهم طوال عصر الشهداء، فالدولة الرومانية الوثنية شنقت وذبحت وأحرقت الآلاف منهم طوال ثلاثة قرون، وبعد أن دخلت الدولة الرومانية في المسيحية كان تنكيلها بأقباط مصر أشد وأبشع .

لم يشعر أقباط مصر من النصاري بالأمن والاستقرار، إلا بعد الفتح العربي الإسلامي لمصر، حيث خلصهم من البطش والتنكيل الذي كانت تمارسه ضدهم الدولة الرومانية، ووضع حدا للمذابح والاضطهادات التي شنتها أوروبا خلال عصر الشهداء أيام الدولة الرومانية الوثنية طوال ثلاثة قرون، وأيام الدولة الرومانية المسيحية بصورة أقسي ، وتنكيل أبشع لثلاثة قرون أخري ..

لذلك كانت الكنيسة المصرية أقوي القلاع العربية صمودا في وجه إغراءات الغرب وخداعه ..

يقول د. حسين فوزي: " الذي لا يعرفه إلا قلة من المصريين – وما أقل المصريين معرفة بتاريخهم _ هو أن أجدادهم القبط تعذبوا واضطهدوا علي يد حكام بيزنطة المسيحيين وكان تعذيبهم أشد من مهانة وتقتيل واستشهاد أيام الإمبراطرة الوثنيين ساديرس ، ودقيوس ، ودقلديانوس ، لا لسبب إلا لأنهم حرصوا علي عقيدتهم المسيحية .. "

ويقول د. وليم سليمان: " عاشت كنيسة مصر وشعبها بعد دخول قسطنطين المسيحية تحت وطأة اضطهاد عنيف ومتواصل تنظمه دولة تصف نفسها بأنها مسيحية ويشترك فيه وينفذه الأساقفة والمعينون من قبل الامبراطور البيزنطي ويفوق ما كان يصنعه البراطرة الوثنيون الذين جاؤوا قبل قسطنطين واستمر الوضع علي هذا النحو إلي أن دخل الإسلام مصر عام ٦٤٠ م.

لم تنس كنيسة مصر هذه الحقيقة من تاريخها قط، وهي تذكر أبنائها أثناء اجتماعات الصلاة الدورية بما لاقاه آباؤهم علي يد الملكانيين الذين باسم المسيحية ساموهم أشد أنواع العذاب ، ولا يكاد يمضي شهر إلا وفيه ذكري أحد شهداء هذه الفترة .

لم ينس أبناء مصر من الأقباط الدرس الذي تلقوه من الامبراطورية الرومانية المسيحية، وحين جاءت جحافل الغرب تحمل شعار الصليب رأي فيه مسيحو مصر كتائب جديدة من الجند المسيحيين الذين عرفهم جيدا في القرن الرابع، والذين خاضت خيولهم في دماء أجدادهم حتي الركب " [١]..

لقد أكدت الحروب الصليبية في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين ارتباط أقباط مصر بإخوانهم المسلمين، لأنها أعادت إلي الذاكرة القبطية الموقف الظالم للكنيسة الأوربية منهم، فقد عامل الصليبيون الأقباط كرعايا من الدرجة الثانية، واعتدوا علي كنائسهم ورهبانهم بل وأصدروا أمرا بمنع الأقباط من زيارة القبر المقدس، وانتزعوا دير السلطان منهم ولم يعده إليهم إلا صلاح الدين الأيوبي .. يقول أحد المؤرخين: " وحين احتل الصليبيون القدس منعوا النصاري المصريين من الحج إلي القدس بدعوي أنهم ملحدون ، ولم يكن حزن الأقباط بأقل من حزن المسلمين "

ويؤكد د. وليم سليمان قائلا: لقد أدي حرص الأقباط علي عقيدتهم، وإيمان كنيستهم إلي رفض كل دعوة للانضمام تحت أي لواء أجنبي ديني أوسياسي، وجعلهم أحد الأركان الوطيدة في مقاومة السيطرة الاستعمارية الدخيلة ..

---

(١) محمد جلال كشك — ودخلت الخيل الأزهر ص ٣٢٢، ٣٢٣

كان المبشرون يندهشون حين يجدون أن الأقباط يفضلون عليهم مواطنيهم المسلمين، وينفرون من أولئك الإفرنج الغرباء الوافدين ..

## مكانة الأقباط في المجتمع المسلم المصري:

عاش الأقباط والمسلمين أحقابا طويلة فوق أرض مصر في قري متجاورة وبيوتهم مختلطة ..... داخل القرية الواحدة .. المسجد بجوار الكنيسة، والعمدة القبطي يحكم قرية غالبيتها من المسلمين والعكس كذلك .. الزي واحد والعادات واحدة، والأقباط أوصي الرسول ﷺ بهم خيرا، فهم أخوال المسلمين منذ "هاجر" أم العرب .. أم إسماعيل وزوج إبراهيم، ومنذ " مارية القبطية " أم ابراهيم بن محمد رسول الله ﷺ ..

لم يكن الدين مانعا لتولي الأقباط وظائف عامة إلا بعد دخول الإنجليز مصر .. قبل مجيء الحملة الفرنسية كان الأقباط يشكلون الجهاز المالي للدولة، ويحتل أكابرهم في القاهرة وعواصم المديريات مكانة بارزة لا ينكرها عليهم مواطنوهم، ويوم كانت حياة الأقليات مستحيلة في أوروبا .. كان الوزير الأول في مصر مسيحيا، وهو ما لم تحققه الأقليات الأوربية إلا بعد عشرة قرون ..

حين نزلت الاضطهادات بالشعب المصري في عصور الانحطاط من الحاكم المستبد لم تميز بين الأقباط والمسلمين ، ولكن التاريخ لم يشهد مذابح طائفية لأقباط مصر قط .. شارك الأقباط إخوانهم المسلمين في الزراعة والصناعة والتجارة، وتخصص الأقباط في الأعمال الحسابية والمالية وعهد إليهم الحكام تحصيل الضرائب وتقديرها وتوزيعها علي الأطيان والحاصلات وكانت لهم السلطة المطلقة التي لا رقابة عليها، ما يثبتونه في سجلاتهم ودفاترهم حجة لا جدال فيها .. كان للصيارفة سلطة لا منازع فيها في القري .. كان منهم الكتبة والمساحين ووصل بعضهم إلي أرفع مراتب النفوذ و الجاه ..

يقول المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي في وفيات الأعيان ١٢٠٩هـ:

" كان المعلم إبراهيم الجوهري رئيس الكتبة الأقباط بمصر، وأنه أدرك في الدولة بمصر من العظمة ونفاذ الكلمة وعظم الصيت والشهرة، فكان هو

المشار إليه في الكليات والجزئيات حتي دفاتر الروزنامة والميري وجميع الإيراد والمنصرف، وجميع الكتبة والصيارف تحت يده وإشارته وكان من دهاقين العالم ودهاتهم لا يغرب عن ذهنه شيء من دقائق الأمور" ..

ثم جاء جرجس الجوهري الذي ظل في منصبه من قبيل الاحتلال الفرنسي ١٧٩٥: ١٨١١م. أي بعد الاحتلال والجلاء حتي استقرار محمد على في الحكم، لم تتأثر مكانته ولا تغير مركزه بعودة المماليك والأتراك ولا بقيام سلطة محمد علي بل كان كما وصفه الجبرتي كان رئيس الرؤوساء وكذلك عند مجيء الوزير يوسف باشا والعثمانيين وقدموه وأجلسوه لما يسديه إليهم من الهدايا والرغائب حتي كان يسمونه جرجس افندي، ورأيته يجلس بجانب محمد خسرو باشا والي مصر من قبل الدولة العثمانية بعد جلاء الفرنسيين بجانب شريف افندي الدفتردار ويشرب بحضرتهم الدخان، ويراعون جانبه ويشاورونه في الأمور وكان عظيم النفس ويعطي العطايا ويفرق علي جميع الأعيان عند قدوم شهر رمضان الشموع العسلية والسكر والأرز والكساوي والبن، وبني بيوت بحارة الأزبكية وأنشأ دارا كبيرة وهي التي يسكنها الدفتردار ويعمل فيها الباشا محمد علي .. لقد كان الأقباط بوفرة في جيش مراد الذي دافع عن القاهرة !!

## الوجه القبيح للأقباط في الحملة الفرنسية

بدأ اهتمام فرنسا البالغ بغزو مصر منذ بدأ الضعف يدب في أوصال الدولة العثمانية بعد أن بدأ الأوربيون ينتشرون في جيش الدولة المفككة الأوصال وأجهزتها، يبذلون قصاري جهدهم في زيادة تفككها ..

قام الفرنسيون بدراسات واتصالات وزرعوا الجواسيس والأعوان، فأرسلت فرنسا البارون De Tout سفيرها في الآستانة في عهد لويس السادس عشر لدراسة ثغور مصر، ووصفت مهمته بأنها مهمة سرية لشرقي البحر المتوسط وكانت مهمته الحقيقية هو استطلاع إمكانية الاستيلاء علي مصر وإحالتها إلي مستعمرة فرنسية، لذلك أبحر " توت " إلي الإسكندرية في صحبة العالم الطبيعي Sonini وواصل رحلته إلي رشيد ومنها إلي القاهرة، وكتب

تقاريره بعد أن قام بمهمته خير قيام، وأوصي بأن الاستيلاء علي مصر لن يكون إلا احتلالا سلميا لبلد أعزل، وأنه يري إذاعة منشور يطمئن فيه المصريين إلي أن الفرنسيين قدموا بوصفهم أصدقاء وحلفاء للسلطان ومحررين لهم من ربقة المماليك ..

كانت مصالح فرنسا تحتل مكانة الصدارة بين المصالح الغربية في مصر قبيل الحملة الفرنسية، فكان لها قنصل عام في القاهرة وقنصليتان في الاسكندرية ورشيد، لذلك أصبح الاستيلاء علي مصر هو جزء من سياسة فرنسا المنطلقة إلي السيطرة علي تجارة الشرق، والتي تري حكومة الإدارة فيها بعد قيام الثورة الفرنسية أن جميع تجارة البحر المتوسط يجب أن تنتقل إلي أيدي الفرنسيين ..

قرر نابليون بونابرته احتلال مصر واتخاذها نقطة انطلاق لبناء امبراطوريته الشرقية، ذكر ذلك صراحة في مذكراته في سانت هيلانة وهو يتحدث عن أحلامه في مصر ومايمكن أن يحدث فيها من رخاء وتقدم بفضل ضبط مياه نهر النيل وتضاعف عدد السكان بفعل المهاجرين من فرنسا واليونان وإيطاليه وبولنده وألمانيا .. وقال: إن ست سنوات كافية للذهاب إلي الهند لو سارت الأمور سيرا حسنا ..

لذلك بدأ نابليون بدراسة الإسلام وطلب القرآن الكريم وصنفه تحت قائمة الكتب السياسية، يريد بذلك النجاح في مهمته بعد أن عرف أن مصر والشرق ظاهرة إسلامية وأن الإسلام هو القوة التي ستواجهه، وهو مصدر الأخطار التي ستقف دون تحقيق حلمه في الشرق ..

انطلقت الحملة الفرنسية بعد أن حشد لها نابليون الجنود والمدفعية والعلماء والمطبعة والكتب والعملاء والنساء أو المتخفيات في زي الجنود، وفي طريقه إلي مصر استولي علي جزيرة مالطا وصادر ما فيها من كنوز ..

قبل أن تصل الحملة إلي الإسكندرية أصدر نابليون منشورا جاء فيه: أيها الجنود أنكم موشكون علي فتح بلد له آثار بعيدة المدي في حضارة العالم وتجارته وستطعنون انجلترا طعنة تؤذيها لا محالة في أعف مواطنها انتظارا

لليوم الذي تسددون فيه الطعنة القاتلة لها .. ولن تنقضي علي نزولنا أيام حتي نقضي علي بكوات المماليك الذين لا يراعون غير تجارة الانجليز والذين يظلمون تجارنا بمعاكستهم والذين يستبدون بأهل وادي النيل الأشقياء ..

ثم يدعو المنشور جنود الحملة إلي احترام دين البلاد كما يحترمون دين موسي ودين المسيح ، ويقنعهم بأن السلب الفردي لا يثري إلا الأقلون بينما يقضي علي مواردنا .. " وهو بذلك يشرح مزايا السلب المنظم الجماعي علي مستوي الأمة بدلا من السلب الفردي !! "

قبل وصول الأسطول الفرنسي وصل الأسطول البريطاني بقيادة نلسن إلي الأسكندرية يعرض الحماية علي حاكمها محمد كريم وهو من الشخصيات المصرية العظيمة في ذكائه وصلابته واستشهاده في نهاية الأمر، يرفض هذه الحماية ويرفض قبول مساعدة الإنجليز قائلا: إن الفرنساوية غير ممكن أنهم يحضرون إلي بلادنا ولا لهم في أرضنا شغل ..

اهتمت أوروبا بنصاري مصر، واشتد اهتمام فرنسا بهم بصفة خاصة، فحاول لويس الرابع عشر أن يجتذب عددا من أبناء الأقباط لتدريبهم في فرنسا، ولكنه أخفق في إقناع أية عائلة قبطية بإرسال أبنائها إلي باريس .. وبعد وصول نابليون وضع في مخططه الاعتماد عليهم في التمكين لاحتلاله، رغم أنه كان يقول عنهم أنهم لصوص مكروهون في البلاد، غير أنه يجب مراعاتهم لأنهم يعرفون الأصول العامة لإدارة البلاد ..

## نابليون ينجح في تمزيق الوحدة الوطنية:

رأي نابليون أن نجاحه في احتلال مصر يعتمد علي نجاحه في تمزيق الوحدة الوطنية العربية، وتقسيم الأمة إلي طوائف وإغراء الأقليات بالتعاون معه، وجعلها هدفا لسحق الأغلبية وغضبها لأنها هي التي تتولي عمليات القمع والنهب ..

ونجح نابليون في تحطيم الوحدة المصرية بادعاءاته احتضان المسيحيين، وإثارته للأحقاد، وإيغار صدور المسلمين، وذلك باستخدام الأقباط المصريين

كأدوات للتنكيل لحساب السلطة الفرنسية، ثم التدخل إذا ما اشتكي المسلمون لإنصافهم وإنزال العقاب بالموظف المسيحي !! ووضع حد لتبجح المسيحيين ..

وشهدت سنوات الحملة الفرنسية من عوامل تمزق الوحدة الوطنية ما لم تعرفه مصر في تاريخها قط، إلا بعد مائة عام وعلي يد استعماري آخر هو اللورد كرومر، ومن بعده غورست، لولا أن سحقت محاولاته الحركة الوطنية التي قادها مصطفي كامل ثم محمد فريد ثم سعد زغلول.

لم تكن في مصر قبل الحملة الفرنسية طائفية، فالأقباط عاشوا طوال تاريخهم الطويل جنبا إلي جنب مع المسلمين في قري ومنازل متجاورة تجمعهم المصالح المشتركة في واديهم الطويل الممتد من أسوان حتي المتوسط، والمسلمين يشعرون أن لهم ما لهم وعليهم ما عليهم .. بل كانوا يطمئنونهم دائما بأنهم أخوالهم منذ أن منح ملك مصر هاجر أم العرب وأم إسماعيل وزوج سيدنا إبراهيم عليه السلام، ومنذ أن أرسل عظيم القبط مارية القبطية أم المؤمنين وأم إبراهيم بن محمد ﷺ ..

كان الأقباط قبل الحملة الفرنسية يتولون أعلي المناصب، ويشكلون الجهاز المالي للدولة المصرية بل كان منهم الوزير الأول ..

حين جاءت الحملة الفرنسية وقف الأقباط مع مواطنيهم المسلمين جنبا إلي جنب ضد جيوش الروم الجدد في كل قري الصعيد، وتعرضوا لكل صنوف التنكيل والإبادة من جند الحرية والإخاء والمساواة، ضد الثورة الفرنسية حامية الديمقراطية !!

لذلك بدأ قادة الحملة الفرنسية نابليون وكليبر وحتي عبد الله مينو الذي أشهر إسلامه بإذكاء نيران الفتنة بين الأقباط والمسلمين لتمزيق الوحدة الوطنية وتقسيم الأمة وإيغار صدور المسلمين ضد المسيحيين ومحاباة المسيحيين واستمالتهم له .

أقباط مصر .. صفحات سوداء يخجل منها كل نصراني !!

.. نصاري مصر و.... نصاري الشام:

استعان نابليون في البداية بالنصاري الشوام، الذين لم يتخلصوا من عصبيتهم وعداوتهم للمسلمين، وكانوا علي استعداد لخدمة الغازي المسيحي، وكان بعضهم علي علاقة بفرنسا منذ لويس الرابع عشر، وسرعان ما جند نصاري الشام بعض أقباط مصر الذين انفصلوا عن جذورهم المصرية، وانفصلوا عن الشعب بممارساتهم أعمال النهب والسلب لحساب الآخرين أسيادهم ولحسابهم الخاص .. لم يكن موقف هذا البعض من الأقباط هو موقف أقباط مصر عامة، أو الشعب القبطي كما يقولون، فالكثيرون من مؤرخي الحملة يؤكدون علي أن أقباط الصعيد قاتلوا جنبا إلي جنب مع المسلمين الجيش الغازي الفرنسي في الصعيد، بل يقرر عبد الرحمن الرافعي المؤرخ المصري الشهير أن المقاومة التي لقيها الجيش الفرنسي في الصعيد كانت هي الأعنف، واشد ما أصاب الفرنسيين في مصر ..

للإنصاف وللحقيقة وبعيدا عن هوي النفس فإن كل الوقائع التارخية تؤكد أنهم قاتلوا ضد جيوش الروم الجدد، وتعرضوا مع المسلمين لكل صنوف التنكيل والإبادة ..

حرص نابليون علي استغلال الدين، وذكريات الحروب الصليبية في إشعال نيران الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط، ودق أول إسفين معاصر في وحدة أبناء الوطن ..

تعاون مسيحيو الشام مع نابليون كجواسيس وطابور خامس، يؤكد ذلك ما جاء في كتاب نابليون في مصر لهيرولد أنهم رحبوا بالفرنسيين، وقابلوهم بفرح عظيم، واستضافوا نابليون بونابرت في دير الناصرة، وأخبروا عن تجمعات المسلمين في نابلس والجليل، وأن آلاف المسيحيين والدروز في أرجاء فلسطين قد أقسموا علي الانضواء تحت لوائه، وأن المسيحيين الفلسطينيين قد شاركوا الفرنسيين في التراجع خوفا من انتقام أحمد باشا الجزار حاكم عكا ..

يقول بونابرته في مذكراته: " أن فرح المسيحيين لا يمكن وصفه، بعد أن رأوا قوما من دينهم بعد قرون طويلة..وأنه قد أفاد منهم كثيرا خلال حصارعكا.

من هنا كان حرص نابليون علي تمثيل النصاري في تشكيلاته الإدارية جنبا إلي جنب مع شيوخ وعلماء الأزهر، ليستخدمهم كأداة لتنفيذ مشروعه الاستعماري الكبير بتحويل مصر إلي مستعمرة إفريقية نموذجية ..

يذكر الجبرتي: " أنه بعد وصول أنباء سقوط العريش في يد نابليون، أظهر النصاري الفرح والسرور بالأسواق والدور، وأولموا في بيوتهم الولائم، وغيروا الملابس والعمائم وتجمعوا للهو والخلاعة، وزادوا في القبح والشناعة .. خرج النصاري من القبط والشوام والأروام وتأهبوا للخلاعة، وخرجوا في تلك الليلة عن طورهم ورفضوا الحشمه وسلكوا مسلك الأمراء من النزول في المراكب الكثيرة ، وصحبتهم نساؤهم وقحابهم وشرابهم وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات ومحاكاة المسلمين وبعضهم تزيا بزي أمراء مصر ولبس سلاحا وشبه بهم وحاكي ألفاظهم في سبيل الاستهزاء والسخرية وغير ذلك ووقع في تلك الليلة بالبحر وسواحله من الفواحش والتجاهر بالمعاصي والفسوق ما لا يكيف ولا يوصف " وانتشر الشك وتبادل المسلمون والنصاري الاتهامات .

يقول الشيخ الجبرتي: انضم إلي الفرنسيين الأسافل من القبط والأرازل من المنافقين وتقربوا إليهم بما يستميلون قلوبهم به، وما يستجلبونه لهم من المنافع والمظالم وأجهدوا أنفسهم في التشفي من بعضهم وما يوجب الحقد والتحاسد الكامن في قلوبهم إلي غير ذلك مما يتعذر ضبطه ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾(القصص:٥٩) .

ولم يقتصر الأمر في استغلال الدين إلي هذا الحد من جانب النصاري فقط، بل إن بعض المسلمين رأي أنه لنيل ثقة السيد الجديد والحصول علي فتات السلطة هو الخروج عن الإسلام واعتناق دين الغزاة .. لذلك تجاهر النصاري عليهم بفاحش القول واستذلوا المسلمين .. كان ذلك بما كسبت أيديهم " وما ربك بظلام للعبيد "

لقد هزت الحملة الفرنسية التصور الديني وقسمت الأمة إلي مسلمين

ونصاري ويهود يتبادلون الشماتة بانتصارات الفرنسيين وهزائمهم، وانتصر الشك، وتبادلوا الاتهامات، وبدأت الوشايات بينهم إلي حد أن ترجي المسلمون السلطة أن تعاملهم مباشرة دون تدخل أحد من الأقباط الذين قربتهم إليها أمثال المعلم يعقوب صاحب التاريخ الدامي في الصعيد والذي أصبح اسمه يمثل كل الفحش الاستعماري والاستبداد الفرنسي والتنكيل الوحشي بالمسلمين ..

سعي الفرنسيون إلي غرس الأحقاد في النفوس بين أبناء الوطن وجيران الوطن، ولتكريس الانقسامات بين المسلمين والأقباط جندت الحملة آلاف الشبان المسيحيين كعسكر .. يقول الشيخ الجبرتي: طلبوا عسكرا من القبط فجمعوا منهم طائفة وزيوهم بزيهم وقيدوا بهم من يعلمهم كيفية حربهم ويدربهم علي ذلك وأرسلوا إلي الصعيد فجمعوا من شبانهم نحو الألفين وأحضروهم إلي مصر وأضافوهم إلي العسكر ..

كان نابليون في مخططه الاستعماري يركز علي الاعتماد علي عنصر الطائفية في التمكين لاحتلاله مستفيدا من أخطاء وفشل الحروب الصليبية في الاعتماد عليه .. ونجح نابليون ونجحت الحملة في إحداث شرخ اجتماعي خطير لم يلتئم، وشهدت سنوات الحملة من عوامل التمزق للوحدة الوطنية ما لم نعرفه في تاريخنا قط ..

**يعقوب بن حنا .. الخائن لدينه ووطنه ..**

**دور الجنرال العميل:**

ولد المعلم يعقوب بن حنا في ملوي بالمنيا عام ١٧٤٥م. والتحق في عهد علي بك الكبير بخدمة سليمان أغا الانكشارية، واستطاع من خلال إشرافه علي إدارة أملاك رئيس الانكشارية أن ينمي ثروته، فلما نشب القتال بين مراد بك وجيش قبطان باشا اشترك المعلم يعقوب مع مخدومه سليمان بك في هذه الحرب، وظهرت مواهبه في القتال كما ظهرت في الإدارة، وعندما دخل بونابارته مصر التحق المعلم يعقوب بخدمة الفرنسيين في وظيفة بجيش الجنرال ديزيه وصاحبه أثناء حملته علي الصعيد، فكان يشرف علي تموين الجيش

الفرنسي بالأغذية وكان يشترك في قتال المماليك بشجاعة وضراوة جعلتا الفرنسيين يقدمون له سيفا تذكاريا تكريما له !!

قاد الجنرال الخائن لوطنه وبلده عمليات النهب والسلب الوحشي لقري مصر واغتصاب نسائها وهتك أعراضهن .. لم يقاتل يعقوب المماليك بل كان يقاتل أبناء الصعيد ومن انضم إليهم من الأشقاء العرب المجاهدين في ملوي وقفط وجرجا وقنا وأسوان ..

بعد أن غادر بونابرت مصر عاد المعلم يعقوب إلي القاهرة وكلفه الجنرال كليبر بتنظيم مالية البلاد وعينه قائدا للفيلق القبطي الذي شكل في مصر ليعاون الفرنسيين ثم عين مستشارا لمسيو أستين مدير الإدارات العامة ورقاه القائد عبد الله جاك مينو إلي رتبة جنرال وجعله مساعدا للجنرال بليار في مارس ١٨٠١م. للدفاع عن القاهرة ضد هجوم الجيش التركي الانجليزي ومنذ ذلك التاريخ ارتبط مصيره ومصير الفيلق القبطي بمصير الجيش الفرنسي، وعند تسليم القاهرة في يونيو ١٨٠١م. دخل الجنرال يعقوب في اتفاقية التسليم، وهكذا غادر القاهرة ليبحر إلي فرنسا مع الجيش الفرنسي بعد ثلاث سنوات قضاها في التعاون مع الفرنسيين ..

يقول الجبرتي:

لما وقعت الفتنة ظهر يعقوب القبطي وتولي أمر الفردة وجمع المال وأمر الاعتقال للمسلمين وحبسهم وعقوبتهم وضربهم .. كان يجلس علي الكرسي وقت القائلة ويأمر أعوانه بإحضار المحبوسين من التجار وأولاد الناس، فيبطحونه ويضرب بين يديه، ويرده إلي السجن بعد أن يأمر أعوانه أن يذهب إلي داره وصحبته الجماعة من عسكر الفرنسيس ويهجمون علي حريمه وأمثال ذلك .. ويقول: في حوادث عام ١٢١٥هـ ١٨٠٠-١٨٠١م.:

أن يعقوب القبطي لما تظاهر مع الفرنساوية وجعلوه ساري عسكر القبطه جمع شبان القبط وحلق لحاهم وزياهم بزي مشابه العسكر الفرنساوية مميزين عنهم بقبع يلبسونه علي رؤوسهم مشابه لشكل البرنيطة وعليها قطعة فروة

سوداء من جلد الغنم في غاية البشاعة مع ما يضاف إليها من قبح صورهم وسود أجسامهم وزفارة أبدانهم، وصيرهم عسكره وعزوته وجمعهم من أقصي الصعيد وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصاري التي هو ساكن خلف الجامع وبني له قلعة وسورها بسور عظيم وأبراج وباب كبير يحيط به بدنات عظام، وكذلك بني أبراجا في ظاهر الحارة جهة بركة الأزبكية وفي جميع السور المحيط والأبراج طيقانا للمدافع وبنادق الرصاص علي هيئة سور مصر الذي رمه الفرنساوية ورتب علي باب القلعة الخارج والداخل عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلا ونهارا وبأيديهم البنادق علي طريقة الفرنساوية ..

ويقول المؤرخ شفيق غربال عنه:

أنه كان من أدوات تثبيت الاحتلال الفرنسي بالقوة التي كونها وعزز بها قوة الجيش الفرنسي ..

مم لاشك فيه أن المعلّم يعقوب بن حنا، لم يكن أكثر من عميل خائن لوطنه ودينه، عندما جاء الفرنسيون أصبح مرشدا وجاسوسا وجابيا بجيش الجنرال ديزيه الذي تولي إخضاع الصعيد المصري، كان شريكا لديزيه في حملته، تولي فيها عمليات القمع والتحصيل المتصلة بالأهالي .. يقول الجبرتي:

" سافر في خامس عشرة عدد كبير من عسكر الفرنساوية إلي جهة الصعيد وكبيرهم ديزيه وصحبته يعقوب القبطي ليعرفهم الأمور ويطلعهم علي المخبآت "

ارتكب بن حنا جرائمه في الصعيد وكان محتقرا من الأقباط الذين تبرأوا منه واعتبروه سبة للأقباط المصريين لعمالته للمحتل الغربي، واستقبلوا أعماله بفتور ..

تفرغ المعلم يعقوب لأعمال السلب والنهب والتفتيش عن المخبآت أموالا كانت أو فتيات صعيديات مسلمات أو نصرانيات يقدمهن إلي سادته من الضباط والجنود الفرنسيين !!

لما غادر بونابرته مصر، وأصبح كليبر قائدا عاما للجيوش الفرنسية في مصر وفي عهده تفاقم الأمر، فلم يتردد في محاباة النصاري، فيأذن لهم المعلم يعقوب بتكوين الفرقة القبطية وفرض الضرائب علي السكان ما عدا النصاري .

ركز كليبر علي اختيار عناصر غير مسلمة ووكل إليهم مهمة التنكيل بالناس .. لقد اعتقد النصاري بعد انتصار كليبر أن أركان حكم الفرنسيس قد توطد للأبد، وأنهم سيظلون أسياده دون منازع، لذلك تغطرسوا وتعجرفوا .. يقول الجبرتي: " توكل رجل قبطي يقال له عبد الله من طرف يعقوب بجمع طائفة من الناس لعمل المتاريس، فتعدي الرجل علي بعض الأعيان ، وأنزلهم من علي دوابهم وعسف وضرب بعض الناس علي وجهه حتي أسال الدم فتشكي الناس من ذلك القبطي وأنهوا شكواهم إلي بليار الفرنسي .."

بعد مقتل كليبر اشتد التنكيل بالمسلمين وأنزل الفرنسيون بالمصريين الذل والهوان، بعد مقتل كليبر واشتد أمر المطالبة بالضرائب وأوكلوا هذه المهمة إلي نصراني قبطي يسمي " شكر الله " فسام الناس أنواعا من العذاب .. يقول الجبرتي: نزل بالناس ما لا يوصف فكان يدخل إلي دار أي شخص كان لطلب المال وبصحبته العسكر من الفرنساوية والفعلة فيأمرهم بهدم الدار إن لم يدفعوا له المقرر دون تأخير وكان يحبس الرجال والنساء وينوع عليهم العذاب ..

بعد توقيع وثيقة استسلام وجلاء الحملة الفرنسية خرج يعقوب وسائر العملاء النصاري

" جمع عسكر القبط وهرب الكثير منهم واختفي، واجتمعت نساؤهم وأهلهم وذهبوا إلي القائمقام وبكوا وولولوا وترجوه في إبقائهم عند عيالهم وأولادهم فإنهم فقراء وأصحاب صنائع ما بين نجار وبناء وصائغ وغير ذلك فوعدهم أنه يرسل إلي يعقوب أنه لا يقهر منهم من لا يريد الذهاب والسفر معه "

سافر مع يعقوب الذين استطابوا الخدمة في مؤخرة جيش فرنسا، مقاتلين مع جيش الاحتلال " وفي يوم الأربعاء تاسع عشرمن صفر الخير ١٢١٦هـ . خرج المسافرون مع الفرنساوية إلي الروضة والجيزة بمتاعهم وحريمهم وهم

جماعة كثيرة من القبط وتجار الإفرنج والمترجمين وبعض المسلمين ممن تداخل معهم وخاف نفسه وكثير من نصاري الشام والأروام "

خرج يعقوب ومن معه من الخونة .. حملوا معهم صناديقهم وهرعوا إلي المركبة الانجليزية مع فلول الجيش الفرنسي المنهزم خوفا من غضبة الشعب المسلم الذين خانوه ..

لم يكن يعقوب مصريا ولا قبطيا، كان خائنا عميلا، تعاون مع الفرنسيين، أنكر وطنه وساهم في إذلال الشعب المصري، وتبرأت منه الكنيسة منذ اللحظة التي كون فيها الفيلق القبطي، ولقد ضاعف موقفه هذا من كبر ذنب الأقباط في عيون أبناء الوطن ..

يقول الدكتور وليم سليمان:

إن كتب التاريخ القبطي تبرؤ الكنيسة المصرية من الشخص الذي ينحرف عن الولاء لمصر ويؤكد الكتاب الأقباط علي أن موقف يعقوب المخزي كان مستنكرا من البطريرك وشيوخ الأقباط المسنين الذين نصحوه المرات العديدة بالعدول، ولكنه لم يقبل ..

ومع الفرقاطة الانجليزية بالاس التي أبحرت بالقوات الفرنسية نحو قبرص يرحل المعلم يعقوب، وبعد يومين من رحيله يصاب بالحمي ويشتد عليه المرض ثم يموت بعد أربعة أيام .. لم تكن آخر كلماته عن مصر ولا عن أسرته، ولا عن أفراد فرقته الذين ساروا في ركابه .. إنما كانت آخر كلماته وهو يحتضر أن يدفن في قبر ديزيه الفرنسي فاتح الصعيد وإلي جانبه !!

**يعقوب حنا بطلا لدي نفر من نصاري مصر !!**

يقول د. زاهر رياض في كتابه " المسيحيون والقومية المصرية "

الأمانة التاريخية تقتضينا ان نلقي نظرة علي الأعمال البطولية التي قام بها المعلم يعقوب حتي يستحق التكريم العظيم من جانب الأقباط .. إن يعقوب عندما علم أن الفرنسيين علي وشك الجلاء عن مصر اتصل بقائد الحملة

الجنرال كليبر وأقنعه بأن أحسن قوة تستطيع فرنسا أن تستند لها في مصر هي إنشاء جيش قبطي تقوم فرنسا بتسليحه، وبالفعل تم إنشاء هذه القوة من حوالي ٢٠٠٠ شاب من أقباط الصعيد، ولم يكتف المعلم يعقوب بإنشاء هذا الجيش الطائفي وإنما أصر علي مصاحبة القوات الفرنسية عند رحيلها من مصر حتي يقنع فرنسا بالعودة إلي مصر، وأخذ معه وفدا قبطيا، ولكن يعقوب مات أثناء الرحلة فواصل الوفد مهمته !!

وكتب سكرتير الوفد رسالة إلي تاليران وزير خارجية فرنسا يقول فيها:

إن فرنسا خسرت خسارة عظيمة في الشرق، فلم لا تتخذ من مهمة هذا الوفد وسيلة لتعويض ما خسرته، فإنها تستطيع - أي فرنسا - مستندة إلي صداقة مصر المستقلة أن تمد نفوذها الأدبي نحو أواسط أفريقيا، وهكذا يتحول جلاؤكم عن مصر من حادث نحس إلي منبع مجد للقنصل الأول ورفاهية لأقاليم فرنسا الجنوبية !!

## تحالف أقباط ونصاري مصر مع الإنجليز !!

سعي الإنجليز لتفكيك البني الاجتماعية بمصر، وإعادة تركيبها بما يخدم مصالحهم وطموحاتهم الاستعمارية، فقام الاحتلال بتطبيق سياسة قبطية استهدفت شق الصف المصري الوطني، واختراق الكنيسة القبطية، بإبرازهم مسئولية الإسلام والغزو والاحتلال العربي، ومسئولية العرب والإسلام عن تخلف وجمود الأقباط .. تلك الاتهامات التي لم تبرز في المجتمع المصري قبيل الاحتلال البريطاني لمصر ..

تفاقم الخلاف بين المسلمين وأقباط مصر، في مطلع العقد الثاني من القرن العشرين، واتخذ هذا الخلاف الخفي شكلا علنيا سافرا عنيفا عام ١٩١١م . وعاش الناس أقباطا ومسلمين في أزمة، كان سببها سوء الظن وفقدان الثقة بين الطرفين .. اتهم المسلمون الأقباط بموالاتهم الانجليز المستعمرين لما يجمع بينهما من رابطة المسيحية، وكان المسيحيون يسيئون الظن بالمسلمين ويتوهمون أنهم يتحينون الفرص للانتقام منهم، ولا يحول بينهم وبين ذلك إلا الانجليز .

كان كثير من المسلمين ينزلون أنفسهم منزلة خاصة من القبطي، وينظرون إليه نظر السيد من المولي، حتي انتهي الأمر بالقبط إلي أن يوزعوا أنفسهم بين الأسر الإسلامية الكبيرة في قري الصعيد ويضعون أنفسهم تحت حمايتهم .. كانت هذه التقاليد ثابتة ومقررة لقرون طويلة مضت، ونشأ عليها المسلمون والأقباط، واعتبرها المسلمون حقا لهم، وأذعن لها الأقباط علي أنها أمر واقع وظلوا يتحينون الفرص للخلاص منه .

اختلف موقف الأقباط من الاحتلال الانحليزي المسيحي عن موقف المسلمين من المصريين، فلم يتحمسوا لمحاربته تحمس المسلمين، واستشعروا القوة، وظهرت بينهم روح جديدة، اعتبرها المسلمون خيانة للبلد الذي يطعمهم ويكسوهم ..

أقبل الأقباط علي التعليم الأجنبي بنوع خاص وحرصوا علي جمع المال حرصا شديدا، وازداد عددهم في الوظائف الحكومية، وتجاوزوا نسبتهم العددية في السكان، وازدادت ثرواتهم في ظل الاحتلال الانجليزي، فبدأ المسلمون ينظرون إليهم علي أنهم لم يبلغوا ما بلغوا إلا بتحيزهم للمستعمر واحتضانه لهم، ومما أدي إلي اتساع الهوة بين المسلمين والأقباط أنه بعد أن أصبح الأقباط أكثرية في بعض المصالح والوزارات سرت العصبية بينهم وصار بعضهم يؤثر البعض الآخر بالخير، ويسعي إلي زيادة عدد الموظفين الأقباط ..

توهم الأقباط بعد أن زاد عدد المتعلمين منهم، وارتفعت نسبة ما يدفعه أغنياؤهم من ضرائب بالظلم، وأنه من حقهم أن يكون لهم من الوظائف والمرافق بمقدار من فيهم من المتعلمين، وبمقدار ما يدفعون من الضرائب، ونظر المسلمون إلي هذا الأمر بأنه ينطوي علي الشطط والجشع وتجاوز الحد في الإنصاف، وأنهم إنما يريدون أن تتحكم القلة القليلة في مصائر الكثرة الكثيرة اعتمادا علي حماية المستعمر المسيحي ..

توهم الأقباط أن مصلحتهم تختلف عن مصلحة الكثرة الكبيرة من المسلمين، فأنشأوا لهم صحافة تعبر عن مصالحهم ورغباتهم، فصدرت جريدة

الوطن عام ١٨٧٧م . أصدرها ميخائيل عبد السيد، وصحيفة " مصر" عام ١٨٩٥م . أصدرها تادرس شنودة المنقبادي .. طالبت هذه الصحف برفع ما توهمته من ظلم علي القبط ولم تزل تسير في طريقها حتي انتهي بها الأمر إلي أن تتحدث عن القبط وكأنهم أمة مستقلة لها كيان منفصل عن مصر وتقول أنهم من سلالة الفراعنة وأصحاب البلد، وأنهم هم المصريون الخلص الذين لا تشوب دمهم شائبة أجنبية ..

بدأت هذه الصحف تتحدي الرأي العام باستحسان ما أجمع عليه المصريون علي استنكاره فأيدت قانون المطبوعات القديم الصادر عام ١٨٨١ م. والذي بطل العمل به منذ زمن بعيد واستنكرته الأمة، ورأت الصحف القبطية أنه يحد من سفه السفهاء الذين يدعون إلي الفتنة .

**تأييد الأقباط للرئيس الأمريكي تيودور روزفلت:**

زار الرئيس الأمريكي تيودور روزفلت مصر عام ١٩١٠م . عائدا من السودان بعد أن ألقي في الخرطوم خطبة سياسية مجد فيها الاحتلال الانجليزي ثم ألقي في جامعة القاهرة خطبة عارض فيها المطالبة بالدستور، فقابل المصريون خطبته بالاستنكار، وأرسلوا الاحتجاجات إلي إدارة الجامعة لسماحها له بإلقاء الخطبة في دارها، ومنحه لقب الدكتوراة الفخرية بعد إلقائها، ونادي المتظاهرون بسقوطه أمام فندق شبرد بالقاهرة حيث كان ينزل ...

كتبت الصحف القبطية تؤيد الرئيس الأمريكي، وترد علي من يهاجمه، وتصف روزفلت بالرجل العظيم والرجل المهاب الذي تنازل وألقي علينا خطابا كله حكم ومواعظ وإرشاد واستنكرت التساؤلات التي طرحت فيمن نبه روزفلت إلي سياسة مصر ودخيلتها وأعلمه أسرارها، وكشف عوراتها، ومن هم الواشون علي البلد، وأعلم الرئيس بمجريات الأحوال، وهل هم الانجليز أم الأمريكان فكدروا صفاء الأديان ببلاد السلطان أم هم الشوام والأقباط ..

ساعدت الصحف علي توسيع الهوة بين المسلمين والأقباط، مما دفع بعض الأقباط إلي التخلي عن جنسيتهم، والتماس الحماية في بعض الجنسيات الأوربية

التي كانت تكسبها الامتيازات الأجنبية حصانة خاصة، وتضعها في مركز خاص ممتاز لا تمتد إليه يد القانون، فتجنس فخري عبد النور بالجنسية الألمانية، وحصل بشري حنا بك، وسينوت حنا بك علي الجنسية الروسية وأصبحا وكيلا لقنصل روسيا في أسيوط والمنيا، كما أصبح الخواجة تادرس مقار، وكيل قنصل فرنسا في أسيوط، وكان قنصل فرنسا في أسيوط، وكان جورجي ويصا بك وكيلا لقنصل أمريكا في أسيوط، وأندراوس بك وكيلا لقنصل إيطاليا في الأقصر، أولئك الذين أصبحوا فيما بعد من أساطين حزب الوفد ..

**المؤتمر القبطي في أسيوط مارس ١٩١١م:**

أخذ بعض أعيان الأقباط في الصعيد يدعون سرا لعقد مؤتمر يبحث حالتهم ويؤيد مطالبهم، وأخذوا يبثون روح السخط بين المواطنين الأقباط ويصورون أنهم مغبونون في الوظائف والحقوق، وصارت الصحف القبطية تنفخ في هذه الروح، وأوجس الناس خيفة من عواقب هذه الحركة ..

عارض الحزب الوطني فكرة عقد مؤتمر للأقباط، ورأي العقلاء فيه تكريس الطائفية وتباعد بين أبناء الوطن الواحد، وعقد المؤتمر وأكد خطباء المؤتمر أن المسلمين لم يغبنوهم في الماضي، وأنهم لم يريدوا ولا يريدوا غير أن يكونوا معهم قلبا واحدا ويدا واحدة ..

**.. مقتل بطرس غالي:**

كان بطرس غالي رئيسا للوزارة حينذاك، مال إلي مهادنة المستعمرين وشجع الخديوي عباس علي الاتفاق مع غورست ممثل الانجليز في مصر، وكان قد سافر معه إلي لندن عام ١٩٠٨م حين كان وزيرا للخارجية في وزارة مصطفي فهمي باشا، وتفاهم مع الانجليز علي السياسة الجديدة، وقد كان من قبل مستشارة وسفيره فيما كان ينشب بين الخديوي وبين كرومر من خلاف، وقد رشحه الخديوي عباس لرياسة الوزارة ودون اهتمام بانتقاد الناس بتعيين رئيسا قبطيا للوزارة ..

فوجئ الناس بمقتل بطرس غالي في ٢٠ فبراير ١٩١٠ فتفاقم بمقتله

الخلاف وبرزت الفتنة عارية عمياء .. كان قاتله " إبراهيم ناصف الورداني " شابا في الرابعة والعشرين من عمره، تلقي علوم الصيدلة في لوزان، وفتح بعد عودته صيدلية وكان من المتحمسين لمباديء الحزب الوطني المناويء للخديوي عباس وقتذاك .

## لماذا قتل بطرس غالي ؟؟

كان تاريخ الرجل السياسي، فيه أخطاء ما ينزل إلي درجة الخيانة الوطنية فهو الذي وقع اتفاقية السودان ١٨٩٩م بالنيابة عن الحكومة المصرية بوصفه وزير خارجيتها، وقد فوجيء الناس وقتذاك بتوقيعها، ولم يذع أمرها إلا بعد إبرامها، وكانت الصحف تجهل الخطوات التي سبقتها، فلم تنشر شيئا عن مقدماتها أو المفاوضات بشأنها .

وحين تولي بطرس غالي وزارة العدل، أصدر قرارا بتشكيل محكمة دنشواي التي تولي رئاستها بنفسه، وحكم علي الفلاحين بالإعدام، وكانوا ضحايا لعدوان الانجليز عام ١٩٠٦م واستهل عمله في الوزارة التي رأسها بكبت الحريات، فأعاد العمل بقانون المطبوعات في مارس عام ١٩٠٦م والذي يخول لوزير الداخلية حق إنذار الصحف وتعطيلها دون محاكمة، وقد حوكم بمقتضي هذا القانون كثير من الصحفيين وحكم عليهم بالسجن ..

كما أصدر قانون النفي الإداري الذي يضع في يد السلطة الإدارية حق نفي الأشخاص الذين تري أنهم خطرون علي الأمن العام إلي جهة نائية .. ثم أنه ختم حياته السياسية بدخوله مع شركة قناة السويس في مفاوضات لمد امتيازها أربعين سنة مقابل أربعة ملايين من الجنيهات، وكان قد فعل ذلك استجابة لرأي المستشار المالي الانجليزي لسد حاجة البلاد المالية، وظل مشروع المد في طي الكتمان زهاء سنة ولولا تسرب أنبائه وهياج الشعب ومطالبته بعرضه علي الجمعية العمومية والتي رفضته، لفاجئت الوزارة الرأي العام بإنفاذه ..

وقتل بطرس غالي أثناء نظر الجمعية لمشروع المد، ليس لأنه قبطي ولكن كان هذا جزاء من خان وطنه وآذاه ..

## المؤتمر الإسلامي:

انعقد المؤتمر القبطي في أسيوط، بدعوة من مطران أسيوط، وبرئاسة بشري حنا بك واستمرت جلساته وانحصرت مطالبه في أن يكون يوم الأحد عطلة بجانب الجمعة، وأن تكون قاعدة التوظف هي الكفاءة وحدها دون نظر إلي نسبة الأقباط العددية في السكان، ووضع نظاما يكفل للأقباط تمتعهم بالتعليم حتي لا يقتصر التعليم علي الدين الإسلامي وتمثيلهم في المجالس النيابية، والانفاق علي الكنائس من الخزينة العمومية ..

عقد المسلمون مؤتمرا تجاهلوا فيه الأساس الطائفي الذي قام عليه المؤتمر القبطي لينظر في شؤون المصريين جميعا أقباطا ومسلمين، وأسموه بالمؤتمر المصري، ولم يسموه بالمؤتمر الاسلامي توكيدا لوحدة الأمة ..

تناول المؤتمر ما تنطوي عليه الاستعانة بالانجليز من خطر علي الوطن، مما يدعو إلي الاسترابة في حسن نية القائمين به، الذين أرادوا أن يصلوا بمعونة انجلترا المسيحية إلي أن يكون لهم في مصر – وهم أقلية – حق السيادة علي الأكثرية اعتمادا علي الاحتلال المسيحي .. وأعلن المؤتمر أنه سيبحث في عمل الأقباط ويزن مطالبهم بميزان العدل ويبين النافع من الضار والممكن وغير الممكن ، ويقرر لهم ما يراه حقا من غير أن يحوجهم إلي السعي بإخوانهم وشكايتهم إلي غيره، ثم تتبع المؤتمر مطالب المؤتمر القبطي بالرد عليها، مدعما رده بإحصائيات تبين أن نسبة القبط في الوظائف الحكومية، وأن تمثيلهم في مجالس المديريات، يفوق نسبتهم العددية بمقدار كبير مما يدل علي تسامح المسلمين ..

وبالنسبة لمطالب الأقباط التي انبثق عنها مؤتمر أسيوط، قرر المؤتمر الإسلامي استحالة قسمة الحياة السياسة في مصر، ورفض اعتبار يوم الأحد عطلة رسمية، وبالنسبة للوظائف أوضح أنه يجب التعيين بالكفاءة من جميع وجوهها علمية وإدارية وأخلاقية دون شرط آخر، وذكر عن التعليم أن الأقباط يتمتعون بما يفوق نسبتهم العددية، ورفض تخصيص أي حصيلة ضريبية علي

المرافق العامة ..وقرر أن يبقي الانتخاب شائعا بين جميع المصريين علي أن تسعي الحكومة إلي جعل الكفاءة العلمية ذات نصيب أوفر مما هو قائم في المجالس النيابية ..

## الاستقواء القبطي بالدول الأوربية:

انحرفت حركة الأقباط في مصر انحرافا خطيرا، فسافر بعض رجالهم إلي انجلترا شاكين مستنجدين، وزادوا في كتابتهم في الصحف القبطية الشكوي إلي الصحافة الانجليزية من سوء الوضع في مصر زاعما بأن الأقباط هم سلالة قدماء المصريين، وأنهم كانوا يتمتعون بمراكز مهمة نزعت منهم شيئا فشيئا .. طالبت الصحف القبطية حينئذ بالالتجاء إلي عموم الدول الأوربية للنظر فيما آلت إليه حالتهم، وبدأت الصحف البريطانية – الديلي نيوز – تنشر شكاوي الأقباط، وأخذوا يكيلون التهم للحزب الوطني وصحافته ومدارسه، متهمة إياه ببث روح التعصب الديني وإيغار الصدور ضد الانجليز والنصاري ..

ويعيد اليوم التاريخ نفسه وتعود المسألة القبطية مرة أخري إلي الظهور، نصاري مصر يخططون من أجل تحقيق مكتسبات لا تنتهي .. يصورون أنفسهم بأنهم أقلية مضطهدة تهاجم كنائسها وتحرق ممتلكاتها الخاصة .. وذلك عبر أقباط المهجر .. بعد أن راح رأس الكنيسة الأرثوذكسية – في السبعينيات من القرن الفائت – ينفث سمومه عبر محاضراته علي شباب النصاري، وجرعات السم الزعاف التي يتلقونها، ليستنهض بها هممهم من أجل تمكين النصاري والنصرانية القبطية في مصر، مما جعل البعض منهم يصرح بأنهم يريدون مصر كلها كاملة، وعلي ما كانت عليه قبل الفتح الإسلامي معتمدين علي أمريكا الكاثوليكية البروتستانتية، والتي ستنقض عليهم يوما .. والتي لن تدوم لهم وسيقضي عليها يوما ..

جرعات السم الزعاف التي يتلقاها القبطي المصري من رعاة الكنيسة، جعلت نفرا من الأقباط النصاري يعتقد بأن مصر ستعود يوما إلي النصرانية كما كانت !! ويرون أن أمر الأندلس منهم ليس ببعيد ..

كانت العلاقة دوما طوال فترات التاريخ، بين المسلمين والأقباط علاقة متينة وقوية .. كانوا دوما جزءا لا يتجزأ من النسيج الوطني المصري والعربي والإسلامي .. شاركوا كإخوانهم المسلمين في البناء الثقافي والحضاري، شجعهم تسامح الإسلام والمسلمين .. الإسلام الذي حررهم حين دخولهم من الاضطهاد الروماني ..

شاركوا في العمل العام سلبا وإيجابا .. لدرأ خطرا علي الأرثوذكسية المصرية ..

تدور المسألة القبطية منذ السبعينات حول حق بناء الكنائس، ونسبة التمثيل في البرلمان وعدم التمييز بين الأقباط والمسلمين في الوظائف !! يطالبون بفصل الصعيد عن الوجه البحري، وإقامة جمهورية قبطية فيه !! طالبوا برحيل الاستعمار العربي الإسلامي من كل مصر علي غرار الأندلس ..

طالبوا بفصل الدين عن الدولة من الوثائق الرسمية الحكومية .. بإلغاء المادة الثانية من الدستور الذي ينص علي أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيس للتشريع في مصر وإلغاء خانة الدين والديانة من الوثائق الحكومية..يطالبون ب ١٥في المائة في المناصب السيادية .. مقاعد في البرلمان والوزارات ..ونسبتهم لا تزيد عن ٦في المائة حسب الإحصاءات الرسمية .. في مصر ٤،٢مليون نصراني، يساوي ٥،٩ في المائة من سكان مصر حسب إحصاء المخابرات الأمريكية، منهم مليون لا ينتمون إلي الكنيسة الأرثوذكسية ومنقسمون إلي طوائف شتي ..

تؤكد المصادر الموثوق منها أن نسبتهم من السكان في مصر تتراوح بين ٥،٨: ٦،٢ في المائة ولكنهم يتحدثون عن نسبة ٢٠في المائة من السكان !! .. عدد الكنائس بالنسبة للنصاري يفوق نسبة عدد المساجد بالنسبة للمسلمين في مصر .. ولكنه الشعور بالاستقواء بالأمريكان الذي جعلهم يتجرؤون علي القول بأن مصر محتلة من العرب، وأنه ينبغي إخراج المحتلين العرب من مصر !!

الإسلام والمسيحية كليهما يأمران بالإحسان، وينهيان عن البغي والعدوان،

ومصر هي أم المسلم والقبطي علي السواء، خيرها لهما إن اتحدا وتماسكا، فإن تفرقا فكلها للأجنبي الغريب .. فهل آن الأوان أن يصم أقباط مصر آذانهم عن دعاة الشقاق والذين يبذرون بذور الجفاء ؟؟ ماذا لو أكد ذلك النفر علي صلة المودة والجوار التي تقوم بين المسلم والقبطي، مذكرين بما كان بينهم من ود قديم أكيد في مختلف عصور التاريخ، مبينين أن الإسلام بريء من الذين يسيئون فهمه ويخرجون علي تعاليمه السمحة، فيسيئون إلي أنفسهم وإلي دينهم وإلي وطنهم جميعا ..!!

| | |
|---|---|
| **ديــن عيــسي فيكم ودين أخيه** | **" أحمــد" يأمــرانـنا بالإخــاء** |
| **ويحكــم ما كذا تكون النصاري** | **راقــبوا الله بــاريء العــذراء** |
| **مــصر أنتم ونحن إلا إذا قامت** | **بتفــريقنا دواعــي الــشقاء** |
| **مــصر لــنا إذا تماســكنا** | **وإلا فمــصر للغــرباء** |

**.النصاري يعادون المؤمنين بالمسيح .. ويحالفون الكافرين به !!**

أيهما أقرب إلي المسيح ودينه .. أيهما أعدل نظرة وأوفي .. المسلمون الذين يؤمنون بالمسيح ويوقرن أمه ويعظمونها .. أم الذين افتروا علي مريم وحاولوا اغتيال المسيح ؟!! يؤمن المسلمون بأن عيسي عليه السلام رسول جليل من أولي العزم من الرسل، كان يهدي بالحق وبه يعدل، ويؤمنون بمعجزة الحمل حمل مريم الطاهرة البتول بالمسيح عليه السلام ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَـٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَـٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾(مريم:١٦/٢١) .

يؤمن المسلمون بمعجزة الميلاد .. ميلاد المسيح عيسي عليه السلام ابن مريم:

﴿ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَـٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴾(مريم:٣٣/٢٧) ..

يؤمن المسلمون بمعجزة رسالة السيد المسيح ﷺ، وهي المعجزة التي نبأنا بها القرآن ودعانا إلي الإيمان المطلق بها: " إذ قال الله ياعيسي ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلي والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير فتنفخ فيه فتكون طيرا بإذني وتبريء الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتي بإذني "

يؤمن المسلمون بمجيء المسيح عيسي ﷺ وبعودته، لقول نبينا الخاتم محمد ﷺ " وإني أولي الناس بعيسي ابن مريم، لأنه لم يكن نبي بيني وبينه وأنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلي الخمرة والبياض عليه ثوبان محصران كأن علي رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويدعو الناس إلي الإسلام ويهلك في زمانه المسيح الدجال ثم تقع الأمنة علي الأرض حتي ترتع الأسود مع الإبل والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة ثم يتوفي ويصلي عليه المسلمون "كل ذلك وغير ذلك،ويصر النصاري في الغرب والشرق علي معاداة الإسلام ونبي الإسلام وبدلا من أن توجه التحية إلي محمد ﷺ، الذي يقدم المسيح ﷺ إلي البشرية في أجمل صورة وأبهي سياق، قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾(آل عمران:٤٥/٤٦) .

، وكذلك أمه مريم ابنة عمران، الطاهرة المطهرة المصطفاة ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾

(آل عمران:٤٢). في الوقت الذي يعادون فيه الإسلام والمسلمين يتحالفون مع الذين يكفرون بالمسيح عليه السلام ويقذفون أمه مريم البتول عليها السلام، وهم اليهود !! افترى اليهود على مريم الطاهرة المصطفاة حين اتهموها في عرضها وشرفها " ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ﴾(النساء:١٥٦) ..

.. حاول اليهود قتل المسيح وصلبه وهي محاولة ثابتة لم ينفها القرآن، إنما نفى أنهم قتلوه ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾(النساء:١٥٧) ..

جريمة دفعهم إليها ضيقهم الشديد بمواجهة المسيح لهم بأخطائهم وانحرافاتهم وجحودهم .. بعد أن واجه جحودهم وبعد أن حولوا الدين إلى طقوس وشكليات خالية من جوهر الدين وحقيقته قائلا لهم: تبا لكم أيها الكتبة والفريسون أيها المراءون، ويل لكم .. تحرصون على أن يكون الكأس نظيفا في خارجه ولا تهتمون بما في داخله من فسق ودعارة .. لهذا ضاقوا به وحاولوا قتله [1]..

| | |
|---|---|
| يـــاآل عيسى ما لعيسى لم يقم | مـــستنكرا مـــا أنـــتم جانونا ؟ |
| أوصـــاكم بالمعـــتدين فما بالكم | بـــالآمن المأمـــون فتاكيـــنا |
| مـــاذا جـــناه المسلمون عليكم | وهـــم على الأمصار غلابونا ؟ |

---

(١) زين العابدين الركابي – تسيس دين المسيح – الشرق الأوسط

# الباب الثاني

# الفصل الأول

## نحن والآخر .. وأي حوار ينادون به ؟؟!!

كثر الكلام هذه الأيام وارتفعت الأصوات، بالحديث عن مصطلحات ومقولات بدأت تغزو أسماعنا مثل مصطلح الآخر .. الموقف من الآخر .. والعلاقة بالآخر والاعتراف بالآخر ..

نحن we people والآخر the others مصطلح غربي، بدأ استعماله في أوروبا مع الثورة الفرنسية، وبدأ تداوله في أمريكا مع الثورة الأمريكية، أطلقه الثوار الفرنسيون والمتبنون لمبادئ الثورة الفرنسية علي أنفسهم، " نحن " وأطلقوا علي مناوئيهم من الذين وصفوهم بالاستبداد والرجعية وأعداء الحرية والمساواة والعدالة " الآخر " و " الآخرين " وكذلك الثوار الأمريكان الذين كانوا يحاربون من أجل تحرير أمريكا من هيمنة بريطانيا وفرنسا واستعمارها، أطلقوا علي أنفسهم " نحن " وعلي البريطانيين والفرنسيين ب" الآخر "

أما في الإسلام، فإنه منذ البداية نظر إلي البشرية كلها علي أنها داخلة في مفهوم " نحن " واستبعد من ساحته الفكرية مفهوم الآخر، لأن الأسرة البشرية كلها في نظر الإسلام تندرج في " نحن " لقوله تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾(الحجرات:١٣). ولقوله تعالي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾(النساء: ١) .. ويحدد القرآن " الآخر" في مخلوق واحد هو "الشيطان" قال تعالي: ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾(يس: ٦٠)(١)

---

(١) د. طه جابر العلواني – الآخر بين الإسلام والغرب

الآخر- في بحثنا هذا - هو غير المسلم.. والآخر هو الكافر الحربي، والكافر الذمي، والكافر المعاهد .. وقد يكون الآخر أيضا مسلما من أهل البدعة والضلالة !! .. كلمات تلوكها الألسنة وتتردد لدي الكثيرين .. علي أي حال سأقصر كلامي فى هذا البحث علي الآخر غير المسلم من اليهود الغاصبين، والنصاري الحاقدين ..

**الآخر الذي يمتهن مقدسات المسلمين:**

ماذا فعل الآخر بنا في الماضي ؟ وماذا يفعل بنا في الحاضر ؟!!

**وأي حوار ؟ ومع من يكون الحوار ؟؟!!**

أي حوار ينادون به .. أي حوار يتجاوز حقائق التاريخ وثوابت العقيدة، أي حوار ومع من ؟! .. مع من أساءوا للقرآن الكريم، والرسول ﷺ، وبيت المقدس، والقيم الإسلامية .. مع من يكون الحوار ؟! .. مع من جاءوا لتصفية حسابات قديمة، منذ هزيمة الدولة الرومانية البيزنطية في مصر، والشام، والبحر الأبيض المتوسط ؟! مع من جاءوا لسلب ثروات المسلمين .. !!

مع من وصل بهم الانحطاط الحضاري والسفه والدونية، إلي تحريك سفنا بحرية لإنقاذ كلبة تركت وحيدة في ناقلة معطلة في سواحل هاواي، هجرها طاقمها بعد أن انتشلتهم سفينة إنقاذ، بتكلفة خمسين ألف دولار !

في الوقت الذي ترتكب فيه المجازر البشعة ضد آلاف المسلمين من الأطفال والنساء والشيوخ .. باسم الإرهاب، تسكب عليهم الكيروسين ويحرقون أحياء في غوجرات بالهند، ويصطادون كالعصافير علي أيدي القناصة اليهود في فلسطين، ويقتلون بلا جريرة ولا ذنب في كشمير وأفغانستان وبورما والفلبين، وتباد فيه دولة كاملة في الشيشان .. .. الخ .

أين الآخر من الإرهاب اليهودي في فلسطين، والإرهاب الهندوسي في كشمير، والإرهاب الروسي في الشيشان، ولإرهاب النصراني في الفلبين وأندونسيا، وغيرها، وغيرها من بلدان المسلمين ؟؟!!

لو كان القتلي المسلمون في الشيشان، والبوسنة والهرسك، وأفغانستان وفلسطين والعراق، من الكلاب، أو القطط أو النعاج، لثار الآخر ولقامت الدنيا ولم تقعد !! ولكن لأنهم مسلمون، فإن قتلهم حلال، وإبادتهم تقدمية، وتشريد نسائهم وأطفالهم قمة الاستنارة والتنوير !!

إن حرب الآخر المعلنة علي الإسلام قد شملت كل طائفة مسلمة مضطهدة، تنافح عن دينها وعرضها وأرضها، وشملت كل مظهر من مظاهر التمسك، بما تبقي من عري الإسلام في الحكم، والتحاكم، والشعائر، والشرائع، والإعلام، والتعليم .

**عداء تاريخي ومتجذر:**

دعا النبي ﷺ أهل الكتاب عامة، والنصاري خاصة إلي الإسلام والتوحيد ونبذ الشرك، كما أمره الله تعالي بقوله: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(آل عمران:٦٤) .

ونهاهم عن مقالة التثليث، والغلوفي الدين فقال: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾(النساء:١٧١) ..

وشنع عليهم ادعاء بنوة المسيح لله – سبحانه – فقال: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾(التوبة:٣٠) .

استجاب لدعوة عيسي ﷺ، من سبقت له من الله الحسني، والذين أثني الله عليهم بقوله: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى

ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾(المائدة:٨٢/٨٣) ..

هذا النفر هو الذي اتصلت علاقته بملة إبراهيم الخليل عليه السلام، وآتاهم الله تعالي أجرهم مرتين، كما قال تعالي: ﴿ وَلَقَدۡ وَصَّلۡنَا لَهُمُ ٱلۡقَوۡلَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾(القصص ٥١: ٥٤) .

وأما من أصروا علي مقالتهم، وغلبتهم شقوتهم فقد حكم الله بكفرهم فقال: ﴿ لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(المائدة:٧٣) .

هذا النفر هو الذي أمر النبي بقتالهم، فقال: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴾(التوبة:٢٩) .

دعا النبي محمد ﷺ زعماءهم ومراجعهم الدينية والسياسية وكاتب ملوكهم: هرقل عظيم الروم، والمقوقس عظيم القبط، والحارث بن أبي شمر ملك غسان، والنجاشي ملك الحبشة رحمه الله الذي وليهم بعد أصحمة .. كما ناظر أساقفتهم حين وفد عليه نصاري نجران وحاجهم وباهلهم .. ولكن القوم ضنوا بملكهم وشرفهم في قومهم، فمنهم من أعطي الجزية، ومنهم من شهر السيف وصد عن سبيل الله ..

### عداء النصاري ليس وليد اليوم:

من شواهد عداء النصاري للمسلمين في عصر النبوة، حشدهم مائتي ألف مقاتل من الروم، ونصاري العرب في معركة مؤتة مقابل ثلاثة آلاف مجاهد من المسلمين وقتلهم فروة بن عمرو الجذامي، عامل الروم علي من يليهم من العرب

لما أسلم وصلبهم إياه[١] ، وقتلهم الأسقف صفاطر، لما شهد الحق، وقد كان مقدما معظما عند الروم ..

يقول صمويل هنتجتون تحت عنوان " الحدود الدموية للإسلام " : الحقيقة توجد منافسة تاريخية منذ ميلاد الإسلام في القرن السابع، والاحتلال العربي لشمال أفريقيا والشرق الأوسط وأجزاء من أوروبا ..

الهجوم علي الإسلام والمسلمين، ليس وليد اليوم أو الأمس القريب، إنه يرجع إلي نشأة الإسلام نفسه، ولم يتوقف الهجوم عليه ولم ينته .. هناك عداء قديم ومتجذر .. عداء تاريخي تكشف عنه مقولات اللورد اللنبي أثناء الحرب العالمية الأولي عند دخوله القدس، وتصريحه بانتهاء الحروب الصليبية، وتهنئة وزير الخارجية البريطاني له بإحراز النصر في آخر الحملات الصليبية والتي سماها بالحملة الثامنة، وتصريح الجنرال جورو الفرنسي عندما توجه بعد ميسلون فورا إلي قبر صلاح الدين وركله بقدمه وقوله: ها قد عدنا يا صلاح الدين ! !

في كتابه " باثولوجيا الإسلام " يصرح المستشرق الفرنسي كيمون: بأن الإسلام جذام .. كله قائم علي القسوة والفجور في اللذات لذا اعتقد من الواجب إبادة خمس المسلمين، والحكم علي الباقين بالأشغال الشاقة المؤبدة، وتدمير الكعبة، ووضع قبر محمد وجثته في متحف اللوفر !! [٢]..

يقول جلادستون رئيس وزراء بريطانيا الأسبق: " مادام هذا القرآن موجودا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة علي الشرق " [٣] ..

صوروا القرآن الكريم علي أنه الكتاب الوحيد الذي تخرج منه المدافع والرشاشات، وترص علي قائمته الجماجم !! أي أنه مصدر الإرهاب .. في كتاباتهم ورسوماتهم يتعرضون للإسلام علي أنه الخطر القادم علي العالم ..

حملاتهم لا تتوقف علي الإسلام والمسلمين تحت مسمي حرية التعبير ..

---

(١) السيرة لابن هشام ج٤

(٢) ارجع إلي د. محمد محمد حسين – الإتجاهات الوطنية في الأدب العربي – ط ١ ص ٣٢١

(٣) محمد أسد – الإسلام في مفترق الطرق ص٣٩

لم تنقطع وستظل لعقود قادمة .. لأننا أمة مستهدفة للنيل منها ومن مقوماتها .. المحارق التي يرتكبونها في بلاد المسلمين أسوأ من محارق اليهود .. في العراق، والبوسنة، وأفغانستان وفلسطين وغيرها وغيرها ..

في الوقت الذي يحترم فيه الإسلام مقدسات الآخر علي مدار التاريخ .. يمتهن الآخر قدس الأقداس، رسول الله ﷺ وقرآنه الكريم .. كتاباتهم تطفح وقاحة واستهتار بمشاعر المسلمين، وممارساتهم التي طالت المصحف الشريف تدنيسا وتحريفا، ولا مجال هنا للحصر ..

اعتبر الآخر محمدا ﷺ رجلا عاش حياة داعرة، وتجاوز خبثه كل الحدود حدود الدناءة والانحطاط، ولم يتورع خيالهم المريض عن الادعاء بأن رسول الله ﷺ كان في الأصل كاردينالا كاثوليكيا، تجاهلته الكنيسة واعتبرته المرتد الأكبر- في االعصور الوسطي - عن المسيحية وهو الذي يحمل وزر انقسام نصف البشرية في العالم عن الديانة المسيحية [١]..

كان محمد ﷺ في عرفهم ساحر، هدم الكنيسة في أفريقيا والشرق عن طريق السحر والخديعة .. وأباح الاتصالات الجنسية، وأغوي الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع والشهوات، وحرف جميع الأدلة الواردة في التوراة والأناجيل، من خلال الأساطير والخرافات التي كان يتلوها علي أصحابه، ولم يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر الذين كانوا يعيشون في البادية [٢]..

## وماذا عن نصاري العرب ؟!

تاريخ طويل من الغدر والتشويه والكذب والاستقواء بالأجنبي، نقتطف منه:

يذكر الجبرتي في عجائب الآثار في التراجم والأخبار: لقد استقوي نصاري الشام بالقائد التتري كتبغا، وانحازوا للغزاة ضد المسلمين وتحولوا إلي أداة إذلال واضطهاد للمسلمين، وأحضروا فرمانا من هولاكو، ورشوا الخمر علي المسلمين، وصبوها في المساجد، وخربوا المساجد والمآذن ولم يتوقف

---

(١) ارجع إلي صورة الإسلام في التراث الغربي لكومر، وروتر - نهضة مصر - القاهرة

(٢) المرجع السابق

الأمر أيام التتار بل تجدد أيام حملة نابليون بونابرت حيث أغوي النصاري فوقع في حبل الخيانة بعض أقباط مصر، فقام المعلم يعقوب بتشكيل فيلق قبطي بزي الجيش الفرنسي من أجل محاربة مسلمي مصر، وحصلوا علي موافقة من نابليون لإبادة المسلمين في مصر ..

**وماذا عن بابوات العالم النصراني:**

جاءت إيطاليا عام ١٩١١م تغير علي طرابلس الغرب، لتشتبك مع دولة الخلافة الإسلامية .. تستنجد تركيا بالدول الأوربية، فلم تجد منهم إلا فتورا.. ويترجم سكوتهم عن عدوان إيطاليا ورضاهم عن مسلكهم ذلك شاعر معاصر فيقول:

**وأهــل الغــرب في لعب ولهو ... علــي مــا بيــنهم يتغامــزونا**
**دعــونا المقــسطين فما وجدنا ... وأشــهدنا الملــوك فأنكــرونا**
**وهمــنا حــين خلــناهم عدولا ... بمــا شــاء الهوي لا يحكمونا**
**بغــت رومــا فلــم نسمع نكيرا ... ولــو شــاءوا سمعنا المنكرينا**
**وإن نغــضب ذيادا عن حياض ... لــنا هــدمت إذا هــم يسخطونا**
**ملــوك الغــرب ما هذا التعامي ... ومــا للحــق بيــنكم مهينا ؟؟**

وتتألف في مصر اللجان، وتقام الأسواق الخيرية لجمع التبرعات وإرسال البعوث الطبية، ويحاول المصريون التطوع للجهاد بدافع الحمية الإسلامية .. فماذا كان من الحاكم الإنجليزي لمصر .. عارضت بريطانيا نجدة المصريين لإخوانهم !! وبرغم ما ارتكبته الجيوش الإيطالية من جرائم وما استحلت من محارم !!

**كــبلوهم .. قــتلوهم ..مــثلوا ... بذواتي الخدور.. طاحوا باليتامي ..**
**ذبحــوا الأشــياخ والزمني ولم ... يــرحموا طفــلا ولم يبقوا غلاما**
**أحــرقوا الــدور استحلوا كل ما ... حــرمت لاهاي في العهد احتراما**
**بــارك المطــران فــي أعمالهم ... فــسلوه بــارك القــوم علاما ؟!**
**أبهــذا جــاءهم إنجــيلهم آمــرا ... يلقــي علــي الأرض ســلاما ؟!**

عندما تهيأ جيش الغزاة الإيطالي لغزو ليبيا كان شعاره الصليب، وكان

بابا الفاتيكان يقف بلباسه الكهنوتي بإجلال أمام الجيش، ثم يقبل الصليب ويبدأ الجنود بإنشاد نشيد فاشستي قائلين:

**" يا أماه أتمي صلاتك، ولا تبكي، بل اضحكي وتأملي ..ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني .. أماه لا تحزني .. أماه لا تقلقي .. أنا ذاهب إلي طرابلس .. فرحا مسرورا .... لأبذل دمي في سبيل سحق الأمة الملعونة، ولأحارب الديانة الإسلامية التي تجيز البنات الأبكار للسلطان .. سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن .. الخ . "**

عداء ثابت وطويل له تاريخ طويل .. ومتجذر ..

يعجب المرء من مباركة البابا للجيوش الإيطالية المغيرة .. ويتساءل: أين هذا من تعاليم المسيح عليه السلام ؟! ويعبر أحد الشعراء المعاصرين عن سخطه فيقول ساخرا:

**إذا وقـف البابا يبارك جندكم — فمـا كـل بابـا للمسيح مقرب**
**سلوه: أفي الإنجيل للحرب آية ؟ — إذا كـان في إنجيله ليس يكذب**

ويقف بابا روما بنديكت السادس عشر، ليكشف عن وجهه الحقيقيي، ويصف الرسول ﷺ بأنه لم يأت بجديد .. ولم يأت إلا بما هو سيء وغير إنساني، زاعما نشر الدين الإسلامي بحد السيف وقوله: أن العقيدة المسيحية تقوم علي المنطق، لكن عقيدة الإسلام تقوم علي أساس أن إرادة الله لا تخضع لمحاكمة العقل أو المنطق !! [1]..

**الحوار مع من ؟!**

الحوار معهم هدفه استدراج المسلمين لإدخال المفاهيم النصرانية في عقائدهم بمصطلحات جديدة .. هذا ما أكدته وثائق الفاتيكان !!

وعذرا رسول الله .. لقد جابت سيرتك العطرة العصور والقارات ...

---

(١) محاضرة البابا في جامعة بافاريا الألمانية يوم الثلاثاء ١٢- ٩- ٢٠٠٦م زاعما أمام الطلبة بأن الإسلام يلغي العقل ويبقي علي الجمود ولا يتطور

والتطاول عليك وعلي دين الله تعالي ليس بالأمر الجديد !! لقد كذبوا كل رسل الله وأنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم .. نوح، وإبراهيم، وهود، وشعيب، وصالح، وغيرهم، وغيرهم عليهم السلام ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾(فصلت:٤٣) .

﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾(الأنعام:٣٣) .

جئت يارسول الله بالتوحيد الخالص .. توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الذات والصفات بما لم يسبق له مثيل في التاريخ .. تاريخ الرسل والرسالات " أفضل ما قلت أنا والنبيين من قبلي لا إله إلا الله " التوحيد الذي أرسل الله به الرسل جميعا، ولم تحافظ علي نقائه سوي أمة الإسلام .. جئت يا رسول الله بالقول الفصل في عيسي ابن مريم عليهما السلام، بعد أن اختلف حوله اليهود والنصاري، حيث يعتقد اليهود أنه ابن الشيطان، وأمه زانية .. جئت بالعدالة والتسامح وعدم الإكراه في الدين .. جئت بأخلاق الحرب التي لم يعرف لها مثيلا في التاريخ " لا تقتلوا طفلا ولا شيخا ولا امرأة ولا تقطعوا شجرة .. ألخ . "

هل نسي البابا كيف انتشرت النصرانية في أمريكا اللاتينية حينما رفعت شعار " النصرانية أو الموت !! وكيف كان يؤخذ العبيد من آسيا وأفريقيا إلي أمريكا التي أبيد سكانها الأصليون من الهنود الحمر .. هناك أقيمت مقابر جماعية للهنود، وعلي تلك المقابر بنيت دولة جديدة ترفع لواء الديمقراطية وحقوق الإنسان !! وكيف قضي مئات الألوف من العبيد في عرض البحر لانتشار النصرانية في أمريكا اللاتينية .. في الوقت الذي لم يشهد تاريخ الإسلام حالات تعذيب واحدة كالتي ابتكرتها الوحشية الكنسية في محاكم التفتيش في الأندلس .. كانت تجبر الناس علي النصرانية .. كانت تحرق العلماء وهم أحياء، وهل ننسي أن جاليلو قد أحرقته الكنيسة لأنه قال بدوران الأرض !! ..

هل نسي البابا أن النصاري هم أصحاب محاكم التفتيش، والحملات

الصليبية، وقنابل هيروشييما وناجازاكي وسجون جوانتانامو وأبو غريب .. هم الذين نهبوا ثروات العالم وقتلوا الأطفال والنساء والشيوخ، وبقروا بطون الحوامل وانتهكوا الأعراض في البوسنة والهرسك وكوسوفا وأفغانستان والعراق والصومال وغيرها ..

وهناك الكثير والكثير .. ولكن علي من تقرأ مزاميرك ياداود ؟ !!

**وشهد شاهد من أهلها**

**الإسلام حرر النصاري من مضطهديهم ..**

في الوقت الذي امتهن الإغريق والرومان مقدسات النصرانية الشرقية، واتهموا عقائدها واغتصبوا كنائسها وأديرتها ولقرون عديدة، جاءت الفتوحات الإسلامية فحررت هذه العقائد والمقدسات مع تحريرها لأوطان أصحابها .. شهد بذلك كتاب الغرب النصراني ومفكريه، واعترفوا بأن الرومان الأشرار نهبوا كنائسهم وأديرتهم بقسوة بالغة، وأن أبناء إسماعيل جاؤوا إليهم من الجنوب وأنقذوهم من أيدي الرومان، وتركوهم يمارسون عقائدهم بحرية وعاشوا مع العرب في سلام !!

يقول الأسقف يوحنا النيقوسي، وكان شاهد عيان علي الفتح الإسلامي:

" إن الله الذي يصون الحق لم يهمل العالم، وحكم علي الظالمين ولم يرحمهم لتجرئهم عليه، وردهم إلي أيدي الإسماعيليين – يعني العرب المسلمين – ثم نهض المسلمون وحازوا كل مصر، وكان عمرو بن العاص يقوي كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددها، ولم يأخذ شيئا من مال الكنائس ورحل الأنبا بنيامين بطرك المصريين مدينة الاسكندرية بعد هربه من الرومان ثلاثة عشر سنة وسار إلي كنائسه وزارها كلها، وكل الناس يقولون هذا النفي وانتصار الإسلام كان بسبب ظلم هرقل واضطهاد الأرثوذكس، وهلك الروم لهذا السبب وساد المسلمون مصر وخطب الأنبا بنيامين ٣٩هـ – ٦٥٩م. في دير مقاريوس وقال: لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت

أنشدهما بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتمثيلها الظلمة المارقون "[١]..

في مصر .. حرر المسلمون بعد أن فتحها عمرو بن العاص، أقباط مصر من الرومان الذين امتد احتلالهم واضطهادهم عشرة قرون وقهرهم .. حرر المسلمون الكنائس الأرثوذكسية التي كانت مغتصبة من الرومان، لم يجعلوها مساجد، وأعادوها لأقباط مصر يمارسون فيها طقوسهم، وأعادوا البطريرك بنيامين إليها بعد أن ظل هاربا من الرومان ثلاثة عشر عاما، وتسلم كنائسه وأديرته، ولم يأخذ عمرو الفاتح شيئا من أموال كنائسهم، بل حافظ عليها وسلمها لهم .. لم يحرر كنائسهم فقط .. أيضا حرر أديرتهم وعاد الرهبان إليها، وكانوا فارين من اضطهاد الرومان في المغارات وشعاب الجبال، حتي أنهم قالوا واعترفوا بأن انتصار الإسلام كان لظلم هرقل للأقباط الأرثوذكس .. أعطاهم عمرو الأمان وكتب لهم كتابا لهذا قالوا:

"لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون شفقة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدي الرومان، وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية وعشنا في سلام "

يقول الدكتور والباحث النصراني المصري نبيل لوقا:

هل ينسي المسيحيون ما قام به الكاثوليك في عهد الإمبراطور دقلديانوس، الذي تولي الحكم عام ٢٤٨م؟ ففي عهده تم تعذيب الأرثوذكس في مصر، وإلقاؤهم في النار وهم أحياء، كما تم رمي جثثهم للغربان ووصل عدد الذين قتلوا في عهده إلي نحو مليون مسيحي، كما تم فرض الضرائب الباهظة عليهم، مما جعل الكنيسة القبطية في مصر تعتبر ذلك العهد عهد الشهداء وبه أرخوا التقويم القبطي تذكيرا بالتطرف المسيحي، إنني أؤكد وبناء علي دراستي للتاريخ أننا لم نجد أرحم من المسلمين وهذه هي الحقيقة .. وجدنا من المسلمين التسامح وحرية العقيدة وحرية التحاكم لدستورنا المسيحي .. ويتساءل: لماذا يقوم بعض المسيحيين بتضخيم بعض الأخطاء التي ارتكبت بحق بعض المسيحيين من قبل

---

(١) يوحنا النقيوسي – تاريخ مصر رؤية قبطية للفتح الإسلامي – القاهرة

بعض الأفراد المسلمين، بينما يغمضون أعينهم عن المذابح والجرائم والمجازر التي حدثت من جانب المسيحيين..

ويقول المؤرخ المسيحي فيدهام: هل نسي المسيحيون أن محكمة الكنيسة عام ١٥٣٠م أمرت بطرد المسلمين من أشبيلية في الأندلس إذا لم يقبلوا بالديانة المسيحية ومن خالف ذلك يقتل ؟ وينقل عن المؤرخ وليم جايس قوله: إن العالم لم يعرف الاضطهاد الديني قبل ظهور الأديان الموحدة .. لقد كانت المسيحية في الواقع أول مذهب ديني في العالم يدعو للتعصب وإفناء الخصوم .. هل ننسى محاكم التفتيش التي أنشئت عام ١٤٨١م وخلال أعوام قتلت أكثر من ٣٤٠ألفا وهناك ألوف تم حرقهم وهم أحياء ؟

أما المؤرخ يوسف كرباج في كتابه: " المسيحيون في التاريخ الإسلامي العربي والتركي " فيقول: كان عدد سكان النصاري واليهود في مصر إبان خلافة معاوية بن أبي سفيان ﷺ، حوالي ٢٥٠٠٠٠٠نسمة، وبعد نصف قرن أسلم نصف هذا العدد، في عهد هارون الرشيد بسبب عدالة وسماحة الإسلام ..

كان هذا هو موقف الإسلام والمسلمين من كنائسهم ومقدساتهم .. فماذا كان موقف الغرب والنصاري ؟؟

.. في عام ٤٩٢هـ - ١٠٩٩م عندما احتل الصليبيون القدس أبادوا من فيها من المسلمين .. أبادوا سبعين ألفا في مجزرة وحشية ورهيبة استمرت سبعة أيام، وهي مجزرة شارك فيها فرسان الإقطاع والأمراء وبطاركة الكنيسة الكاثوليكية وقساوستها، واعتبروا هذه الإبادة أعظم ما يتقربون به إلي الله تعالي .. كانوا يتحركون في أزقة بيت المقدس وسيوفهم تقطر دما ويرددون ما جاء في كتابهم: " يفرح الأبرار حين يرون عقاب الأشرار ويغسلون بدمهم أقدامهم، فيقول الناس: حقا للصديق مكافأة وأن في الأرض إلها يقضي "

يذكر كل من ستيفن رنسيمان، وغوستاف لوبون، والراهب روبرت، والكاهن أبوس، في كتبهم ما يلي:

" في أحد الأيام قام قومنا باقتحام بيت المقدس، الذي لجأ إليه المسلمون،

فقاموا بقتلهم جميعا حتي كنا نخوض بالجثث والدماء إلي الركب، وأن ريتشارد قلب الأسد ذبح ٢٧٠٠ من أسري المسلمين في عكا ولم يكتف وجنوده بذلك، بل قاموا بقتل زوجات وأطفال الأسري، إن قومنا كانوا يجوبون الشوارع والبيوت، ليرووا غليلهم بقتل المسلمين، فكانوا يذبحون الرجال والشباب والأطفال والنساء، بل إنهم كانوا يبقرون البطون، إننا كنا لا نري في الشوارع سوي أكداس من جثث المسلمين، إن هذا لم يحصل في القدس فقط بل في كل بلد وصلناها، ففي معرة النعمان قتل جنودنا حوالي مائة ألف مسلم .."

عشرات المذابح قام بها أبناء الصليب ضد المسلمين .. اقتحموا بيت المقدس يوم الجمعة ١٠ يوليو ١٠٩٩م بعد حصار دام أكثر من أربعين يوما، ولم يسع الجند المدافعون عن بيت المقدس من المسلمين سوي اللجوء إلي المسجد الأقصي للإحتماء به والدفاع عنه، فتبعهم الصليبيون واقتحموا المسجد وأحدثوا بداخله مذبحة وحشية رهيبة خاض جنودهم حتي سيقانهم في دماء المسلمين !!

يقول المؤرخ جيبون: خدام رب المسيحيين رأوا حينئذ تمجيده وتكريمه، فذبحوا سبعين ألفا من المسلمين من أهل القدس من الرجال والنساء والأطفال والشيوخ قربانا للرب ..

ويقول هـ . ج . ويلز في كتابه موجز تاريخ العالم : " وسقط بيت المقدس بعد شهر من الحصار وكانت المذبحة التي دارت فيه رهيبة فظيعة، فإن الراكب علي جواده كان يصيبه رشاش الدم الذي سال في الشوارع أنهارا "

ويقول ريموند داجيل كاهن مدينة لوبوي: " حدث ما هو عجيب بين العرب، عندما استولي قومنا علي أسوار القدس وبروجها، فقد قطعت رؤوس بعضهم، فكان هذا أقل مايصيبهم وبقرت بطون بعضهم، فكانوا يضطرون إلي القذف بأنفسهم من أعلي الأسوار، وحرق بعضهم في النار، وكان لا يري في شوارع القدس وميادينها سوي أكداس من رؤوس العرب المسلمين وأيديهم وأرجلهم، فلا يمر المرء إلا علي جثث قتلاهم، ولكن كل هذا لم يكن سوي بعض ما نالوه .. "

هذا بعض مما ذكره المنصفون من المؤرخين في الغرب [1]..

أما عن اليهود الشرقيون الذين يدينون بحريتهم وثرائهم وازدهارهم الديني والثقافي وبوجودهم لسماحة الإسلام، قد نسوا أو تناسوا كل الأيادي البيض للحضارة الإسلامية عليهم عبر تاريخ هذه الحضارة الطويل، وجدنا تيارهم الأغلب والأعم ينخرط في خدمة هذا المخطط الإمبريالي الغربي لاحتلال الشرق واغتصاب القدس وفلسطين .. لقد نسوا أن الدولة الإسلامية الأولي في دولة المدينة علي عهد رسول الله ﷺ، قد جعلتهم جزءا من الأمة الواحدة التي كانت راعية هذه الدولة، فنص دستورها - الصحيفة - علي أن يهود، أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، وأن لهم النصر والأسوة مع البر، والنصح والنصيحة دون الإثم .. !!

ونسي هؤلاء اليهود الشرقيون أنهم عند الفتح الإسلامي للقدس وفلسطين عام ١٥هـ ٦٣٦م كانوا مطرودين ومنفيين من تلك البلاد .. هدمت معابدهم وتعرضوا للإذلال والقتل والسبي علي يد الرومان في عهد الوثنية الرومانية، وفي عهد نصرانيتهم حتي لقد طلب نصاري القدس من عمر بن الخطاب يوم فتحها ألا يسكن فيها أحد من اليهود واللصوص، ولكن الإسلام السمح الذي يؤمن أهله بكل الشرائع والكتب والنبوات والرسالات، والذي يقدس كل المقدسات ويجعل حمايتها مقصدا من مقاصد الجهاد الإسلامي ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾(الحج:٤٠) ..

هذا الإسلام السمح هو الذي أعاد اليهود إلي الأراضي المقدسة فعاشوا مع كل أصحاب الديانات والمقدسات " لهم ما للمسلمين وعليهم ما علي المسلمين حتي يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم " كما نص علي ذلك عهد رسول الله ﷺ ..

---

(١) ارجع إن شئت إلي د. حسن حبشي - الحروب الصليبية الأولي. و د. فايد حماد عاشور - جهاد المسلمين في الحروب الصليبية. ومحمد كرد علي - الإسلام والحضارة. و زيجريد هونكه - الله ليس كذلك. وجوستاف لوبون - حضارة العرب

نسي اليهود الشرقيون ماقدمه الإسلام والمسلمين، وعضوا اليد التي أحسنت إليهم عبر تاريخهم الطويل ليكونوا في خدمة الغرب الذي مارس ضدهم كل ألوان الاضطهاد والاحتقار والإذلال عبر ذلك التاريخ الطويل .. فضلوا الغرب النصراني علي الولاء لأوطانهم .. أيدوا الصهيونية وقاموا بدعمها بشتي الوسائل .. سارعوا إلي الخيانة الوطنية والحضارية.. اشترك يهود مصر في تأسيس الجمعيات الصهيونية واشترك وفد من يهود الجزائر في مؤتمر بال بسويسرا ١٨٩٧م وكذلك يهود المغرب !! ومضي التاريخ اليهودي حافلا بكل مظاهر الظلم والجريمة والعدوان ..

## تحالف النصاري مع التتار لإسقاط الخلافة العباسية:

لم يكن خروج التتار وغزوهم بلاد المسلمين وإسقاط الخلافة العباسية هو بسبب ما وقع بين جنكيزخان ملك التتار وعلاء الدين خوارزم ملك المسلمين .. السبب الحقيقي الذي ذكره المؤرخون هو الكيد النصراني الصليبي ... أرسلوا الرسل للتتار يحسنون فيها غزو بلاد الإسلام والمسلمين .. استخدموا سلاح النساء النصرانيات الخليلات العاهرات لإغراء التتار .. وجاءوا إلي البلاد كالجراد المنتشر الذي يأكل الأخضر واليابس، حتي تمكنوا من إسقاط دولة الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ وواصلوا زحفهم إلي دمشق ٦٥٨هـ، فقدموا إلي هولاكو الهدايا والتحف وأواني الخمر، وذموا الإسلام وأهله، ومدحوا دين النصاري، وأخذوا في ضرب النواقيس ابتهاجا ..

## الحروب الصليبية:. " ما أشبه الليلة بالبارحة "

بدأت الحروب الصليبية علي بلاد المسلمين، منذ اليوم الذي بدأت فيه تطأ أقدام العرب المسلمين الفاتحين أطراف أوروبا، في بلاد الأندلس وشبه الجزيرة الأيبيرية وصقلية، والتي تعتبر امتدادا لمعارك العرب والمسلمين مع الروم في مؤتة وإجنادين واليرموك .. كان أي تمدد عربي إسلامي يملأ قلوب الأوربيين غيظا وحقد وتآمرا، وظلت أوروبا تتحين الفرصة المناسبة للوثوب والانقضاض علي المسلمين .. ولم يكد يصاب تماسك الأمة العربية الإسلامية بالضعف، وينالها

التجزؤ والانقسام، حتي شرعت بجموعها الغفيرة في التدفق علي الأراضي المقدسة في القرن الحادي عشر، وتحولت الشام ومصر والعراق وجزيرة العرب وآسيا الصغري، والبحرين المتوسط ، والأحمر ميادين قتال ومعارك ضارية !!

منذ تسعة قرون ونيف، عاشت الأمة المسلمة ما تعيشه اليوم .. وجدت الأمة نفسها وجها لوجه في نهاية القرن الخامس الهجري - الحادي عشر الميلادي - أمام الوجود الأجنبي للغرب الصليبي .. الحال هو الحال نفسه في أيامنا هذه .. نفس الحروب التي شنها أوربان الثاني، وبطرس الناسك، وريتشارد قلب الأسد، وفردريك الثاني ، هي التي يشنها الغرب الصليبي اليوم بزعامة الأمريكان وأتباعهم في الغرب الصليبي .. هي .. هي التي يشنها بوش الثاني وبلير الناسك .. فصل من فصول الصراع بين الشرق والغرب، الذي بدأ بحروب طرواده وفارس في الأزمنة الغابرة ..

**البابوية تعلن الحرب المقدسة:**

ظلت البابوية ترقب عن كثب الصراع الدائر بين المسلمين والنصاري في أسبانيا - بلاد الأندلس - وحرب الاسترداد، بعد حروب طاحنة طويلة ضد الإسلام، استمرت مايزيد عن خمسة قرون ..

اتجهت الأمور إلي الأحسن بالنسبة للنصاري في بلاد الأندلس، في القرن العاشر الميلادي .. بعد وفاة الحكم الثاني ٩٦١-٩٧٦م. وكان رجلا مسالما، ركز كل اهتمامه علي المسائل الثقافية، ثم جاء الوزير محمد بن أبي عامر، الذي كان يعرف بالمنصور، وكان رجلا عسكريا، شن حملاته وهجماته علي القوي المسيحية الأسبانية، التي كانت تتزعمها مملكة ليون، وأحرز عدة انتصارات هائلة، ولكن جاءت وفاته ١٠٠٢م . لتضع حدا لمخاوف القوي المسيحية .. وبدأ التدهور ينخر في الجبهة الإسلامية في الأندلس ..

باركت البابوية الحروب ضد مسلمي الأندلس، واهتزت فرحا برؤية الرقعة المسيحية تتزايد علي خريطة شبه الجزيرة الأيبيرية، ولم يهدأ لها بال إلا بعد أن تحقق النصر النهائي للمسيحيين في أسبانيا عام ١٤٩٢م .

**الحرب المقدسة المسيحية لم تنبع من الكتاب المقدس:**

بدأت البابوية تروج لفكرة الحرب المقدسة ضد المسلمين في الأندلس، كان الأسبان قد استوحوا فكرة الجهاد الإسلامي، القائلة بأن أفضل ميتة للإنسان هي أن يموت في سبيل الله .. استلهموا الفكرة من المسلمين .. لم يجهل البابا ليو الرابع ٨٤٨م. ولا البابا أوربان الثاني ١٠٩٥م. أن قادة المسلمين كانوا كثيرا ما يذكرون لجنودهم وهم يحثونهم علي قتال الأعداء الكفار بأن الله تعالي قد وعد الذين يقتلون في سبيله بجنات، والآيات التي تتحدث عن فضل الشهداء، وأن هذا هو الذي مكن المسلمون من السيطرة ..

فكرة الجهاد في الإسلام جاءت لتقرر الحق في الدفاع عن النفس ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾(الحج:٣٩) .. فكرة الجهاد والحرب المقدسة لا ترتبط بالكتاب المقدس، وتخالف المفاهيم المسيحية الباكرة، وكذلك فكرة الغفران الصليبي استوحيت من مفهوم الثواب الذي يناله الشهداء الذين أكرمهم الإسلام ومنحهم حياة خالدة في جنات النعيم ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾(آل عمران:١٦٩) ..

من هنا أعلن البابا اسكندر الثاني الغفران لكل من حاربوا من أجل الصليب، ودعا البابا جريجوري السابع أمراء العالم المسيحي، لمساعدة أسبانيا مؤكدا أن المملكة الأسبانية تتبع لكرسي القديس بطرس، كما أعلن أن من حق فرسان المسيحية أن يستمتعوا بالأرض التي يستولون عليها من المسلمين .. وتدفقت فرسان المسيحية إلي أسبانيا للتصدي للمرابطين الذين كان وصولهم إلي أسبانيا تدعيما للقوي الإسلامية .. كما أسبغ البابا أوربان الثاني حمايته وعطفه علي حرب الاسترداد المسيحية في أسبانيا، وشجع الكنيسة علي نبذ الحروب والمنازعات الداخلية، وشجع المقاتلين علي امتلاك الأرض التي يحررونها من المسلمين، أو ينتزعونها شريطة أن تكون إقطاعيات تابعة لكرسي القديس بطرس، أي للبابوية، كما أسبغت الكنيسة عليهم مكاسب روحية تتمثل في وعود بالغفران..

أدركوا قيمة الجهاد .. وتم استيحاء فكرة الحرب المقدسة من مفهوم الجهاد

الإسلامي، وتمت صياغتها علي أيدي المفكرين واللاهوتيين الكاثوليك بالشكل الذي يناسب العقل الغربي من جهة ويرضي النزعات العسكرية لدي شعوبه ..

تمت صياغة فكرة الجهاد الإسلامي في قالب مسيحي لمواجهة القوي الإسلامية .. استعار رجال الكنيسة المفهوم، وطوره فلاسفتهم وبابواتهم في ثوب مسيحي اتخذ شكله النهائي في خطبة البابا أوربان الثاني في كلير مونت ..

**خطاب البابا " الرب يريدها "**

في كلير مونت .. في حقل فسيح بين تلال أوفريني اختتم المؤتمر الكنسي أعماله في ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥م. بخطاب وجهه البابا أوربان الثاني في جمع غفير من الناس تضمن مشروع حملة عسكرية تحت راية الصليب، تتوجه صوب الشرق لقتال المسلمين، ولتستولي منهم علي الأماكن المقدسة ..

وقف أوربان الثاني أمام الحشود الهائلة التي تجمعت عام ١٠٩٥م أمام كاتدرائية مجمع كلير مونت، المدينة التي تقع جنوب باريس علي بعد ٢٨٨كم ..

في يوم ٢٧نوفمبرتجمعت الأساقفة ورؤساء الكنائس وعدد غفير من الأمراء والنبلاء، والآلاف من النصاري، وكان يوما باردا .. لم تأبه الحشود بزمهرير الشتاء القارس .. وقف البابا ليقول لهم ما قاله بوش الثاني اليوم: هكذا أراد الرب !!

تخبرنا المصادر التاريخية أن صيحات انطلقت، تقول: " الرب يريدها "

قال البابا: " **قدمت – أنا أوربان المتوج بمشيئة الرب بتاج التثليث الحبر الأعظم للعالم أجمع – جئت إليكم ياعباد الرب بمثابة رسول، لأنبئكم بالأوامر الربانية .. عليكم مساعدة إخوانكم في المشرق .. حاربوا تحت لواء المسيح .. قائدكم المسيح .. إن الذين يذهبون إلي هناك ويفقدون حياتهم في البر والبحر أثناء الرحلة وخلال المعركة ضد الكفار المسلمين سيتم غفران ذنوبهم في الحال، وإنني أمنح هذا من خلال السلطة المضفاة علي من الرب .. انهضوا قاتلوا أعداءكم الذين استولوا علي مدينة القدس .. الرب يحرضكم علي لساني، أطردوا أبناء الشر المسلمين .. المسيح هو الذي يخاطبكم ويصدر الأوامر ..**

**العرب والتركمان حاربوا إخوانكم في المشرق وتوغلوا في الأراضي الرومانية عميقا حتي البسفور .. لقد أبادوهم وأخذوا عدد كبير من الأسري ودمروا الكنائس واجتاحوا أراضي المملكة، وإذا لم تتصدوا فإنهم سيمدون سلطانهم في عمق وسينشرونه فوق العبيد المخلصين للرب .. انهضوا وأديروا أسلحتكم التي كنتم تستعملونها ضد إخوانكم ووجهوها ضد أعدائكم أعداء المسيحية "**

من قراءة نصوص الخطبة التي أوردها المؤرخون، نري أن البابا قد حث النصاري أتباعه علي شن حملة حربية في سبيل المسيح، لتحرير المسيحيين في الشرق والأرض المقدسة ميراث المسيح .. حثهم علي ترك المنازعات وعدم الاقتتال فيما بينهم ..

وبعد أن فرغ البابا أوربان الثاني من خطابه، قام الأسقف أديمار الذي استنفر الرأي علي أن يقود الحملة الصليبية وأن يضرب المثل المحتذي للفرسان، فتقدم وركع أمام البابا ملتمسا بركاته وتلقي منه إشارة الصليب ..

أثناء خطبة البابا وبعد نهايتها، أقسم الجميع علي القيام بالرحلة وتجشم المشاق والصعاب، وكانت استجابة المجتمع الغربي المسيحي للدعوة، قد فاقت توقعات البابا وأعضاء البلاط البابوي .. نوع البابا من رسائله الدعوية بين الخطابات والمجامع الدينية في سائر المدن، كرر فيها اضطهادات المسلمين للمسيحيين، وضرورة التطوع لإنقاذهم في الشرق ..بعث برجال الكنيسة إلي سائر الأنحاء، للدعوة إرضاء للرب !!

تسابق الناس وتدافعوا لأخذ شارة الصليب .. الأب .. الإبن .. العائلة تجلس تعد للرحيل .. خاطوا صلبانا من القماش الأحمر علي ستراتهم كشاهد علي النذر الذي قطعوه علي أنفسهم .. تولي الدعاة البابويين نشر الدعوة في كل مكان، وساعدهم المبشرون في إذكاء نار الحماسة الصليبية .. استثاروا حماسة الرجال والنساء والشباب والكهول ..

كان الجميع يتوقون إلي الخلاص في الدنيا والآخرة !! فهموا أن الدين هو التعصب ضد المسلمين !!

## بطرس الناسك

أحد الدعاة الذين نسجت حولهم الأساطير – بطرس الناسك – خطيب مفوه قادر علي تحريك الجموع علي الرغم من أنه كان ضئيل البدن، زري الهيئة، ذو وجه طويل، يرتدي قميصا من الصوف وعباءة تصل إلي عقبيه عاري الذراعين والقدمين، يقتات النبيذ والسمك .. كان يلهب حماس العامة الذين كانوا يتدافعون عليه لسماعه، وتمتد أيديهم تنزع شعرات من جسد حماره الهزيل علي سبيل البركة .. نجح في إخراج الأساقفة والقساوسة والرهبان والنبلاء والأمراء وعامة الناس الأشرار والأخيار والزناة والقتلة اللصوص النصابون قطاع الطرق ومعهم النساء وانضموا إلي حملته في سرور ..

آخرعندما علم بهدف الجيوش الصليبية، مزق عباءته الثمينة وصنع منها صليبا رمزا لمشاركته فيها، ثم أعد العدة للرحيل من تارنتو، ثم عبر الأدرياتي وسار في أحراش بلغاريا .. كانت تلك مقتطفات من خطاب البابا .. تواردت علي خاطري .. تأملت فيها وأمعنت النظر .. لم يكن البابا يريد أموالا أو كسبا ماديا كما يزعم نفر من أبناء الأمة، من بني جلدتنا الذين يدرسون التاريخ للأجيال العربية المسلمة .. أعلنها البابا الداهية حربا صليبية ضد المسلمين .. لم تكن حربا اقتصادية فحسب .. كانت قبل ذلك وبعد حربا ذات صبغة دينية نفذها الغرب النصراني الكافر تحت راية الصليب، المحرض الأول لها الدين ورؤية القديسيين والرؤي الدينية .. لو كان البابا يريد أموالا لكان في استطاعته أن يبيع عشرات من صكوك الغفران للنبلاء والأمراء والفرسان والملوك، أو كان ادعي للمسيحيين فقراء وأغنياء أن المسيح قد ظهر له في المنام وطلب منه أن يحصل علي أموال كثيرة من عباد المسيح ..لم يكن البابا رجل اقتصاد، والذي أشرف علي الحملة الأولي هو أسقف .. لم يكن أسقفا اقتصاديا، وكان المحرض الأكبر للحروب الصليبية هو بطرس الناسك .. ولم يكن فردريك الثاني الذي سلمه المتخاذلون من بني أيوب القدس القائد المسيحي الذي ادعي أنه المسيح المنتظر، فقد أدعي من قبله ريتشارد قلب الأسد !!

في الأدبيات التاريخية الغربية يسمونها حروبا صليبية The Crusading Ware Fare ولكن نفرا من أبناء المسلمين المفترض أنهم أمناء علي تاريخنا،

يطلقون عليها حروب الفرنجة .. كانت حروبا دينية خالصة، دوافعها دينية خالصة ترمي إلي استرداد قبر المسيح والأماكن المقدسة .. لصالح من تفريغ الحقائق التاريخية من مضامينها الثابتة ؟!

### تحالف الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية:

كان لانتصار " إلب أرسلان " أعظم سلاطين السلاجقة، علي الإمبراطور البيزنطي وأسره في معركة " ملاذكرد " ٤٦٣هـ - ١٠٧١م، والهزيمة المذلة لنصاري الأناضول، من وراء التفاف أوروبا الكاثوليكية حول راية الصليب في مواجهة الخطر السلجوقي الإسلامي، وتصديهم للمسلمين ..بدأت الحرب باستنفار أرسله امبراطور بيزنطة الكسوس كومنيوس إلي البابا أوربان الثاني عام ١٠٩٤م يستنصره علي السلاجقة المسلمين الذين اكتسحوا ممتلكات الدولة البيزنطية حتي بحر مرمرة، وأفزعوا القسطنطينية ..

رأي البابا الكاثوليكي في ذلك فرصة تاريخية لاسترجاع الكنيسة البيزنطية إلي حظيرة روما بعد الانشقاق الذي حصل بين الكنيستين، ورأي أن يوحد القوي العسكرية المشتتة تحت إمرته، ورأي في تحرير بيت المقدس وقبر المسيح - علي حد زعمهم - فرصة سانحة لتوحيد المسيحية .. كان نداء البابا في مؤتمر كلير مونت في فرنسا وتحريض المسيحيين علي انتزاع كنيسة القيامة والقبر المقدس من أيدي المسلمين .. قامت الحرب وتأسست فكرتها علي وهم خاطيء وادعاء كاذب، وهو تحرير الأراضي المقدسة من أيدي الكفرة المسلمين !!

**يقول أوربان الثاني في خطبته في كلير مونت المليئة بالتضليل والافتراء الكذب: أي خزي سيلحق بنا لو تمكن هذا الشعب الكافر - يعني المسلمين - الذي وعن حق لا يستحق سوي الاحتقار، وقد تجرد من صفة الإنسانية وتحول إلي عبد حقير للشيطان .. أي خزي لو تمكن من التغلب علي الشعب الذي اختاره الله العلي القدير " صوروا الشرق بأنه أرض مقدسة يسكنها كفرة ذو عاهات غريبة ومحتقرة، ويؤمنون بمعتقدات شيطانية !!**

وصوروا الإسلام وكأنه مجموعة من الخرافات الشيطانية، واعتبروه

هرطقة أو بدعة .. وصوروا رسول الإسلام محمد ﷺ كقائد غريب الأطوار يتملكه الشيطان، أما عادات المسلمين وتقاليدهم فهي السرقة والغش وتعدد النساء!! سموم وأحقاد، ورفض للآخر من الناحية الدينية، وكذلك من الناحية الثقافية ومن الناحية الحضارية !!اندفع النصاري في حملاتهم علي الشرق الإسلامي، يسفكون الدماء علي نحو هو في غاية البشاعة .. يفجرون أحقادهم .. عاثوا في الأرض فسادا وخرابا .. في طريقهم إلي أنطاكية، مارسوا جميع أنواع السلب والنهب .. فتكوا بالشيوخ والأطفال والنساء .. قوضوا القصور الشامخة والأكواخ البسيطة، وجعلوا الدماء تسيل في الشوارع والميادين في أنطاكية ومعرة النعمان وبيت المقدس كانوا يمثلون بالجثث ويرمون الأطفال والنساء القتلي من الشرفات والأبراج والمآذن ..

تناسي الإمبراطور البيزنطي العداء التاريخي بين الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية، واستنجد بأوروبا والبابوية، ولقيت دعوة الامبراطور صدي واسعا في أرجاء أوروبا، ولا يختلف اثنان علي أن البابا " أوربان الثاني " كان المحرك الأول للحملة الصليبية الأولي بخطابه التاريخي في كلير مونت في جنوبي فرنسا، داعيا إلي توقف الصراعات والخلافات والعمليات الحربية بين المسيحيين في أوروبا، والتوجه نحو البلاد المقدسة التي تفيض لبنا وعسلا كما تقول التوراة، وامتلاكها وتخليصها من أيدي الكفرة المسلمين !!

كان انتصار الإسلام بمثابة تحد لعقيدة أوروبا النصرانية، ولقيادتها، ووجودها ..

كانت نصاري جنوبي فرنسا، هي الأسرع والأكثر فاعلية، ذلك لوقوعهم تحت تأثير الضغط العربي الإسلامي في الأندلس، كما كان انتصار " يوسف بن تاشفين " و " الصاحب بن عباد " علي الفونس السادس ملك قشتالة في موقعة " الزلاقة " التي وقعت بعد ستة عشر عاما من موقعة " ملاذكرد " كان أكثر تأثيرا، إذ أصبح الأوربيون يواجهون كماشة إسلامية تضغط من المشرق ومن المغرب[١]

---

(١)د. سهيل زكار – الحروب الصليبية – دمشق

لذلك أسهمت فرنسا بنصيب الأسد في الإعداد للحملات الصليبية وتأسيسها للإمارات في الرها والقدس، وأنطاكية، وطرابلس، تلك التي كانت تغلب عليها الطابع الفرنسي في اللسان والعادات والمظاهر، هذا ويري بعض الباحثين أن الظروف الاقتصادية القاسية التي مرت بها أوروبا خاصة فرنسا أواخر القرن الحادي عشر والتي أجبرت الناس علي أكل الحشائش والأعشاب، هي التي كانت من وراء المشاركة الواسعة في الحملات الصليبية، وتوظيف نصاري الغرب لإمكاناتهم المادية والبشرية طوال ما يجاوز قرنين من الزمان في حربها العدوانية علي المسلمين .

الحق لم تكن الحروب الصليبية تهدف إلي السيطرة العسكرية والاقتصادية بقدر ما كانت تهدف إلي تخليص مهد المسيح من أيدي المسلمين ونشر النصرانية في معاقل الإسلام، وكذلك كانت السيطرة الاستعمارية الأوربية للهند، تهدف أولا وقبل كل شيء إلي إنشاء دولة مسيحية في بلاد الشرق، لتطويق العالم الإسلامي والقضاء علي كيانه العسكري وتراثه الديني ..

لم تستند الحروب الصليبية إلي حجة عقلية، وإنما اندلعت واستمرت بناء علي مزاعم تدعي أن المسلمين منعوا النصاري من زيارة بيت المقدس وكنيسة القيامة .. مزاعم وأباطيل !!

يقول صابر طعيمة:

ما كانت الحروب الصليبية أبدا كما قال البابا أربانوس الثاني سنة ١٠٩٥م لتخليص المسيحيين من الأذي الذي ألحقه بهم المسلمون، فالإسلام معروف بسماحته التي لا جدال فيها .. ولقد تحدث هندريك فان فون، في كتابه " قصة الجنس البشري " عن سبب قيام الحروب الصليبية، بعد بيان احترام المسلمين لعيسي وسماحتهم مع الأديان الأخري وظهور الأتراك السلاجقة الذين حموا البلاد الإسلامية من غارات الدولة البيزنطية واستولوا علي آسيا الصغري، فقال:

إن الإمبراطور ألكسيس استنجد بالصليبيين لحماية القسطنطينية من خطر المسلمين، وبدأ الصليبيون قتالهم وهم يضمرون أشد الحقد للمسلمين، ثم تغيرت

قلوبهم تغيرا تاما بعد ذلك واحتقروا الروم في الدولة البيزنطية الذين كانوا يخدعونهم ويخونون دعوة الصليب في كثير من الأحيان، وبدأوا يقدرون خصال أعدائهم المسلمين الذين أثبتوا أنهم ذوو مروءة وخصوم أشراف . والحق أن الحروب الصليبية التي بدأت في صورة حملة لتأديب الأتراك السلاجقة أصبحت منهجا ثقافيا عاما يعلم الملايين من شباب أوروبا معني الحضارة ..

## محاولات بسط الصليب علي أرض الهلال

وتعرض الإسلام لمحنة أخري في الأندلس، ذلك المعقل الذي ظل يؤدي رسالته نحو ثمانية قرون، فقد أمر الكاردينال اكسمينس أعدي أعداء العرب والإسلام سنة ١٥١١م بإحراق كتب العربية والمصاحف المحفوظة في ميادين غرناطة ثم تولي ديوان التحقيق الديني الذي أباد كل أثر للمسلمين، إذ لولا ذلك لزحف الإسلام علي أوروبا، وسادت اللغة العربية فيها، وكان الحكم للمسلمين عليها (١)..

في الفترة إبان القرنين الخامس عشر والسادس عشر، أخذت الروح الصليبية تظهر بقوة من جديد .. وقف البرتغاليون والأسبان والهولنديون والفرنسيون وجها لوجه أمام الإسلام، وكانوا يعدون الصدام مع المسلمين والقضاء عليهم في كل مكان واجبا دينيا وعنوانا علي حب الوطن والإخلاص له، وأن الله لن يرضي عنهم إلا ببسط سلطان الصليب علي أرض الهلال ..

## البرتغاليون

الأمير هنري الملاح ١٣٩٤- ١٤٦٠م ابن يوحنا ملك البرتغال، الذي طرد العرب المسلمين من الأندلس، أشرب قلبه كراهة المسلمين، والرغبة في القضاء عليهم وعلي دينهم، ونشر المسيحية في بلادهم، وكان عسكريا مغرما بالقتال ضدهم .. شن هجوما علي مدينة سبتة المغربية، وأخذها عنوة ١٤١٥م وكان يرأس طائفة تدعي " فرسان المسيح " لها ميزانية عظيمة استغلها في الكيد للإسلام، وإرسال البعثات البحرية لكشف السواحل الأفريقية، بقصد الوصول إلي

---

(١) انظر- صابر طعيمة - الإسلام ومشكلاته السياسية - دار الجيل بيروت

الهند وتطويق ديار المسلمين، والقضاء علي نفوذهم التجاري والديني في البحار الشرقية وإضعافهم لنشر النصرانية !!

أعطاه البابا نيقولاس الخامس تفويضا، يحق له فيه امتلاك المناطق المكتشفة حتي بلاد الهند جاء فيه:

**" إن سرورنا لعظيم إذ نعلم أن ولدنا هنري أمير البرتغال، يترسم خطي والده العظيم الذكر الملك يوحنا، تلهمه الغيرة التي تملأ الأنفس كجندي باسل من جنود المسيح، قد دفع باسم الله إلي أقصي البلاد وأبعدها عن مجال علمنا، كما أدخل بين أحضان الكاثوليكية الغادرين من أعداء الله وأعداء المسيح مثل العرب "**

حين وصل الرواد الأوائل أمثال بارثلميودياز، وفاسكوداجاما صرحوا بأنهم لم يكونوا تجارا في المقام الأول، بل إنهم وفدوا إلي بلاد الإسلام بقصد الإستعمار والتبشير الديني ..

بعد نجاح البرتغاليين في الوصول إلي الهند بمساعدة الملاح العماني المسلم أحمد بن ماجد، تتابعت حملاتهم العسكرية، واستطاعوا تأسيس مراكز لهم في الساحل الغربي للهند، وأنشأوا الكنائس والأسقفيات .. في العام ١٥٣٩م طلب يوحنا الثالث من البابا إرسال منصرين مخلصين إلي الهند، فأرسل له من قاموا بالمهمة خير قيام .. أقام البرتغاليون عام ١٥٣٠م في جوا محاكم التفتيش، وشرعوا في إدخال الناس في الكاثوليكية قسرا، وعاملوهم بمنتهي القسوة والوحشية، ولم يسمحوا لغير المسيحيين بالعيش معهم، بل كانوا يخطفون الأطفال والأيتام من بنين وبنات ويضعونهم في مراكز خاصة لتنصيرهم ويرسلون أبناء الحكام رغما عن آبائهم إلي لشبونة لتنصيرهم .!! عمد المنصرون خلال ثلاثة أعوام ستة آلاف طفل، لم يبلغوا سن الرابعة عشرة أدخلوا عشرات الألوف قسرا في النصرانية، فيما بين عامي ١٥٤٨: ١٥٦٠م ..

**فاسكودي جاما "١٤٦٠- ١٥٢٤م"**

ملاح برتغالي، وصل إلي الهند بمساعدة أحمد بن ماجد فيما بين عامي

١٤٩٧- ١٤٩٩م . كان يعذب الصيادين العزل، ويغرق الحجاج المسلمين في شواطئ جوا ..

**البوكيرك " ١٤٥٣- ١٥١٥م "**

رحالة برتغالي مشهور استولي علي ثغر جوا في الهند، وعلي ملقا في الهند الصينية، كان يجدع أنوف النساء، ويقطع أيدي الرجال، ويلتذ بإحراقهم وهم أحياء، وفي رسالته إلي ملك البرتغال يقول: " إني لا أترك مدينة أو عمارة قائمة للمسلمين، والذين يقعون في يدي أحياء .. آمر بشيهم علي النار " .. كان البوكيرك يعذب علماء المسلمين الذين ينصحون بعدم اعتناق النصرانية، ثم يعدمهم علنا لإرهاب المسلمين الممتنعين عن الدخول في النصرانية، ولم ينج آلاف الشيوخ والنساء والأطفال من القتل .. هجم علي المدن الإسلامية الساحلية، وأعمل سيوفه في ذبح أهلها، حتي سالت الشوارع بالدماء، وبلغت ضحايا المسلمين بالألوف، ثم جمع النساء والأطفال والشيوخ في المساجد وأشعل فيها النار .. لم تسلم الحيوانات والأشجار والزروع من أذي البرتغاليين، فبعد أن قتلوا عام ١٥٥٥م تسعة آلاف مسلم، قتلوا جميع حيواناتهم، وقطعوا جميع أشجارهم .. منع المسلمين من أداء فريضة دينهم وإجبارهم علي حضور العظات الدينية للمنصرين، ومنح المنصرين حقوقا وامتيازات لاستئصال شأفة المسلمين والمرتدين عن النصرانية، وأصدر أمرا عام ١٥٤٠م بهدم جميع المساجد الإسلامية، وتوزيع أوقافها علي النصاري وإقامة الكنائس مكانها ..

جاء في رسالة البوكيرك إلي ملك البرتغال:

" .. . وبعد ذلك أحرقت المدينة وأعملت السيف في كل الرقاب، وأخذت دماء المسلمين تسيل أياما عدة، وحينما وجدنا المسلمين لم نوفر منهم نفسا، وكنا نملأ بهم مساجدهم، ونشعل فيها النار حتي أحصينا ستة آلاف روح هلكت، وقد كان ذلك ياسيدي عملا عظيما رائعا أجدنا بدايته وأحسنا نهايته .... "

**مذبحة بيت المقدس**

وجاءت الحملات الصليبية ٤٨٩- ٦٩٠هـ / ١٠٩٦-١٢٩١م. لتحول

المسجد الأقصي إلي اصطبل خيل وكنيسة لاتينية، منتهكة حرمة هذا الحرم القدسي الشريف لما يقرب من تسعين عاما حتي حرره صلاح الدين ٥٣٢-٥٨٩هـ. ١١٣٧١-١١٩٣ م.

دخل الصليبيون الأوائل القدس الإسلامية سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة للهجرة ٤٩٢هـ في حملتهم الأولي التي قادها عدد من كبار الفرسان الفرنجة والنورمان .. وارتكبوا مذبحة راح ضحيتها باعتراف الروايات الأوربية سبعون ألفا من المسلمين، لم يكونوا من المقاتلين بل كانوا شيوخا وعجزة ونساء وأطفالا .. باعترافهم كانت خيولهم تغوص حتي الركب في دماء المسلمين وهي تجتاز دروب القدس !! يقول ابن كثير رحمه الله: " لما كان ضحي يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة، أخذت الفرنج – لعنهم الله – بيت المقدس شرفه الله، وكانوا في نحو ألف ألف مقاتل، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين ألف قتيل من المسلمين، وجاسوا خلال الديار وتبروا ما علوا تتبيرا "

تكونت الحملة الصليبية الأولي من خمس جيوش جرارة قدمت من فرنسا، وألمانيا، وإيطاليا،التقت في القسطنطينية، ثم عبرت مضيق البسفور، متجهة إلي أنطاكية، ونجح قسم منهم في تكوين أول إمارة صليبية في قلب العالم الإسلامي في الرها، وفي أواخر عام ١٠٩٧م فرض الحصار علي إنطاكية التي صمدت صمودا باهرا أمام الحصار، لولا خيانة بعض الأرمن المستأمنين علي أحد أبراجها، فسقطت في منتصف عام ٤٩١هـ - ١٠٩٨م وهكذا تكونت الإمارة الصليبية الثانية عام ١٠٩٩م في إنطاكية، وكان الهدف الأخير بيت المقدس ..

ارتكب الصليبيون خلال زحفهم نحو الشرق المذابح البشعة في مختلف مدن وقري المشرق العربي .. يذكر جوستاف لوبون أنه لم يكتف قومنا الصليبيون الأتقياء بضروب العسف والتدمير والتنكيل، بل عقدوا مؤتمرا أجمعوا فيه علي إبادة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود وخوارج النصاري الذين كان عددهم ٦٠ ألفا فأفنوا عن آخرهم في ثمانية أيام، ولم يستبقوا منهم إمرأة ولا شيخا ..

كان من أول الإجراءات التي اتخذها الصليبيون في بيت المقدس تحويل

المساجد إلي كنائس وأطلقوا علي مسجد قبة الصخرة اسم " هيكل الرب " أما المسجد الأقصي فقد حولوا جزءا منه إلي كنيسة باسم " هيكل سليمان " واتخذوا القسم الآخر منه مسكنا للفرسان، وذلك ما اتبعوه في مساجد سائر المدن، حيث أزيلت المحاريب وعلقت فوقها الصلبان محل الأهلة [١]..

فرض الصليبيون علي المسلمين في الإمارات اللاتينية ضريبة الرؤوس – الجزية – ونسبة من إنتاجهم السنوي، وضريبة علي أشجار الفاكهة مما دفع الناس إلي الهجرة تجاه المناطق التي بقيت بأيدي المسلمين ..

كان من آثار الإخفاق الذريع الذي منيت به الحملة الصليبية الثانية، وعودة الامبراطور الألماني كونراد الثالث ولويس التاسع ملك فرنسا يجران أذيال الخيبة، أن صارت بلاد الشام جبهة واحدة، تحت قيادة نور الدين محمود في مواجهة الإمارات الصليبية علي امتداد الساحل، والذي نجح في انتزاع الحصون والبلاد من أيدي الصليبين في وقائع مظفرة، وبعد وفاته تسلم الراية الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي، وبعد أربعة عشر عاما قضاها في لم الشمل وجمع الكلمة والقضاء علي الفتن الداخلية، والإثخان في الصليبيين وإصلاح أمور الرعية تهيأ في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة للملحمة الكبري مع الصليبيين، والتي كانت مقدمة ضرورية لفتح القدس، فكانت معركة حطين الفاصلة في شهر ربيع الآخر ..

يقول ابن كثير: " ثم أمر السلطان بالتكبير، والحملة الصادقة، فحملوا، وكان النصر من الله ﷻ، فمنحهم الله، فقتل منهم ثلاثون ألفا في ذلك اليوم، وأسر ثلاثون ألفا من شجعانهم وفرسانهم وكان من جملة من أسر جميع ملوكهم، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم وهو الذي يزعمون أنه صلب علي المصلوب، وقد غلفوه بالذهب واللالئ والجواهر النفيسه، ولم يسمع بمثل هذا اليوم في عز الإسلام وأهله ودمغ الباطل وأهله .."

وفي الخامس عشر من شهر رجب من السنة نفسها ٥٨٣هـ سارت جحافل المسلمين إلي بيت المقدس، ففتحوه يوم الجمعة في السابع والعشرين من

---

(١) د. قاسم عبده قاسم – موسوعة الحضارة العربية الإسلامية – ج ٣

رجب بعد أن بقي عبدة الصلبان اثنتين وتسعين سنة، ثم اتجه صلاح الدين – رحمه الله – لفتح الحصون الممتنعة واستنقاذ مدن الساحل الشمالية، حتي كاد يفتح أنطاكية ..

كان وقع أنباء انتصارات صلاح الدين مؤلما في أوروبا حتي أن البابا أوربان الثالث ١١٨٥– ١١٨٧م مات من هول الصدمة حين بلغته الأنباء، قال ابن الأثير:

" ثم إن الرهبان والقسوس، وخلقا كثيرا من مشهوريهم وفرسانهم لبسوا السواد، وأظهروا الحزن علي خروج البيت المقدس من أيديهم، وأخذ البطرك الذي كان بالقدس، ودخل بهم بلاد الفرنج يطوفها بهم جميعا، ويستنجدون أهلها ويستجيرون بهم ويحثونهم علي الأخذ بثأر البيت المقدس، وصوروا المسيح عليه السلام وجعلوه مع صورة عربي يضربه وقد جعلوا الدماء علي صورة المسيح عليه السلام، وقد جرحه وقتله، فعظم ذلك علي الفرنج فحشروا وحشدوا حتي النساء " ..

وكانت الحملة الصليبية الثالثة التي تكونت من كبار ملوك أوروبا، الامبراطور الألماني فردريك بربروسا ١١٥٢– ١١٩٠م الذي غرق في أحد أنهار آسيا الصغري وتمزق جيشه، وريتشارد الأول ملك انجلترا ١١٩٨– ١١٩٩م وفيليب أغسطس ١١٨٠– ١٢٢٣م ولم تحقق الحملة أهدافها في استرداد بيت المقدس برغم أنهم قتلوا ثلاثة آلاف أسير عربي من أهلها صبرا بعد سقوط عكا التي استبسل أهلها في الدفاع عنها وكان من ورائهم صلاح الدين، سبع وثلاثين شهرا ..

وعاد صلاح الدين إلي بيت المقدس يصلح من شئونها، ثم إلي دمشق حيث توفي – رحمه الله – مجاهدا في السابع والعشرين من شهر صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة ..

وكانت الحملات الصليبية الرابعة والخامسة والسادسة والسابعة علي مصر، وأغاروا علي كثير من بلاد الإسلام، قتلوا وسبوا ، ونازلهم المسلمون في مواقع كثيرة، وظل بيت المقدس بأيدي المسلمين حتي استولي عليه الإنجليز، ثم اليهود الصهاينة مؤخرا ولا حول ولا قوة إلا بالله !! [١]..

---

(١) د. أحمد القاضي – دراسات في الشريعة – البيان بتصرف

## السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، يطلق سراح أعدائه

لما دخل صلاح الدين القدس محررا بعد تسعين عاما من الاحتلال في أعقاب حطين سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة للهجرة .. لم تسجل الروايات الغربية مقتل رجل واحد من النساء والشيوخ والأطفال .. لقد تفوق الناصر بقوة العقيدة ونبل الإسلام وسماحته علي نفسه وعلي ضغوط قادته المتعطشين للثأر .. بل استقبل كبار أمراء الفرنجة في خيمته، وأطعمهم وسقاهم بيده عدا أرناط الذي كان قد تجاوز كل الحدود، فانقض علي قوافل الحجاج وحاول الانقضاض علي مكة والمدينة ونبش قبر رسول الله ﷺ .. حينذاك أقسم الناصر أنه لو ظفر به فسوف يقتله بيده وقد نفذ ما عاهد الله تعالي عليه .. امرأة من الفرنجة تجثو عند قدم الملك الناصر تسأل عن طفلتها التي ضاعت وسط الجموع المضطربة .. حاولت ولم تعثر عليها ..خصص لها خيمة ترتاح فيها ووضع من يتولي خدمتها ' وبعد ساعات يأتون بالطفلة وتجهش بالبكاء وتحاول أن تلثم يد الناصر فيقول للمترجم قل لها أن ديننا يلزمنا بأن نكون كذلك ..

لقد ذكر المنصفون من المستشرقين أنه حين نصر الله صلاح الدين الأيوبي علي الصليبيين في فلسطين، واسترد بيت المقدس أكرم رجال الدين النصاري، وأعطي بطريك القدس كل أمواله وأموال الكنائس، كما سمح للنصاري بالبقاء في القدس كرعايا للدولة، وأكرم ملكة بيت المقدس حين سمح لها بأن تصحب زوجها وأموالها وخدمها أثناء مغادرة البلاد، وفعل نفس الشيء نفسه مع الزوجات الأخريات، وحين تقدم إليه اليهوديات من نساء الفرنجة يسألنه أين يذهبن بعد أن قتل أزواجهن وآبائهن ووقوعهن في الأسر ؟ وعدهن بأنه سيطلق سراح كل زوج أسير أما الأرامل واليتامي، فقد أعطي كل واحدة منهن مبلغا من المال يناسب مكانتها التي تليق بها ..

...الآخر يدخل القدس وينفذ مذبحة دموية في أهلها دون جريرة ارتكبوها .. والناصر يطلق سراح خصومه ويمنحهم الحرية المطلقة في الذهاب حيث يشاؤون رغم أنهم كانوا قد ذبحوا شعبا بكامله قبل تسعين عاما !! الناصر يبذل ما في وسعه للبحث عن طفلة نصرانية ضائعة والصرب المنتصرون يدخلون

المدن البوسنية فيهتكون عرض خمسين ألف فتاة مسلمة في يوم واحد !!

هذا هو الإسلام وهذا هو الناصر الذي تخرج من مدرسة محمد ﷺ .. وهؤلاء هم الصرب الذين خرجوا من معطف فرديناند وإيزابيلا الكاثوليكيين !![1] .. وهذه هي أخلاق الإسلام والمسلمين ..

**دور النصاري في إسقاط دولة المسلمين في الأندلس**

**خيانات ونكران جميل من الآخر !!**

فتح المسلمون الأندلس وأقاموا دوله الإسلامية أيام عبد الرحمن الداخل، وعبد الرحمن الثالث .. لم يعامل المسلمون الآخر - وكان أهلها من النصاري وبعضهم من اليهود - معاملة الفاتح المتجبر الذي يستبيح الديار والأعراض ولم يكرههم علي ترك دينهم وترك لهم حرية الاعتقاد ...

...كان النصاري في الأندلس أقلية بعد أن أسلم معظم أهلها بعد الفتح اختيارا لا إجباريا .. كانوا يعيشون آمنين في دورهم مطمئنين علي أعراضهم وأموالهم في ظل الحكم الإسلامي .. كانوا يستوطنون الحواضر الكبري مثل قرطبة، وإشبيلية، وطليطلة، وبلنسية، وسرقسطة يتمتعون بعطف الخلفاء وثقتهم وتقديرهم .. شغلوا مناصب هامة في الدولة .. وفي الإدارة رغم أن هذا مخالف لعقيدة الولاء والبراء، التي تنهي عن اتخاذهم بطائن من دون المسلمين ..

لما ضعفت الدولة وسقطت دولة الخلافة الأموية بالأندلس، وقامت دولة الطوائف اعتني ملوكهم بالنصاري في تأمينهم وحمايتهم ورعايتهم .. تسابق ملوك قرطبة، وإشبيلية، وسرقسطة في العطف عليهم .. كان بنوا عباد ملوك قرطبة أكثر تسامحا معهم، واتخذوهم نصحاء وأمناء ووزراء يساعدونهم في حربهم ضد المسلمين !!

لم يشعر النصاري أبدا أنهم جزء من المجتمع المسلم .. لم يشعروا قط بالولاء للحكومة المسلمة التي كانت تبذل ماوسعها لحمايتهم واسترضائهم ..

---

(١) الحروب الصليبية والتعامل مع الآخر - د . عماد الدين خليل

ظلوا علي خصومتهم منتهزين أية فرصة للايقاع بها وممالأة ملوك أسبانيا النصرانية ومعونتهم علي محاربتها وتسهيل مهمة غزوها .. ساعدوا الجيش الأسباني الصليبي، وأمدوه بالمؤن المختزنة في أديرتهم، ودلوهم علي عورات المدن حتي سقطت !!

....في طليطلة دأبوا علي تدبير الدسائس وبث الفتن والاضطرابات، واتصلوا بالفونسو زعيم نصاري أسبانيا وعملوا علي تحطيم كل جبهة للمقاومة حتي سقطت المدينة بأيدي الفونسوعام ٤٧٨هـــ .

في عام ٥١٩هـــ قام النصاري باستدعاء ملوك الصليبيين لغزو الأندلس واحتلالها ووعدوهم بانضمام عشرات الألوف منهم ومساعدتهم بالمؤن والذخائر والأرواح .. دلوهم علي المسالك والطرق ومداخل البلدان .. هذا رغم ما لاقوه من عون وحماية ورعاية من الحكومات الإسلامية .. كانوا طابورا خامسا للأعداء، وهذا ما أقر به مؤرخو أوروبا بأن نصاري أسبانيا قد أدوا خدمات جليلة لقضية النصرانية والاسترداد النصراني، وأن الحرية الممنوحة لهم قد جعلتهم يتطاولون علي المسلمين !!

بعد سقوط غرناطة علي أيدي فرديناند وإيزابيلا الكاثولكيين، تم تصفية الوجود الإسلامي بالتعاون مع الكنيسة ومحاكم التفتيش راح فيها أكثر من مليوني وأربعمائة ألف من المسلمين أرغموا علي التنصير أو الهجرة أو القتل بعد واحدة من أبشع صيغ التعذيب وغسل المخ والمسخ البشري فيما هو معروف في مؤلفات المؤرخين الأسبان فضلا عن المؤرخين العرب ..كان إصرارا وحشيا لا إنسانيا متعصبا علي إبادة الخصم من الوجود، ومحو خرائطه من جغرافية العالم ..

خيانات وجرائم ونكران للجميل من الآخر دفعت فقهاء المسلمين إلي الحكم بوجوب تغريبهم " فتوي ابن رشد ٥٢١هـــ ."

دور الكنيسة الصليبية:

يخطيء من يظن أن التآمر علي سقوط الخلافة الإسلامية كان من قبل اليهود

وحدهم، كان النصاري ليسوا بأقل خطرا .. لقد كانت أوروبا واعية تماما في رؤيتها إلي الفتوحات العثمانية، أنها فتوح إسلامية، وأصبح من المسلم به عندهم أن كل نصر عسكري يحققه العثمانيون إنما هو نصر للإسلام وهزيمة للنصرانية، فباسم الإسلام زالت الدولة البيزنطية ودخل المسلمون عاصمتها بقيادة السلطان محمد الفاتح، وباسم الإسلام شرع محمد الفاتح في الاستيلاء علي مقر البابوية في روما، وباسم الإسلام تقدم العثمانيون لمساندة المغرب العربي في الصراع الصليبي بين البرتغاليين والأسبان حينما أرادوا تحويلها إلي مغرب صليبي ..

لذلك لم يكن عجبا أن نجد أجيالا من الأوربيين عاشوا بعد الفتوحات الإسلامية ينهلون من الأحقاد الكنسية، وقد ترسخ في أذهانهم هزائم منيت بها بلادهم وعقيدتهم أمام المد الإسلامي الذي حمل معه التقدم والازدهار، ونشر في ربوع فتوحاته مفاهيم جديدة عن معاني الحرية والحقوق والعدالة، احتج بها المفكرون والفلاسفة والساسة الصليبيون وأعلنوا تمردهم علي كنائسهم، فلم تخمد ثورتهم حتي سلبوها هيمنتها وسلطانها، وداسوا علي مقدساتها ..

لقد أفاقت حكومات وشعوب دول أوروبا الصليبية، فوجدت نفسها خاضعة من شرقها إلي غربها للدولة العثمانية، ولأول مرة في تاريخها، كان الخضوع لحاكم مسلم، لذلك كانت تراكمات الحقد والكراهية ضخمة، وكانت النعرة الصليبية هي الوقود الذي استطاع الحاقدون والكارهون والمتعصبون أن يشعلوا به نار العصبية في نفوس أبناء أوروبا، حتي بلغ بهم الشعور نحو دولة الإسلام إلي اعتبارها مصدر الرعب الوحيد في حاضر العالم ومستقبله ..

لهذا بدأت التحالفات بين قوي صليبية كانت متناحرة للقضاء علي دولة الخلافة الإسلامية، بإثارة الفتنة بين أوطانها، وشراء ذمم المنحرفين من أمرائها وولاتها، ثم اقتطاع الجزء بعد الآخر من أطرافها، وممارسة أعنف الضغوط السياسية والعسكرية لعقد المؤتمرات وإبرام المعاهدات ومنح الامتيازات التي كانت بمثابة الباب الذي ولجت منه الصليبية واليهودية إلي عمق الدولة العثمانية، حتي باتت هذه الامتيازات حقوقا انتزعها أبناء الصليب بالحيلة والمكر والدهاء من سلطان المسلمين لضعفه وهوانه ..

استغل الأوربيون الامتيازات وتسامح المسلمين تجاه النصاري، واستطاعوا أن يجعلوا من كنائسهم وأديرتهم ومدارسهم دولة داخل دولة، أنشأوا الكيانات السياسية التي تناوش دولة الخلافة الإسلامية .. مستغلة الحصانة التي نعمت بها في تحويل المنشآت التي أنشأت للعبادة إلي ثكنات عسكرية لجمع السلاح والتدريب وعقد الاتفاقات الخاصة مع الدول الأخري من وراء ظهر الدولة، كما ظهروا في الشوارع والميادين بصلبانهم وأزيائهم وارتفعت منارات كنائسهم، وباتوا يتحرشون بكل مسلم يتلوا آيات ربه تخص النصاري .. استطاع النصاري أن يرمموا كنائسهم القديمة وأن يرفعوا أسوارها ويحولوا مئات الخرابات إلي منشآت كنسية ومدارس تعليمية يقوم عليها القسس والرهبان لمناهضة المدارس التي كان يقوم عليها المسلمون ..

لقد أجمعت كل الدراسات علي أن البطريركية الأرثوذكسية قد استخدمت مظلة الدين خداعا وكذبا ونفاقا لتستطيع التحرك جيدا ولتكثيف نشاطها، لا من أجل حقوق النصاري في الدولة وحسب بل من أجل استعادة إمبراطورية بيزنطة الكبري فوق أراضي الأناضول .. سعت الكنيسة – التي يحرسها جنود المسلمين لتوحيد أرثوذكس العالم ضد الدولة العثمانية، وجعلت من مقرها مركزا لنمو العقيدة الهلينينة وإشعاع دعوتها لتوحيد الجهود الرامية لاستعادة بيزنطة القديمة، برغم كل ما قدمه السلطان العثماني من علامات الود والاحترام وتحقيق الأمن والأمان لنصاري الكنيسة الأرثوذكسية، يقول الباحث النصراني د. لوقاريس: إن انهيار الدولة البيزنطية تحت معاول السلطان محمد الفاتح لم يستطيع أن يزيل هذه الفكرة من روح هذه الأمة التي دخلت تحت نير الاحتلال العثماني ..

سعت الكنيسة الأرثوذكسية إلي ترويم كنائس البلقان، وأصدرت الأوامر باعتبار اللغة اليونانية هي اللغة الوحيدة لأداء الصلوات والعادات والطقوس والمراسم الدينية، كذلك في جميع المدارس الكنسية في كل بلاد الامبراطورية البيزنطية القديمة، ومنع استخدام اللغة العربية أو التركية أو السلافية في أي مراسلات أو دواوين تحت سلطة البطريركية الأرثوذكسية، كما بذلت الجهود لإحلال التقويم اللاتيني لشهور السنة محل التقويم العربي ..

## امتيازات للنصاري .. وخيانات كنسية

بعد أن نجح السلطان محمد الفاتح في قهر إمبراطورية بيزنطة الكبري، منح النصاري الصلاحيات في اختيار الممثل الديني لهم – وقد كان غائبا بهروبه يوم دخل محمد الفاتح البلاد ثم منحه الصلاحيات وكافة السلطات الدينية والروحية والمدنية والقانونية، وأضفي عليه لقب " رئيس الملة " حتي اصبح المرجع الأول والأخير للأرثوذكس الروم في البلاد، والمتحدث باسم نصاري دولة الخلافة .. هذا في الوقت الذي لم يكن هناك من المسلمين من يتابع أنشطة النصاري السياسية والاقتصادية والاجتماعية بل والعسكرية التي اتسعت دائرتها في صمت وهدوء ..

لم يمنعهم السلطان من تملك السفن الحربية، ولم يتدخل في برامجهم التعليمية، أو يمنع بناء المدارس داخل الكنائس، ولم يمنع أبناء المسلمين من الالتحاق بها.. منحت الفرامانات العثمانية التي أصدرها سلاطين آل عثمان سلطات وامتيازات للقسس ووعاظ الكنيسة، وحققت لهم من الحرية والاستقلال للبطاركة النصاري، ما لم ينعموا بها في ظل أعظم عهود بيزنطة قوة [١] ..

نعمت النصرانية في عهد السلطان محمود الثاني بالحرية التامة .. وجاء السلطان عبد المجيد الأول ١٨٦٠-١٢٧٧م. وكان شابا في السادسة عشر من عمره فعبث برأسه المفتونون بالغرب وعلي رأسهم مصطفي باشا رشيد الذي أصدر خط جلخانة الذي ينص علي المساواة في الحقوق والواجبات بين المسلم وغير المسلم .. ثم أتبعه الخط الهمايوني الأكثر انحلالا والذي ينص علي المساواة في كافة الحقوق والواجبات !!

لم يكن سلاطين آل عثمان يميزون بين مسلم ونصراني في منح لقب " الأمير " أو " الباشا " فامتلك أبناء النصاري المناصب المهمة داخل الدولة، وامتلكوا ناصية العلاقات والمعاهدات السرية والمعلومات الخفية لأخص وأدق أسرار الدولة الداخلية والخارجية والعسكرية والاقتصادية، وكان من بينهم من له علاقة بالصدر الأعظم وكيل السلطان، وكان من بينهم كبار الموظفين

---

(١) مخطوطات وزارة الخارجية البريطانية بتاريخ ٧- ١١- ١٨٥١م

والمترجمين في الديوان السلطاني، الذين يديرون العلاقات بين الصدر الأعظم ومساعديه من ناحية، وبين سفراء الدول الأجنبية من ناحية أخري !!

**ومن هنا كان طمس عقيدة الولاء والبراء ..**

هذه الثقة التي منحتها الدولة العثمانية للنصاري واختصاصهم بالمناصب الحيوية طوال ستة قرون، كانت وبالا علي سلطة الدولة وسببا لخيانات يندي لها الجبين، وعائقا في وجه اتفاقات أو معاهدات أو إجراءات لصالح الدولة وتقدمها وازدهارها، والسعي إلي تخريب الدولة الإسلامية والحث علي مناهضتها، مستغلين حالة الإحباط والقهر التي أصابت المؤسسات الدينية الإسلامية ..

في حين كان البطريرك يقسم يمينا عند تعيينه أمام السلطان العثماني علي أن يظل مخلصا للسلطان، وأن ينفذ قوانين الدولة العثمانية ويحترمها، وأنه لن يخون الدولة، وأنه سوف يؤدي واجبه علي أتم وجه، وأنه يكتب للدولة عن كل من تبدر منه خيانة للبلاد يثبت التاريخ أن البطريرك كان دائما خوانا لهذا القسم، وتكشف الوثائق خياناتهم وتآمرات الأمراء الأرثوذكس مع العديد من سفراء الدول الأوربية وروسيا، واعترافهم بما تلقوه من أموال وأسلحة لهدم وتخريب الدولة، مدعين تعرضهم من المسلمين للاضطهاد وإحساسهم بالهوان والمذلة .. خيانات وغدر وكيد للوطن وتآمر علي شروط المواطنة .. من أولئك الذين لطالما ابتسموا في وجوه المسلمين، وخدعوهم بكلمات معسولة ..

وبرغم الخيانات الكنسية التي طفت علي سطح علاقاتها السلطانية، والضغوط التي مارستها دولا خارجية علي الدولة العثمانية بتأثير من قوي الكنيسة في الداخل، نجد السلطان سليم بعد فتحه للشام ومصر منح بطريركية استانبول مكانة أعلي وأظهرها كأنها بابوية !!

**ماذا كان رد الآخر علي هذه التنازلات ؟؟**

في عهد السلطان محمود الثاني الذي فتح باب الهجرة علي مصراعيه دأبوا علي التحريض علي الثورات فكانت ثورة اليونان ١٨٢١م. ١٢٣٧هـ. ..كان النصاري يهاجرون من بلادهم إلي اليونان للاشتراك في هذه الثورة

..ثوراتهم في أرمينيا وأذربيجان وجورجيا تلك الثورات التي أضعفت الدولة، وأدت إلي تنازلها عن الكثير من الموانيء والبلاد لصالح روسيا، كما أدت إلي انفصال مصر والشام تحت حكم العميل المخلص محمد علي باشا ..

**في عهد السلطان سليمان القانوني** المتوفي عام ٩٧٤هـ.. **كانت** محاكم التفتيش في الأندلس للمسلمين واليهود .. وتشرد اليهود وهاموا علي وجوههم ورفضت كل البلاد استقبالهم لفسادهم وشرورهم .. استقبلهم السلطان الذي تزوج اليهودية روكسلان التي ظلت تستعطفه ليوطن اليهود في بلاده فقبلهم وأذن لهم بالاستيطان في الأناضول ... تمتع اليهود بقدر كبير من الاستقلال الذاتي وتولوا المناصب واقتنوا الثروات !!

**ماذا كان رد اليهود ؟؟**

كونوا المنظمات التي أفسدت عقائد المسلمين كونوا المحافل الماسونية التي انبثقت منها الأفكار العلمانية والقومية .. رفعوا شعارات الحرية والمساواة لاجتذاب البسطاء .. كان مصطفي كمال أتاتورك الذي تم علي يديه تقويض وتحطيم دولة الخلافة الإسلامية ينتسب إليها، كانت دعوتهم إلي تجميع اليهود من شتي البقاع لاتخاذ القدس مقرا لهم .. عرفوا باسم يهود الدونمة .. ادعوا الإسلام وتظاهروا به، وظلوا علي يهوديتهم في الباطن ويعملون للصهيونية في الخفاء .. سعوا إلي هدم القيم الإسلامية بنشر الإلحاد والدعوة إلي العري والاختلاط بين الرجال والنساء في المدارس والجامعات .. وهم الذين سعوا في نهاية المطاف إلي عزل السلطان عبد الحميد الثاني بعد أن اخترقوا جمعية الاتحاد والترقي وصاروا يحركونهم كالدمي !!!

عاش اليهود في دولة الخلافة الإسلامية بسلام وأمان تحت ظل تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، أجارهم السلطان مراد الثاني، عملا بالتعاليم والتقاليد الإسلامية، ورحب بهم الأتراك وأحسنوا وفادتهم، حتي لقب مراد بالرجل الإنساني الكبير ..

استوطن اليهود تركيا رغم علم الساسة والعلماء بأخطارهم، وجرائمهم التي ارتكبوها بحق الإسلام والمسلمين، منذ عهد رسول الله ﷺ

حاولوا اغتيال السلطان محمد الفاتح ..تسللوا إلي المرافق التجارية والصناعية بأموالهم، وامتلكوا أكبر المحلات التجارية في أزمير وسلانيك واستنبول .. تسللوا إلي مراكز الجاه والسلطان بعد أن تظاهروا باعتناق الإسلام، وراحوا يعملون في الخفاء لتحقيق أغراضهم .. شوهوا سمعة السلاطين للحد من قدر الإسلام والمسلمين وأقاموا المحافل الماسونية، وورطوا خيرة أبناء الأمة في الانتساب إليها وأسسوا الجمعيات السرية، وغرروا بالطلاب الأتراك في الداخل والخارج للدخول فيها والاندماج في صفوف الماسون، ومن ثم كونوا جمعية تركيا الفتاة، وكان زعماؤها من يهود الدونما الذين اغتالوا السلطان عبد العزيز، واستبدلوه بمراد الخامس المعتوه في أحرج أيام الدولة، التي كانت جيوشها تقاتل آنذاك في البوسنة والهرسك ..

استولوا علي اقتصاديات البلاد وزرعوا بذور التفرقة وعدم الثقة بين طوائف الشعب .. أشهروا الحرب علي السلطان عبد الحميد، وباشرت صحافتهم مهاجمته وتلفيق التهم له، وتحريض الشعوب الخاضعة لنفوذه علي التمرد، وتدهورت أحوال البلاد، واعتقل السلطان ونفي إلي سالونيك وتسلمت جمعية الاتحاد والترقي السلطة، وهم من الماسون ويهود الدونمة، واعتلي محمد رشاد العرش ١٩٠٩م دون أن يكون له السلطة والنفوذ، ودفعوا أنصارهم لارتكاب المجازر ضد العرب فقتل الآلاف والمئات، وانهارت الدولة وتم لليهود احتلال فلسطين .. كانوا من وراء الثورات في البلقان زعماؤها كانوا من اليهود والماسون (١)..

عاش اليهود والنصاري في دولة الخلافة معززين مكرمين واحتضنهم المجتمع المسلم .. هل اعترفوا بالجميل !! سعوا إلي تمزيق الدولة بإثارة الفتن وتفجير الثورات الدينية ومساعدة الدول الأوربية في القضاء علي الدولة التي آوتهم يوما، وما قدمه سلاطين الدولة لهم من عطف ورعاية حتي أن كثير من السلاطين تزوجوا من نساء النصاري واليهود !! كان القساوسة ورجال الدين علي

---

(١) سليمان ناجي – المفسدون في ا لأرض

صلات وثيقة بزعماء أوروبا يتضح ذلك من خلال الوثيقة التي أرسلها البطريك جريجوريوس إلي قيصر روسيا يبين له فيها كيفية هدم الدولة العثمانية من الداخل بتحطيم الروح الإيمانية والمعنوية للمسلمين وتمزيق الروابط التي تجمعهم ..

**رسالة جريجوريوس بطريرك استانبول الأكبر**

واحدة من مئات الرسائل الخيانية التي ضبطت، أو حفظت في خزانة المخطوطات والوثائق البريطانية، التي اختفت في سراديب الكنائس والأديرة، وبها عدد من التوصيات الجديرة بالاهتمام والتدقيق، والتي تشير بشكل واضح إلي خطورة الدولة العثمانية ككيان إسلامي يخشي منه علي العالم عسكريا وسياسيا .. تقول الرسالة علي لسان البطريرك الأعظم للنصاري في دولة الخلافة الإسلامية، التي أقسم اليمين علي الولاء لها والحفاظ عليها:

**".. إنه من المستحيل سحق وتدمير الأتراك العثمانيين بالمواجهة العسكرية لأن الأتراك العثمانيين ثوريون جدا ومقاومون وواثقون من أنفسهم، وهم أصحاب عزة نفس واضحة وهذه الخصال التي يتمتعون بها، إنما تنبع من ارتباطهم ببعضهم ورضائهم بالقدر وتشبعهم بهذه العقيدة، وأيضا من قوة تاريخهم وطاعتهم لسلطانهم .. الأتراك العثمانيون أذكياء وهم مجدون مجتهدون متجاوبون مع رؤسائهم مما يجعلهم قوة هائلة تخشي منها، وليس هذه هي كل مزايا العثمانيين بل وبطولاتهم وشجاعتهم، إنما تأتي من قوة تمسكهم بدينهم وارتباطهم بأعراقهم وتقاليدهم وصلابة أخلاقهم، ولهذا فإن السبيل لهدم هذه القوة يكون كما يلي:**

**أولا: لابد من كسر شعور الطاعة عندهم تجاه سلطانهم وقادتهم وتحطيم روحهم المعنوية وروابطهم الدينية، وأقصر طريق لتنفيذ هذا تعويدهم التعايش مع أفكار وسلوكيات غربية لا تتوائم مع تراثهم الديني ..**

**ثانيا: لابد من إغراء العثمانيين لقبول المساعدات الخارجية التي يرفضونها من إحساسهم بعزتهم وتعويدهم عليها، حتي لو أدي ذلك إلي إعطائهم قوة ظاهرة لمدة محدودة ..**

**ثالثا: لابد من إعلاء أهمية وقيمة الأمور المادية في تصوراتهم وأذهانهم وإفسادهم بالإغراءات المادية، فإنه ليس بالحرب فقط تهدم الدولة العثمانية، سيكون هذا سببا في إيقاظهم ووصولهم لمعرفة حقيقة ما يخطط لهم ويبيت في الخفاء لهم .. وإن ما يجب علينا عمله هو إكمال هذه التخريبات في بنيتهم الذاتية والاجتماعية ومكانتهم الدولية دون أن يشعروا بذلك ..**" انتهت الرسالة ومازال المخطط قائما !!

ويعلق السفير الروسي علي رسالة البطريرك الأرثوذكسي الخائن قائلا: في الحقيقة لقد تجلت أمامي، مصداقية كل هذه التشخيصات التي حددها البطريرك عن صفات وأخلاق المسلمين العثمانيين أثناء قيامي بعملي لدي الدولة العثمانية ..

كانت الدولة العثمانية تنظر إلي رعاياها النصاري علي أنهم جزء من نسيج الدولة والمجتمع .. ولتهم المناصب ونعموا بالأمن والأمان والرفاهية التامة، وازداد نفوذهم مع تدهور وضعف الدولة العثمانية وانتشار الأفكار التغريبية خاصة مع بداية حكم السلطان محمود الثاني المتوفي ١٨٣٩م. / ١٢٥٥هـــ . والذي فتح الباب علي مصراعية لهم ، ومسخ عقيدة الولاء والبراء قائلا: "إني لا أريد ابتداء من الآن أن يميز المسلمون إلا في المسجد، والمسيحيون إلا في الكنيسة ، واليهود إلا في المعبد، إني أريد مادام الجميع يتوجه نحوي بالتحية، أن يتمتع الجميع بالمساواة بالحقوق .."

لم يكن سقوط دولة الخلافة حدثا غير متوقع، ولم يفاجأ به الذين يتابعون الأحداث .. كان لنصاري بلاد الشام دور أساس، بعد أن ذللت لهم فرنسا سبل الدراسة في جامعاتها ومعاهدها .. فكان منهم كبار المسؤولين والخبراء .. كان منهم قادة الأحزاب والحركات القومية والوطنية التي رفعت شعار العلمانية، ونادت بالانفصال عن الدولة العثمانية، واتخذ هؤلاء مراكز لهم في باريس، ثم نقلوا أنشطتهم إلي بيروت ودمشق والقاهرة .. كان منهم الأدباء والمفكرون والصحفيون والمعلمون .. كانت معظم الصحف والمجلات في بلاد الشام تعود ملكيتها إلي النصاري .. ونجح هؤلاء النصاري في استقطاب الطبقة المثقفة من أبناء المسلمين الذين تتلمذوا في جامعات أوروبا .. دعوا إلي وحدة عربية لا

تفرق بين دين ودين !! وصدق أبناء المسلمين أكاذيب النصاري وحيلهم، وما دروا أنهم يبيتون أمرا آخر مع قياداتهم في باريس ولندن والفاتيكان ..

وجاءت نتائج الحرب العالمية الأولي لتقرر واقعا قائما، ليدخل لورنس دمشق عاصمة الأمويين ليرفع علم ما يسمي بالثورة العربية الكبري .. ويدخل غورو بيروت ودمشق بعد معركة ميسلون، وتعلن فرنسا انتدابها علي سوريا ولبنان مقابل انتداب بريطانيا علي فلسطين والأردن والعراق حسب معاهدة سايكس بيكو.. ثم كانت سياسة التفتيت والتجزئة في قلب العالم الإسلامي .. ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

ومنذ اليوم الأول الذي وطأت فيه أقدام الغزاة بيروت ودمشق، أعلن نصاري بلاد الشام عن تأييدهم للانتداب الفرنسي، ووقوفهم إلي جانب المحتلين الصليبيين، لم يكتموا اغتباطهم بالانتصار الذي حققه غورو في معركة ميسلون، وكانوا عونا له عسكريا وسياسيا وإداريا وإعلاميا، وكانت فرنسا لا تتخذ قرارا في سوريا أو لبنان إلا بعد دراسته مع المواطنين النصاري ..

**الحملة الفرنسية علي مصر والشام:**

**تدنيس الأزهر الشريف:**

دنست جيوش الثورة الفرنسية الرافعة لأعلام الحرية والإخاء والمساواة أرض مصر بالحملة التي قادها نابليون بونابرته ١٢١٣هـ. / ١٧٩٨م. دنست الأزهر الشريف أقدم وأعرق المساجد الشهيرة في تاريخ الإسلام ..داست ومزقت القرآن الكريم وكتب السنة المطهرة، وسكر الجنود، وبالوا، وتغوطوا علي هذه المقدسات .. يصف ذلك عبد الرحمن الجبرتي المؤرخ الذي عاصر الحملة فيقول: " لقد دخل أولئك الوعول إلي الجامع الأزهر، وهم راكبون الخيل وداس فيه المشاة بالنعالات وهم يحملون السلاح والبندقيات، وتفرقوا في صحنه ومقصوراته وربطوا خيولهم بقبلته وعاثوا في الأروقة والحجرات وكسروا القناديل والسهارات، وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأواني والقصاع والودائع والمخبأت بالدواليب والخزانات،

وشتتوا الكتب والمصاحف وعلي الأرض طرحوها وبأرجلهم ونعالهم داسوها وأحدثوا بالمسجد وتمخطوا وبالوا وتغوطوا وشربوا الشراب، وكسروا أوانيه وألقوها بصحنه ونواحيه وكل ما صادفوه به عروه ومن ثيابه أخرجوه ووجدوا في بعض الأروقة إنسانا فذبحوه ومن الحياة أعدموه، وفعلوا بالجامع الأزهر ما ليس عليهم بمستنكر لأنهم أعداء الدين وأخصام متغلبون وغرماء متشمتون وضياع متكالبون وأجناس متباينون وأشكال متعاندون ....ألخ . وأعطي تلك الليلة جيش الرحمن فسحة لجيش الشيطان .. "

**معركة يافا ١٢١٤هـ ١٧٩٩م.. " جريمة الغدر والخيانة "**

يقترف نابليون جريمة الغدر بعهد الأمان الذي قطعه لأسري معركة يافا، فيذبح آلاف الجنود المسلمين الذين أعطاهم عهود الأمان !!

يقول عبد الرحمن الرافعي المؤرخ الحجة واصفا هذا الغدر والانتهاك لقداسة عهود الأمان: " لقد وصل نابليون بجيشه تجاه يافا يوم الثالث من مارس ١٧٩٩م. وكان الجيش العثماني بقيادة عبد الله باشا الجزار ممتنعا بها فحاصرها نابليون بجنوده واستولي عليها يوم السابع من مارس بعد معركة شديدة قتل فيها من الجنود العثمانيين ألفين قتيل ودخل الفرنسيون المدينة وأعملوا فيها السيف والنار، ونهب الجنود الفرنسيين يافا وارتكبوا فيها من الفظائع ما تقشعر منه الأبدان باعتراف المؤرخين الفرنسيين، واستمر النهب والقتل يومين متتالين واضطر الجنرال روبان ROBIN الذي عينه نابليون قائدا للمدينة أن يقتل بعض الجنود لإعادة النظام فذهب جهده عبثا ولم ينقطع النهب إلا بعد أن كل الجنود من الاعتداء وسفك الدماء !! لم ينقطع النهب في مدينة يافا حتي أعقبته مأساة أخري أشد هولا وفظاعة، ذلك انه بعد انتهاء المعركة ودخول الفرنسيين المدينة كان بها من الجنود العثمانيين نحو ثلاثة آلاف مقاتل آثروا التسليم وإلقاء السلاح في يد الفرنسيين بشروط اتفقوا عليها من هذه الشروط أن تضمن أرواحهم بعد التسليم، وتلقاهم الفرنسيين كأسري حرب ولكن نابليون بعد أن فكر طويلا في أسرهم، وترددوا في شأنهم أمر بإعدامهم جميعا رميا بالرصاص

فسيق أولئك إلي شاطيء البحر وأعدموا جميعا " !! [1] ..

## الدور الخياني للمعلم يعقوب حنا

احتل الفرنسيون مصر عام ١٢١٣ه . بدافع صليبي مغلف بدوافع اقتصادية وتجارية وسياسية كانت خيانات الآخر متمثلة في شخصية المعلم يعقوب حنا الذي يعد أبرز من خانوا بلادهم من نصاري مصر حيث قام هذا الصليبي الحاقد علي الإسلام والمسلمين بتكوين فرق ميلشيات من النصاري المصريين وقام الفرنسيون بتزويدهم بالسلاح الحديث لمساعدتهم في قمع ثورات المصريين ولدوره الخياني منحه الفرنسيون رتبة جنرال ولقب بالقائد العام للفيالق القبطية بالجيش الفرنسي !! وقد استطاعت هذه الميليشيات مد يد العون للقوات الفرنسية في قمع ثورة القاهرة الأولي ١٢١٣ه وثورة القاهرة الثانية ١٢١٤هـ ..

قام يعقوب بإحراق الدور ونهب الأموال وتهديم المساجد وانتهاك الأعراض ووقع منه من المنكرات والأحقاد ما يعجز القلم عن وصفه .. ومن أسف أن يجعله نصارى مصر بعد هلاكه قديسا يقام له بأرض مصر مولدا واحتفالا بذكراه في الجهاد ضد المسلمين ويثنون عليه ويقول عنه لويس عوض الصليبي الشهير المعروف بكراهيته للإسلام:

إن الدور الذي قام به المعلم يعقوب حنا مع الفرنسيين ضد العثمانيين يعتبر تعاونا يستحق بموجبه أن يقام له تمثال من ذهب في أكبر ميادين القاهرة ويكتب عليه أنه أول من نادي بالاستقلال لمصر في العصر الحديث !!

---

(١) عبد الرحمن الرافعي – تاريخ الحركة القومية – القاهرة

# الفصل الثاني

## حقوق غير المسلمين في بلاد المسلمين

النصاري العرب .. ممارسات سلبية .. وترسبات كامنة في النفوس ..!!

### سماحة الإسلام و.. عنصرية النصاري ..

يقول الحق تبارك وتعالي في سورة الممتحنة: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(الممتحنة:٨) .

آيات كثر من آيات القرآن الكريم، محكمة وحاكمة، تقرر أسس التعامل مع غير المسلمين، تقوم علي البر والقسط بكل ما يقتضيه معني البر من خير، والقسط من عدل " إن الله يحب المقسطين " ..

في تعليقه علي هذه الآية يقول – سيد قطب – رحمه الله، في الظلال:

" إن الإسلام دين سلام، وعقيدة حب، ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظله، وأن يقيم فيه منهجه، وأن يجمع الناس تحت لواء الله، إخوة متعارفين متحابين، وليس هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا، إلا عدوان أعدائه عليه، وعلي أهله، فأما إذا سالموهم فليس الإسلام براغب في الخصومة .."، هذه المعاملة الحسنة، وخلق البر، والقسط، أصل ثابت مستقر، في توجيهات القرآن والسنة، والتطبيق العملي في العهد النبوي، والخلافة الراشدة، وما اتصل بها من المعاملات في العصور الإسلامية ..

### الإسلام دين رحمة للناس أجمعين

كرم الله تعالي الإنسان بعامة مسلما وكافرا، ورفع منزلته علي كثير من خلقه، فقال تعالي: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(الإسراء:٧٠). ومن التكريم مراعاة مشاعر غير المسلمين ومجادلتهم بالحسني ﴿ وَلَا تُجَـٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ

ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(العنكبوت:٤٦)، وكذلك عدم تسفيه معتقداتهم، بل إن المسلمين يعظمون الكتب السماوية الأخري.

الإسلام دين رحمة لكل الناس، مسلمين وغير مسلمين، يدرك ذلك كل ذي عين بصيرة، ولا يجحد فضله إلا من جهل حقيقته، أو كان من المستكبرين ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(الروم:٣٠) .

خيره لغير المسلمين، وحفظه لحقوقهم حتي في أوقات انتصار المسلمين عليهم في الحروب، هو ما شهد به المنصفون من غير المسلمين، ومن ذلك قول البطريك عيشويابه: " إن العرب الذين مكنهم الرب من السيطرة علي العالم يعاملوننا كما تعرفون، إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية، بل يمتدحون ملتنا، ويوقرون قسيسينا وقديسينا ويمدون يد المعونة إلي كنائسنا وأديرتنا "

وقال ديورانت في قصة الحضارة: " لقد كان أهل الذمة المسيحيون والزرادشتيون واليهود والصابئون يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحرارا في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم ... وكانوا يتمتعون بحكم ذاتي يخضعون فيه لعلمائهم، وقضاتهم، وقوانينهم "

ومع ذلك نسمع اليوم أصواتا تتهم الإسلام وأهله بانتهاك حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام دون أدلة ولا براهين !!

كتب الفقه الإسلامي أسمتهم " بأهل الذمة " أي أهل العهد والأمان، لأنهم يصيرون في ذمة محمد ﷺ، وفي ذمة المسلمين، أن في عهدهم وأمانهم علي وجه التأييد [١]..

لقد سجل التاريخ صورا ناصعة في توفير هذه الحقوق لغير المسلمين ..

---

(١) د. وهبة الزحيلي – الإسلام وغير المسلمين

**في صدر الإسلام: " وثيقة المدينة – عهد النبي لأهل نجران – عهد أبي بكر لأهل نجران – عهد عمر لأهل إيلياء "**

تعد وثيقة المدينة أول وثيقة تفصيلية، بين المسلمين وأهل الكتاب، ضمنت حرية الاعتقاد، والفكر وحقوق المواطنة الكاملة، وتبدأ بـــ :

**" بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي رسول الله بين المؤمنين والمسلمين من قريش وأهل يثرب، ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم، أنهم أمة واحدة من دون الناس: المهاجرون من قريش علي ربعتهم وعلي استقامتهم ــ أي علي أمرهم الذي كانوا عليه ــ يتعاقلون بينهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنوعوف علي ربعتهم يتعاملون معاملتهم الأولي وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين .. ثم ذكر كل بطن من بطون الأنصار وأهل كل دار: بني الحارث وبني ساعدة وبني جشم وبني النجار وبني عمرو وبني عوف وبني النبيت وهم الطرف الأول في المعاهدة .. وأن المؤمنين لا يتركون مفرجا ــ المثقل بالدين والعيال ــ بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل، وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس وأنه من تبعه من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرعليهم وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا علي سواء وعدل** .... الخ . "

تعتبر هذه الوثيقة نموذجا لأرقي أشكال التعامل الإنساني، وتسجل أروع المباديء القانونية، التي تعمل علي نصرة ومساواة الأقليات في المجتمع الإسلامي " وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم .. "، في المعاهدة حرية مطلقة للأديان والمذاهب وحرية التصرف في المال وكل متعلقاته ووجوه نشاطه المختلفة، فقد نصت علي: " لليهود دينهم وللمسلمين دينهم وأموالهم وأنفسهم إلا من ظلم فإنه لا يوقع إلا نفسه وأهل بيته "

الحق إنه ما استقر الإسلام في المدينة بعد الهجرة، حتي أصدر النبي ﷺ الصحيفة، التي كانت بمثابة دستورا نظم العلاقة بين المسلمين مهاجرين وأنصارا وبين غير المسلمين مشركين ويهود .. قننت الصحيفة العلاقة بين المواطنين علي أساس المواطنة المشتركة والدفاع عن الدولة الناشئة بدون تفرقة، ولكن حين أقدم يهود بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة علي نقض الصحيفة بالخيانة والتواطؤ مع العدو خارج المدينة، افتقدوا حقوقهم كاملة وكان مصيرهم الطرد والنفي ..

لم تكن معاداة اليهود يومذاك تعصبا دينيا، أو معاداة لليهودية كرسالة، ولكن كان موقفا سياسيا لقائد دولة ناشئة تجاه جماعة هددت أمن الدولة ووحدة المجتمع، وعرضت استقراره والسلام الاجتماعي للخطر [١]..

وفي يوم فتح مكة في العام الثامن الهجري، حقق التسامح الإسلامي غايته، فبعد أن انتصر النبي ﷺ علي مشركي مكة لم يخيرهم بين الإسلام أو السيف ولم يجل الذين لم يسلموا منهم عن ديارهم التزاما بمبدأ " لا إكراه في الدين " فما كان إلا أن أقبل كبار مكة علي الإسلام، وكان منهم من شارك الرسول ﷺ في غزوة حنين، وهو لم يزل علي الشرك كصفوان بن أمية [٢]..

هذا وقد أعطي النبي ﷺ لأهل نجران عهد ضمن لنصاري نجران الأمان علي أنفسهم وأموالهم وعشيرتهم وأماكن عبادتهم ، وألا يغير أسقف ولا راهب، ولا كاهن ..

ولما آلت الخلافة إلي أبي بكر الصديق ﷺ، فإنه أكد في عهد منه لأهل نجران، أنه أجارهم بجوار الله، وذمة النبي محمد رسول الله ﷺ علي أنفسهم، وأرضهم، وملتهم وعبادتهم وأساقفتهم ورهبانهم وفاء لهم بكل ما ورد في العهد النبوي لنصاري نجران .

وعلي ذات النهج، سار عمر بن الخطاب ﷺ، فأعطي لأهل إيلياء عهدا

---

(١) راشد الغنوشي – الحريات العامة في الدولة الإسلامية – بيروت

(٢) أحمد أمين – ضحي الإسلام – مكتبة النهضة – القاهرة

وأمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمهم وبريئهم وسائر ملتها، ألا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها، ولا من حيزها، ولا من صلبهم ولا من شيء من أموالهم، وألا يضار أحد ولا يكره علي الدين ..

ولما جاءت خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، اعتبر عمر الذين أسلموا من أهل البلاد المفتوحة " موالي " للفاتحين العرب، أي حلفاء لهم، وسوي بينهم ولم يعد في المجتمع ما يميز بين العربي المسلم وغير العربي المسلم، عملا بقوله تعالي: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾(الحجرات:١٣). ولقوله ﷺ " كلكم لآدم وآدم من تراب ليس لعربي علي أعجمي فضل إلا بالتقوي " وأصبح الجميع في نظر الشريعة موالي وعرب سواء، وأثمرت هذه العلاقة بمن أسلموا من أهل البلاد المفتوحة، فصار منهم قادة وأئمة في كافة المجالات وصاروا من سادة التابعين..

وتفاعل الموالي في المجتمع الجديد، واتسعت أطر تفاعلاتهم الحياتية مع الفاتحين العرب علي كافة الأصعدة ..

جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف – رحمه الله – أن أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ مر بباب عليه قوم، وعليه سائل يسأل شيخ كبير ضرير البصر، فضرب عمر عضده من خلفه، وقال: من أي أهل الكتاب أنت ؟ فقال: يهودي، قال: فما ألجاك إلي ماأري ؟ قال: أسأل الجزية، والحاجة، والسن، فأخذ عمر بيده، وذهب به إلي منزله، فرضخ له بشيء من المنزل، ثم أرسل إلي خازن بيت المال، فقال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ماأنصفناه، أن أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم ..

وجاء في وصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – ﷺ: " .... والله الله في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب والله الله في ذمة نبيكم، لا تظلمن بين ظهرانيكم، والله الله في أصحاب نبيكم، فإن رسول الله ﷺ أوصي بهم "

### اتفاقية إيلياء " بيت المقدس "

**"بسم الله الرحمن الرحيم: هذا ما أعطي عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أمانا علي أنفسهم وأموالهم وصلبانهم سقيمها**

**وبريئها وسائر ملتها: أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من حيزها، ولا يكرهون علي دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود – كانوا قد طلبوا هذا الشرط نظرا لخلق اليهود المشين – وعلي أهل إيلياء أن يعطوا الجزية، ومن أحب من أهل إيلياء أن يخرج منها ويسير بنفسه وماله من الروم يخلي بينهم ويأخذوا معهم صلبانهم فإنهم آمنون ومن كان منهم من أهل الأرض قبل مقتل فلان، فمن شاء منهم قعد وعليه فعل ما علي أهل إيلياء من الجزية، ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلي أهله .. وعلي ما في هذا الكتاب عهد الله وذمة رسول الله وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذي عليهم من الجزية "..**

هذه المعاهدة التي أبرمت بعد أن طال حصار المسلمين لبيت المقدس، دون أن يريقوا دماء أهلها ويشنوها عليهم حربا قاسية، ورغب أهله في الصلح وشرطوا أن يتولي العقد معهم الخليفة عمر ابن الخطاب بنفسه .

يقول الطبري في كتابه " تاريخ الأمم والملوك " الجزء الرابع ص ١٥٩: شهد علي هذا الصلح خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعبد الرحمن بن عوف، ومعاوية بن أبي سفيان .. تقدير الإسلام والمسلمون للعهود والمواثيق، ينبع من توجيه القرآن الكريم حين قال لهم في سورة النحل الآية ٩١ ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ ..

## الممارسات الخاطئة للغرب النصراني

### الغرب والمشكلات الطائفية في الوطن العربي

في عام ١٨٤٠م تم توقيع اتفاقية لندن الخاصة بتصفية نفوذ محمد علي، فحصلت بريطانيا علي حق حماية اليهود في سائر أنحاء الدولة العثمانية، وحصلت علي تسهيلات متعددة لتيسير هجرة اليهود إلي فلسطين واستيطانهم فيها، واحتفظ اليهود بجنسياتهم الأجنبية حرصا علي الامتيازات التي تحققها لهم، ولدعم الجهود في تأسيس مشروعهم الاستيطاني ..

كان من آثار هذه الامتيازات أنه لم يكد ينتصف القرن التاسع عشر إلا وصار المسيحيون واليهود من رعايا السلطنة مشمولين بالرعاية والحماية الأجنبية الفرنسية والانجليزية والروسية في سائر الولايات العربية والبلقانية .. أدي ذلك إلي التهاب المشاعر والعواطف لدي المسلمين وإلي الاحتقان الديني لدي الجميع، وإلي ترسبات ظلت كامنة في النفوس في الأعماق ..

ولدت الحماية الأجنبية للمشمولين بها من نصاري الشرق وأقباطهم، قدرا غير يسير من التعاطف مع الدول الحامية والانبهار بثقافاتها وتاريخها وكل ما يمت لها بصلة، وأوجدت لديهم مشاعر الارتباط العاطفي مع أبناء دينهم، ما لم يكن من السهل التحرر من آثاره كما تسببت هذه الحماية في اكساب الدول الأوربية هيبة ومكانه ومهابة وقوة جذب انعكست علي كل ما هو أوربي سلعة كانت أو لغة أم فكرا أو سلوكا !! وبعد أن كان المسلم أو المسيحي يشعران بالفخار بكل ما هو شرقي، بات العكس بعد أن تسربت إلي الكثيرين مشاعر الاحساس بالدونية تجاه أوروبا وكل ما هو أوربي !!

كان من الآثار السلبية والانعكاسات السلبية أن قام في الساحة من دعا علانية إلي التغريب واتباع المنهج الأوروبي في مختلف نواحي الحياة، وظهرت من صحف القاهرة وبيروت وغيرهما من الحواضر تدعو علانية إلي الاحتلال والاستعمار بزعم أن ذلك طريق التحرر والتقدم والاستقلال والكرامة، ودبجت المقالات دفاعا عن الامتيازات الاجنبية، ولفتح الباب علي مصراعية لكل ما هو أوربي ..

## الأطماع الفرنسية في مصر:

يجمع المؤرخون أن الحملة الفرنسية كانت بداية الغزو الإمبريالي الغربي الحديث لمصر، وللوطن العربي .. خططت له فرنسا باهتمام بالغ قبل الثورة الفرنسية، وقام له ملوك فرنسا بدراسات واتصالات، وزرعوا الجواسيس والأعوان !!

أرسلت فرنسا مبعوثيها إلي مصر قبل الثورة الفرنسية، لدراسة موقع مصر وثغورها، واستطلاع إمكانية الاستيلاء علي مصر، وإحالتها إلي مستعمرة فرنسية ..

يذكر كرستوفر هيرولد مؤلف كتاب بونابرت في مصر أن سانت برست

سفير فرنسا في الآستانة، طالب لويس السادس عشر بفتح مصر، فأرسل البارون دتوت de tout في مهمة سرية لشرق البحر المتوسط، وأبحر إلي الإسكندرية في صحبة العالم الطبيعي سونيني علي ظهر الفرقاطة أطلانطك وواصل رحلته إلي رشيد في قارب بعث به إلي شيخ البلد إبراهيم بك، وفي مصر بدأ دتوت مهمته، فعهد إلي فرنسي يدعي لالون بمهمة التجسس علي السويس وساحل الدلتا، فقام لالون بمهمته خير قيام وكتب دتوت تقريره لوزير البحرية الفرنسية، أكد فيه أن الاستيلاء علي مصر لن يكون إلا احتلالا سلميا لبلد أعزل وأنه يري إذاعة منشور يطمئن الأهالي إلي أن الفرنسيين قدموا بوصفهم أصدقاء وحلفاء للسلطان، ومحررين لهم من ربقة المماليك ..

## الدور الحضاري للحملة الفرنسية !!

يؤرخ الشيخ الجبرتي لسنة قدوم الحملة الفرنسية إلي مصر ١٢١٣هـ . – ١٧٩٨م. فيقول: هي أولي سني الملاحم العظيمة والحوادث الجسيمة والوقائع النازلة والنوازل الهائلة، وتضاعف الشرور، وترادف الأمور، وتوالي المحن واختلال الزمن وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتتابع الأهوال واختلاف الأحوال وفساد التدبير وحصول التدمير وعموم الخراب وتواتر الأسباب ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾هود:١١٧ ..

جاءت الحملة الفرنسية تضرب العالم الإسلامي في قلبه، وتختار من القلب العربي أرض الكنانة ومركز الثقل فيه مصر، وأفاق الشرق الإسلامي بعد غيبوبة طالت أكثر من ستة قرون، منذ أن طرد آخر الفرنجة من ساحل الشام، ومنذ أن أسر ملك الفرنجة في المنصورة، ومنذ أن جاء الإعصار التركي يجتاح أوروبا ويحرر القسطنطينية ويدق أسوار فيينا .. أفاق الشرق العربي الإسلامي المنتشي بسلافة أجداده، والنائم علي هذه الأمجاد علي إعصار جارف قادم من أوروبا، يخترق الجسد الإسلامي ويزلزل كيانه ..

مارس الحكم الفرنسي في مصر والشام أبشع أساليب التنكيل والتعذيب والبربرية ..

## الرفض الشامل للوجود الصليبي:

رفضت مصر بكل طبقاتها الغزو النابليوني، وسجل شعب مصر أروع مقاومة سجلها تاريخ القرن التاسع عشر كله للغزو الاستعماري الغربي .. في القري شن الفلاحون أول حرب فلاحين في تاريخ الشرق .. في شمال الدلتا قاوم " حسن طوبار " – صاحب الأراضي الواسعة ومصانع النسيج والصباغة والمتاجر الكثيرة – ببسالة منقطعة النظير .. كان يجوب البلاد بنفسه يحرض الأهالي علي الثورة، ويرسل رسله لتنظيم المقاومة ضد الفرنسيين في بحر أشمون وبحيرة المنزلة، وكان له أسطولا كبيرا هاجم به الفرنسيين علي شطوط دمياط .. في القاهرة قاتل المصريون في حرب شوارع، أذهلت نابليون دفاعا عن دينهم، ووجودهم، وكيانهم، وعن مصالحهم .

يسجل تاريخ الحملة الفرنسية في مصر يوميا مدي المقاومة الباسلة التي بذلها الفلاحون المصريون والعامة في المدن والنخبة الوطنية ممثلة في الشيوخ والتجار والأعيان مدي المقاومة الباسلة التي بذلوها ضد استقرار الجيش الفرنسي، ولإفساد رسالة نابليون ..

يقول هيرولد: " كان الإسلام بالطبع هو الحائل الأكبر دون تحقيق ما جاءت إليه الحملة " كانت الجماهير تقاتل عن دينها باعتباره يمثل وجودها وكيانها وسيادتها فوق أرضها، وحقها في اكتشاف طريقها للخروج من التخلف، ولبناء قوتها المادية المستقلة .. عمت المقاومة ضد الغزاة في البر والبحر كل أنحاء البلاد، في كل قرية علي جانبي النهر وفروعه، سجلت صفحات بطولية استشهادية في مقاومة المحتل الفرنسي .. قدمت الشهداء والشهيدات بلا حدود .. كانت المعارك أشبه بمذابح فتكت فيها نيران المدافع والبنادق بجموع الأهالي المزودين بالأسلحة القديمة .. كانت روح الاستشهاد روح العقيدة .. روح الجهاد .. الأناشيد الدينية في كل مكان علي أرض مصر بصورة أذهلت قادة الحملة الفرنسية، كما هو مبين في مذكرات جنودها وضباطها .. لم تكن الأمة قد تم تغريبها بعد ولا تجريدها من روح العقيدة والجهاد .. كانت مصر لم تزل بكرا لم تلوثها أمراض التحديث الكاذب الذي جاء به محمد علي وأولاده وعملية

التغريب الواسعة، التي أتت بثمارها في إضعاف الروح الوطنية المقاومة للوجود الغربي فيما بعد .. كانت المقاومة الإسلامية عامة، والرفض شاملا للوجود الأجنبي الصليبي.

## الجنرال ديزية وغلام القرية:

من صور المقاومة المصرية للحملة الفرنسية في صعيد مصر، التي رواها المؤرخون الغربيون وبعض المصريين، أن غلاما من قرية الفقاعي إحدي قري مركز ببا ببني سويف بالصعيد كان يسرق بنادق الجيش الفرنسي، وضبط وجيء به، فرفض الاعتراف علي محرضيه، وتحمل الضرب والتعذيب بصبر عجيب !!

تقول الرواية: تقدم أحد غلمان القرية وتغفل جنود الجنرال ديزيه، كما تغفل جواسيسه واستولي علي بنادقهم، وحدث أن رآه أحد الجنود فتعقبه وهو يحمل بندقيته إلي أن أدركه وضربه بالسيف علي ذراعه وساقه جريحا إلي الجنرال ديزيه للاقتصاص منه !!

تقول المصادر الفرنسية التي سجلت الواقعة أن الغلام أذهل قادة جيش الاحتلال .. غلام لم تتجاوز سنه الثانية عشر عاري الجسد تقريبا، حافي القدمين علي بعد مئات الأميال من الشاطيء الأوربي، جريحا مضروبا بالسيف في ذراعه وساقه، يمسك به جندي فرنسي وسط معسكر كامل من المقاتلين المسلحين بأسلحة أوروبا الحديثة ! سأله الجنرال عمن حرضه علي فعلته وارتكاب هذا العمل، أجاب الغلام برباطة جأش، ناظرا إلي السماء: إن الله القادر علي كل شيء قد أمره بذلك، فكرر السؤال عليه عمن حرضه، فقال : لم يحرضني أحد وإنما ألهمني الله أن أفعل ما فعلت، ثم رفع رأسه ونظر إليه وقال في هدوء وثبات: دونك رأسي فاقطعوه، فدهش الجنرال من شجاعته، واكتفي بأن يجلد بالسوط ثلاثين !!

وجلد الغلام دون أن يتأوه أو يتململ حتي استوفي الثلاثين سوطا !!

قص الجنرال بليار قصة هذا الغلام في يومياته ..

كان تاريخ الحملة الفرنسية في الريف المصري من الدلتا إلي الشلال سلسلة متصلة شبه يومية من أعمال القمع والإبادة والنهب والتنكيل الوحشي، يقوم بها جيش الاحتلال، وثورة دائمة ومقاومة متزايدة باستمرار من الفلاحين المصريين، يعاونهم أبناء البلاد العربية والإسلامية من شبه الجزيرة العربية، وشمال أفريقيا من بلاد المغرب، ومن سوريا من بلاد الشام ..

كتب جنرالات الحملة في مذكراتهم:

كتب الجنرال مينو إلي كليبر يقول: لقد قمت اليوم بجولة لمعاقبة قرية قتلت بعض الفرنسيين، فأحرقت القرية وقتلت تسعة من الأهالي، وسيعتبرون بهذا الدرس، كما يعتبر بأهالي وادي النيل .. عندما ثار الفلاحون في الدلتا واستطاعوا تحرير دمنهور كان الانتقام : أن دمنهور زالت من الوجود، وأن قد أحرق أو ضرب بالنار ألف ومئتان إلي ألف وخمسمائة من أهلها .. بينما كان الجنود ينهبون القرية، وكان صياح الأهالي وبكاء النساء ونحيبهم يصم الآذان صادرنا بعض المواشي التي وجدناها في طريقنا ..

إن فرقتنا لم تكن تعمل سوي إتمام خراب القري التي كان يمر به الجيش، لأن الفرق التي تقدمتنا لم تترك فيها ما لا يمكن حمله أو تخريبه .. وفي بعض الأحيان كنا نري النار مشتعلة في الغيطان قبل حضورنا بحيث لم تكن نعرف كيف نحصل علي ما يلزم من التبن والشعير لخيولنا ..

كانت تعليمات نابليون تتضمن: أن يأخذ أهل دمنهور أخذا شديدا بمسلكهم إزاء كتيبة الجنرال ديموي وتجريد الأهالي من السلاح وإعدام خمسة من الأعيان في المدينة منهم وأحد العلماء ممن اشتركوا في الواقعة والأربعة الآخرين من المحرضين ..

لقد أغلظوا العقاب للقري بصرامة وقسوة ..

بعد أن احتل الجنود دمنهور قتلوا من صادفوه .. أحرقوا مساكنهم بالنار .. قتلوا الشيوخ والنساء والأطفال بحد السيف، وفي اليوم التالي كانت دمنهور ركاما من الأحجار السوداء اختلطت بها أشلاء الجثث ودماء القتلي .. مثل هذا

حدث في دمياط والمنصورة وطنطا والمنوفية وأبوزعبل والخانكة وميت غمر والشرقية في الدلتا ، وبني سويف وأسيوط وجرجا وأسوان في الصعيد ..

**خيول نابليون تدنس الأزهر الشريف:**

سجل التاريخ لشيوخ الأزهر وعلمائه مكانة بارزة، كمركز قيادة للأمة، والمعبر عن إراداتها، والقادر وحده علي تحريكها ..

كانت الناس تتحرك وتطلب من شيوخ الأزهر قيادة احتجاجها ومواجهة الحكام، لإعادة الأمور إلي نصابها، وكانت قدرة علماء الأزهر وقوتهم هائلة في تحريك جماهير الناس إلي حدة إصابة البلاد بشلل تام، إما بالتوقف عن الإنتاج، والتوقف عن ممارسة شعائر الدين، أو حتي بقيادة المقاومة المسلحة ..

بعد معركة امبابة، ودخول نابليون القاهرة، قادها شيوخ الأزهر الكبار من داخل مجالس نابليون، وتشكيلاته الإدارية التي أقامها لحكم البلاد، أما الشيوخ الصغار فقد قاموا بتنظيم الحركات السرية التي أتت ثمارها باغتيال الجنرال كليبر .. لم يدع الأزهر نابليون يهنأ بالاستقرار في مصر، بعد أن قاد شيوخه ثورتين كانتا من أهم الثورات التي عرفها الشرق حينئذ .. مقاومة لم تهدأ، لم يبت جيش الاحتلال ليلة هادئة طوال السنوات الأولي ..

لهذا بدأ نابليون يصب نيران الثورة الفرنسية علي الأزهر .. كان حقده علي الأزهر كبيرا، تمثل في التركيز علي سحقه مسجدا وجامعة، ومجاورين، ومشايخ، ونفوذا ..

في ثورة القاهرة الأولي ١٧٩٨م. بدأ ضرب الأزهر بالقنابل حوالي الظهر واستمر حتي المساء، وأصدر بونابرته أوامره بإبادة كل من في الجامع، ثم أصدر بيانات ضد الثورة باسم العلماء، تحض الناس علي السكينة والهدوء .. يقول الشيخ الجبرتي:

كانت الجبهة الوطنية واحدة .. الشيوخ الصغار يقودون الجماهير المقاتلة، والمؤذنون ينادون بالجهاد، وكان الشيوخ الكبار يتسترون علي الحركة،

ويكتمون أخبارها عن نابليون ويسعون في الهدنة إذا ما بدا أن الثورة ستتحول إلي مذبحة، وتبين أن الاستمرار في القتال في هذه المرحلة يعني الانتحار .. "

كان المصريون يواجهون بأسلحة تقليدية .. بقايا أسلحة القرون الوسطي أمام مدفعية الحضارة الغربية الحديثة!!

كانت المرة الأولي التي امتهن فيها الأزهر – رمز سيادة الأمة، ومركز قيادتها – في تاريخ مصر حين دخلت جيوش نابليون بخيولها صحن الأزهر الشريف في أكتوبر عام ١٧٩٨م. وأعمل الجند سيوفهم في طلابه وشيوخه، ونهبوا الكتب، ومزقوا كتاب الله، واتخذوا من المسجد اسطبلا للخيل ..

يقول الجبرتي:

" دخل الجنود الأزهر وهم راكبون الخيول، وبينهم المشاة كالوعول وتفرقوا بصحنه ومقصورته وربطوا خيولهم بقبلته، وعاثوا بالأروقة والحارات، وكسروا القناديل والسهارات وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة، ونهبوا ما وجدوا من المتاع والأواني والقصاع والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات، ودشتوا الكتب والمصاحف، وعلي الأرض طرحوها وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وأحدثوا وتغوطوا، وبالوا وتمخطوا وشربوا الشراب وكسروا أوانيه وألقوها بصحنه ونواحيه، وكل من صادفوه به عروه، ومن ثيابه أخرجوه .. "

كانت هذه هي أول مرة في التاريخ يقتحم فيها الأزهر علي هذا النحو، وتهدر كرامته بهذا الأسلوب البربري الوحشي، الذي لا يشبهه إلا الاحتلال الصليبي لبيت المقدس في القرن الحادي عشر .. ولا يفوقه إلا احراق الاحتلال الصهيوني للمسجد الأقصي في القرن العشرين ..

وتكرر نفس الفعلة من الإنجليز في ١١ من ديسمبر عام ١٩١٩م ربيع الأول ١٣٣٨هـ فيقتحم الجنود الإنجليز الجامع الأزهر ويدخلوه بنعالهم وأسلحتهم مطاردين للمتظاهرين واعتدوا علي من صادقوه بالضرب والإيذاء فحدث هرج ومرج في الجامع واقتحم الجنود مكاتب الإدارة وحاولوا كسر

الأبواب ففزع الموظفون، وحدثت ضجة داخل الجامع وخارجه [١]..

كان الأزهر مركز قيادة الأمة المصرية، ورمز عزتها وسيادتها .. واقتحامه وإهانته علي هذا النحو هو إهانة الأمة، أو إعلان لهزيمتها ..

أمر نابليون بالاقتصاص من الثوار بقطع رؤوسهم ليلا، وإلقاء جثثهم في النهر .. أعدم ثمانين عضوا من ديوان الدفاع الذي تزعم الثورة، وتم قطع رؤوس ستة من المشايخ الذين اتهموا بقيادة الثورة، وكانت هذه هي أول مرة يعدم فيها مشايخ الأزهر كالمجرمين، وأول مرة يتجرأ فيها حاكم علي إعدام قادة الأمة .

كتب نابليون لرينيه يقول: في كل ليلة نقطع نحو ثلاثين رأسا أكثرها لزعماء الثورة، وفي اعتقادي أن هذا سيعلمهم درسا نافعا "

وكتب سكرتير نابليون الخاص في مذكراته: " سيق المسجونون إلي القلعة، وكنت أتولي في مساء كل يوم كتابة الأوامر القاضية بإعدام اثني عشر سجينا كل ليلة، وكانت جثث القتلي توضع في زكائب، وتغرق في النيل، واستمر ذلك ليالي عديدة، وكان كثير من النساء ممن نفذ فيهن أحكام الإعدام الليلية !!

يعترف أحد ضباط الحملة الفرنسية علي استخدام العنف بوحشية فيقول: حين دحر المدافعون علي جميع الجوانب، واحتموا بإلههم ورسولهم فملأوا الجوامع، ذبح الرجال والنساء والكبار والصغار وحتي الأطفال عن بكرة أبيهم . وبعد أربع ساعات هدأت ثورة جنودنا في النهاية ..

يقول ضابط آخر: ظننا أن المدينة استسلمت وأشد ما أدهشنا أن ينهال علينا رصاص البنادق ونحن نمر أمام أحد المساجد .. فأمرنا قائد اتفق وجوده هناك أن نقتحم باب المسجد ولا نبقي علي أحد وهكذا هلك الرجال والنساء والأطفال بحد السونكي ..

حين رفضت قرية مصرية إمداد الفرنسيين بالبضائع، التي طلبوها فماذا حدث ؟ ضرب أهلها بحد السيف !!

---

(١) عبد الرحمن الرافعي – ثورة ١٩١٩م – دار الشعب – القاهرة

يقول الجندي فرانسوا في رسالة إلي أهله: أحرقت بالنار وذبح وأحرق ٩٠٠ رجل وامرأة وطفل ليكونوا عبرة لشعب همجي نصف متوحش ..

وتستطرد روايات الجنود إلي أهاليهم فيها القتل والحرق والاغتيال للمئات كل ليلة .. كان ذلك بأوامر من بونابرت ونوابه .. يروي الجندي بيروس في رسالة لأمه يبين فيها كيف اغتيل الجندى العربي بعد أن استسلم وبعد أن وعد ٣٠٠٠ بالعفو التام، وألقوا سلاحهم وسيقوا حين اقتيد عدد هائل منهم إلي الشواطئ وقتلوا رميا بالرصاص وكان قد تم تجويعهم قبل ذلك، متشبسين بأمل الحياة ولكن سرعان ما خاب رجاؤهم .. لقد صدرت التعليمات للجنود بألا يسرفوا بالذخيرة فبلغت بهم الوحشية أن اعملوا فيهم الطعن بالسونكي !!

ويعلق الدكتور مصطفي عبد الغني في كتابه "حقيقة الغرب " قائلا:

إنها الحضارة الغربية المتوحشة في نهاية القرن الثامن عشر، وهي هي الحضارة التي تتغير مسمياتها بين صهيوني أو صربي أو أمريكي .. إنهم جنود الحضارة الغربية .. إنها حضارة الغرب !! إنها حضارة السونكي والخازوق !!

## محاكمة سليمان الحلبي " المجاهد المسلم "

نجح التنظيم - الذي دبر ثورة القاهرة الأولي، وأعدم منه نابليون ثمانين من قادته، وكان من بينهم عدد من النساء - أن يجدد نفسه ويعد السلاح، ويدبر اتصالات سريه، ويقود ثورة القاهرة الثانية المجيدة ، ويشرف علي قيادتها خمسة أسابيع ينجز خلالها ما أدهش العدو، وأذهل المؤرخين ..

استطاع هذا التنظيم أن يوجه ضربة رائعة في هدفها وإحكامها في يوم السبت الحادي والعشرين من المحرم عام ١٢١٥م. ١ يونيو عام ١٨٠٠م. بتنفيذ أغتيال القائد العام لقوات الاحتلال الجنرال " كليبر " في عملية تميزت بضآلة خسائرها بالنسبة للتنظيم الثوري الذي نفذها حيث لم تسقط منه سوي الخلية التي باشرت تنفيذ العملية، ولم يصل التحقيق الوحشي لأي طرف خارج هذه الخلية .

هذه العملية أعدتها إحدي خلايا التنظيم في الأزهر، ونفذتها رغم كل

الدلائل التي تدل علي أن الفرنسيين كانوا قد أقاموا جهاز مخابرات علي درجة عاليه من الكفاءة يسهم فيه المعلم يعقوب وعدد كبير من العملاء بنصيب كبير ..

بعد أن نجح كليبر في إخماد ثورة القاهرة بأسلوبه الخسيس قتلا وحرقا وسبيا للنساء والبنات والغلمان .. أسلوب التنكيل والإبادة، كان لابد وأن ترد الأمة بضربة تتناسب والأسلوب الوحشي الذي مارسه كليبر، فكان رد الفعل المناسب هو إعدام كليبر علي يد شاب أزهري قادم من حلب علي رأس خلية فدائية مكونة من ثلاثة من طلبة الأزهر . . جاء ابن الشام بعد أن اعتصر الألم قلبه وهو يري جيش الاحتلال يدمر القاهرة بلد الأزهر الشريف العاصمة الثقافية للعالم الإسلامي .. بعد أن رأي بناتها تسبي، ويجوع أهلها إلي حد الموت، وتفرض الغرامات المالية المدمرة .. بعد أن رأي الشيخ السادات وهو يضرب في حضور زوجته من جنرال الحملة كليبر .. ورأي غير ذلك مما تشيب له الولدان ..

نفذت الخلية الفدائية المهمة التي أنيطت بها بنجاح باهر، ثم احتفظت بسر التنظيم، ورغم التعذيب الوحشي كانت اعترافاتها في أضيق الحدود لصلابة عقيدتها، ونجاح تربيتها التنظيمية .. كان سليمان الحلبي الذي قتل كليبر فتي عمره في الرابعة والعشرين، نموذجا للمجاهد المسلم الذي وهب نفسه للقتال ضد الاستعمارية الغربية ..

### العدالة الفرنسية وسليمان الحلبي

يقول الشيخ الجبرتي: اقترح ممثل العدالة الفرنسية: " أن عظمة الإثم تستدعي أن يصير عذاب مهين، وأنه يستحق الخوزقة، وأنه قبل كل شيء تحترق يد ذا الرجل الأثيم، وأنه هو يموت بعذابه ويبقي جسده مأكول الطيور "

استجابت المحكمة المشكلة من زهرة أبناء فرنسا .. فرنسا الحرية والمساواة والإخاء، والمباديء الديمقراطية والليبرالية .. استجابت لمطالب الادعاء كاملة، فقضت بحرق يد سليمان اليمني، وبعده يتخوزق ويبقي علي الخازوق لحين تأكل رمته الطيور أمام أهل البلد وقدام كامل المعسكر وأهل البلد الموجودين في المشهد "

أما بقية أفراد الخلية فكان حكم العدالة الفرنسية، هو: " قطع رؤوسهم وتوضع عل نبابيت، وجسمهم يحرق بالنار، ويكون ذلك قدام سليمان الحلبي قبل أن يجري فيه شيء "

وطبع الحكم بثلاث لغات التركية والعربية والفرنساوية ونفذته اليد الآثمة .. وكانت هذه أول محكمة تشكل علي الأسس القانونية الحديثة في مصر، وأول خازوق ترفرف عليه راية الثورة الفرنسية، وأول محاكمة تغطي بالخزي والعار تاريخ الحضارة الغربية ..

ويسجل الجبرتي بشاعة الجند الفرنساوية، وما ارتكبوه من مآسي فور سماعهم بنبأ مقتل كليبر في قولهم: قتلنا بسيوفناوخناجرنا جميع من صادفنا من الرجال والأطفال والنساء .. قتلوهم بلا مناقشة وبلا محاكمة .. قتلوا أطفال لا شبهة في براءتهم !! ..بعد أن أجلسوا شهيد الإسلام علي الخازوق، وبعد أن أحرقوا ذراعه اليمني وهو حي !! وهي متصلة بجسمه !! طلب شربة ماء، ولكن أحرار أوروبا وبناة الحضارة الحديثة رفضوا ومنعوا عنه الماء ليبقي ينزف وتتمزق أحشاؤه أطول مدة ممكنة .. رجا سليمان جنديا فرنسيا أن يعطيه شربة ماء .. تركوه يصلي علي دقات موسيقي الجيش الفرنسي .. تركوا راية الحرية والمساواة والإخاء ترفرف فوق رأسه لتشهد علي وحشية أعداء الأمة ودمويتهم !!

في الساحة التي تم فيها حرق يده وتثبيته علي الخازوق، وقف ضابط فرنسي كان شاهد عيان عما حدث، وقال بالحرف الواحد، مما هو مسجل في الوثائق الفرنسية عن سليمان الحلبي: .. بطح أرضا وشق شرجه وأدخل فيه الخازوق وربطوا ساقيه وفخذيه ويديه وجسمه.. ودفع الخازوق .. وهو ثابت..

## حيثيات الحكم علي سليمان الحلبي ووضعه علي الخازوق

" **باسم الشعب الفرنسي ..**

في يوم ٢٧ أبريل من السنة الثامنة للجمهورية الفرنسية، في المنزل الذي يشغله الجنرال رينيه، اجتمع بناء علي قرار الجنرال مينو قائد جيش الشرق بالنيابة والذي صدر البارحة .. جاء فيه:

أحضر المتهمون .. **سليمان الحلبي** ٢٤سنة، مقيم في حلب ومتهم باغتيال القائد العام كليبر، **سعيد عبد القادر الغزي** - مقريء القرآن في الجامع الأكبر المسمي بالأزهر، مولود في غزة ومقيم بالقاهرة، متهم بالاشتراك في الجريمة بأنه كان يعلم بمشروع اغتيال القائد الأعلي ولم يبلغ عنه، وهرب بعد ذلك، **محمد الغزي** ٢٥سنة، مقريء في الجامع الأكبر متهم بأنه كان يعلم بسرية اغتيال القائد العام، وقد علم به في الوقت الذي كان فيه القاتل في طريقه للتنفيذ ولم يبلغ عنه، **وعبد الله الغزي** ٣٥سنة مولود في غزة مقريء في الجامع الأكبر متهم بائتمانه علي السر الخاص بمشروع اغتيال القائد العام ولم يبلغ عنه، **ومحمد أفندي** ٨١ سنة من مواليد بورصة متهم بالاشتراك في الجريمة ..

طلب مندوب السلطة التنفيذية تطبيق العقوبة علي المتهمين المذكورين أعلاه والذين ثبت أنهم مذنبون، وأخذت الأصوات علي نوع العقاب الذي يناسب كل مذنب، وتليت المادة الخامسة من قرار الجنرال مينو وهي: علي اللجنة تطبيق نوع العذاب الذي تراه مناسبا لمعاقبة المجرم الذي قام بالاغتيال وشركائه ..

اختارت بالإجماع نوعا من العذاب يستخدم في البلاد بالنسبة للمجرمين الكبار، ويناسب فداحة الجرم، ولهذا فقد حكمت علي سليمان الحلبي بأن يحرق معصم يده اليمني، ثم يغرس في مؤخرته وتد ليخرق أمعائه، ثم يترك وحيدا وبه الوتد إلي أن تأتي الغربان والطيور الجارحة لتنهش جسده، وينفذ هذا الحكم بالإعدام علي تل حصن المجمع فور دفن القائد العام كليبر، أمام جنود الجيش وسكان القاهرة المتجمعين لتشييع الجنازة ..

وقد حكمت غيابيا بالإعدام علي سعيد عبد القادر الغزي وبمصادرة أمواله لصالح الجمهورية الفرنسية علي أن تعلق وثيقة الحكم علي الصاري المخصص لتعليق رأسه به، وحكمت علي محمد الغزي وعبد الله الغزي وأحمد الوالي بقطع رؤوسهم وعرضها في مكان الإعدام، ثم تحرق أجسادهم علي أكوام من الحطب تعد خصيصا لهذا الغرض في المكان نفسه، وينفذ حكم الإعدام في المذنبين بالترتيب التالي:

عبد الغزي، أحمد الوالي، محمد الغزي، ثم سليمان الحلبي ..

يطبع هذا الحكم باللغات التركية والعربية والفرنسية، وعلي المقرر العمل علي تنفيذ هذا الحكم بأسرع ما يمكن .. صدر في القاهرة في اليوم والشهر والسنة عاليه وقد وقعه جميع أعضاء اللجنة وكاتب المحكمة .. "[١]..

هذه هي حقيقة الآخر ووجهه القبيح، الذي استخدم أبشع آلات التعذيب، وما يزال !!

يقول بلانت، إبان الاحتلال البريطاني لمصر: .. بموجب مرسوم ١٨٩٥م يمكن الحكم بالموت علي أي مصري وإعدامه صلبا أو علي الخازوق لمجرد أنه امتعض من اعتداء جندي بريطاني علي عرض زوجته أو أنه حال دون ذلك ..!!

ويعترف نعوم شومسكي في كتابه " ماذا يريد العم سام " what uncle sam really wants": .. إنه يستخدم وسائل العنف من تهشيم الأطفال الرضع، أو تعليق النساء من أقدامهن، وقطع أثدائهن، وسلخ جلودهن أو قطع رؤوس الضحايا – يضيف – ووضعهم علي خازوق .. ألا لعنة الله علي الظالمين .. واللعنة كل اللعنة علي الذين يزورون التاريخ !!

## السلوك البربري للحضارة الغربية

فتح جنود الحملة الفرنسية يافا بنفس الأسلوب البربري الوحشي الذي تم به فتح القدس منذ ثمانية قرون من قبل الصلبيين !!

---

(١) إرجع إن شئت إلي د. مصطفي عبد الغني – حقيقة الغرب

تصف المراجع الفرنسية سلوك الحضارة الغربية فتقول:

" وحالما استولي هؤلاء الجنود البواسل علي المدينة ودخلوها أعملوا السيف في نحو ٢٠٠٠ جندي من الحامية، كانوا يحاولون التسليم، وراح الفرنسيون يقتلون أعداءهم كالمجانين طوال ذلك المساء كله والليل كله، وفي صباح الغد، فالرجال والنساء والأطفال والمسيحيون والمسلمون، وكل من له وجه إنسان سقط صريع جنودهم .."

" في يافا كان النهب والسلب وشق البطون وهتك أعراض البنات، وهن مازلن في أحضان أمهاتهن المائتات "

" بدأت المذبحة باثنين من جنرالات بونابرت أرسلهما إلي يافا ليريا ما الذي يمكن عمله لإعادة النظام إلي المدينة، فناداهما الجنود الترك من نوافذ القلعة معلنين أنهما علي استعداد للتسليم إذا وعدوا بأن يعاملوا كما عومل بقية أهل يافا، فأعطي الفرنسيان لهم تأكيدات شفهية بأن رجال الحملة لن يقتلوا، وعلي هذا الوعد خرج جنود الحملة، وسلموا سلاحهم، فلما رآهم نابليون أمر بذبح الثلاثة آلاف الأسري العزل الذين منحوا أمانا باسم الشرف الفرنسي !!

كتب الميجور de trowa كشف حساب جاء فيه:

" ونفذ الإعدام بدقة تامة، في ٧مارس مات أثناء الهجوم أكثر من ٢٠٠٠ تركي وفي ٨ من مارس رمي بالرصاص ٨٠٠ تركي، وفي ٩ من مارس رمي بالرصاص ٦٠٠ تركي، وفي ١٠ من مارس رمي بالرصاص ١٠٤١ تركيا، تكون الجملة ٤٤٤١ تركيا !!

وكتب المواطن biros إلي أمه يصف المذبحة المروعة ويستنكرها:

إن قيام الجنود الحانقين بعد اقتحام المدينة والاستيلاء عليها عنوة بأعمال السلب والنهب والحرق والتقتيل كيفما اتفق أمر تقتضيه قوانين الحرب والإنسانية تسدل قناعا علي هذه الوظائف، ولكن صدور الأمر بعد انقضاء يومين أو ثلاثة علي الهجوم وبعد أن تهدأ ثورة الغضب في وحشية هادئة يقتل ٣٠٠٠ رجل

استسلموا لنا بسلامة نية !! تلك جريمة بشعة ستشجبها الأجيال القادمة ما في ذلك ريب .... إن نحو ٣٠٠٠ رجل ألقوا سلاحهم فسيقوا علي الفور إلي معسكرنا، وفصل عنهم بأمر القائد الأعلي المصريون والمغاربة ..

وفي صباح اليوم التالي، أخذ المغاربة جميعهم إلي شاطيء البحر وبدأت كتيبتان في رميهم بالرصاص، وكان أملهم الوحيد في النجاة هو أن يلقوا بأنفسهم في البحر، فلم يترددوا وحاولوا كلهم الهرب سياحة فضربوا بالرصاص علي مهل ولم تمض لحظة حتي اصطبغ ماء البحر بدمائهم وانتشرت جثثهم علي سطحه، وأسعد الحظ نفرا قليلا فوصلوا إلي بعض الصخور ولكن الأوامر صدرت للجنود باقتفاء الأثر في قوارب والإجهاز عليهم ..

أما وقد تم إعدام هؤلاء الرجال فقد رجونا صادقين ألا تتكرر هذه الجريمة، وأن يعفي الأسري الباقون من القتل، ولكن سرعان ما خاب رجاؤنا حين اقتيد ١٢٠٠ تركي في اليوم التالي ليعدموا وكانوا قد جوعوا يومين أمام خيمة الجنرال بونابرت، وصدرت التعليمات المشددة للجنود بألا يسرفوا في الذخيرة، فبلغت بهم الوحشية أن أعملوا فيهم الطعن بالسنكي، وقد وجدنا بين الضحايا أطفالا كثيرين تشبثوا – وهم يموتون – بآبائهم وسيعلم هذا المثال أعداءنا أنهم لا يستطيعون الركون إلي صدق نية الفرنسيين وسيقع دم هؤلاء الآلاف الثلاثة الضحايا علي رؤسنا عاجلا أم آجلا "

" وفي ٨ من مارس اليوم الثاني من أيام المذبحة، أرسل الله الذي من عنده تأتي جميع الطيبات الطاعون علي الجيش الفرنسي وصبه علي رؤوسهم بسخاء "

**سماحة الإسلام والمسلمين:**

تقول د. سيجريد هونكه في – الله ليس كذلك – دار الشروق – القاهرة:

عبر التاريخ الإنساني تعارفت الديانات السماوية والقوانين الوضعية علي احترام العهود وتقديس عقود الأمان وخاصة للأسري الذين يعانون وطأة الهزيمة والاستضعاف، ولكن الغرب احترف نقض العهود التي قطعها للأسري المسلمين وذبحهم رغم ما أعطي لهم من عهود الأمان !!

وتقول: فعلي العكس من المسلمين الذين شملوا أسري الصليبين بمروءتهم وأسبغوا عليهم من الجود والرحمة ما صار مضرب الأمثال في التخلق بروح الفروسية العالية .. لم تعرف الفروسية النصرانية أي التزام أخلاقي تجاه كلمة الشرف أو الأسري فالملك ريتشارد قلب الأسد الذي أقسم بشرف الثلاثة آلاف أسير عربي أن حياتهم آمنة، وإذ هو فجأة ينقلب عليهم فيأمر بذبحهم جميعا .

يقول د. عماد الدين خليل:

في أعقاب فتح حنين ٧هـ وضع الفاتحون أيديهم علي ملفات من أسفار العهد القديم جاءوا بها إلي رسول الله ﷺ كان بمقدوره وهو المنتصر علي فئة ما وجدت فرصة إلا سخرتها لتدمير الإسلام والمسلمين والقضاء علي رسولهم ودولتهم .. ماذا فعل رسول الله ﷺ ؟ أعاد إلي اليهود أسفارهم دون أن يمسها بأذي ..

إنها سماحة الإسلام ونبي الإسلام والمسلمين وتفوقه علي كل إغراءات التعصب فيما لم يفعله النصرانية في تاريخها وهي تكتسح خصومها ..

أيام محاكم التفتيش بعد انتصار فرديناند وإيزابيلا وسقوط غرناطة، ماذا فعلت محاكم التفتيش والكنيسة الكاثوليكية في الساحة الأندلسية إزاء التراث الإسلامي ؟ كانوا يأمرون بجمع هذا التراث ويركمونه في الساحات في قرطبة وإشبيلية وطليطلة وغرناطة ويشعلون فيها النار !!

في عصر الخلفاء الراشدين ﷺ كانت قوات الفتح تنطلق إلي جبهات القتال تحمل أوامر صارمة من خليفة رسول الله بألا تغدر أو تحرق أو تخرب، وبأنها ستمر علي رهبان قد انعزلوا في صوامعهم فلا تروعهم أو تعتدي عليهم .. أوامر حذرتها من قتل المسالمين وإرهاب النساء والشيوخ والأطفال .. حذرتها من قطع الأشجار وإتلاف الزرع والضرع ..

إنه قتال تضبطه قيم الدين الآتي من عند الله أمام الممارسات اللاأخلاقية اللاإنسانية .. ما فعلته أمريكا في اليابان بعد أن أدركت أنها قادرة لإدامة الحرب العالمية عدة سنوات بسبب إمكاناتها القتالية والتكوين الأرخبيلي لمستعمراتها مما كان منها إلا أن ضربت بالقنبلة الذرية هيروشيما ونجازاكي ..

وغير ذلك كثير .. اقرؤوا وقائع وأحداث التاريخ الحديث والمعاصر ..

**الحملة الفرنسية ومزاعم تحرير المرأة المصرية:**

زعم البعض أن الحملة الفرنسية حين جاءت إلي مصر جاءت ومعها أفكار الثورة الفرنسية عن تحرير المرأة، وأنها روجت بين المصريين لهذه المباديء ما استطاعت إلي ذلك سبيلا، وأن عام ١٨٠٠م كان عام تحرير المرأة.

وصف الشيخ الجبرتي عام ١٨٠٠م. بأنه كان بدايات حركة السفور، وعام سبي جنود الاحتلال لنساء مصر وبناتها، وعام تحول الأسافل والفواجر من النساء إلي بغايا .. كانت نظرة جنود الحملة إلي المرأة كوسيلة للتفريغ الجنسي والترفيه وحفظ معنويات الجند . وهذا ما دعا نابليون إلي استقدام ٣٠٠ امرأة من البغايا مع الحملة، وأن يكون أول قائمة بالطلبات التي أرسلها إلي فرنسا فور احتلال القاهرة هو إرسال مائة أخري منهن ..

بعد سقوط القاهرة بعد الثورة الثانية أسر جنود الاحتلال بنات الأسر فتحولن إلي جواري وسبايا، وأجبروهن علي التحول إلي غانيات، مما أدي إلي قيام أكبر سوق للحريم والجواري عرفه تاريخ مصر .. تحولت زوجات شريفات وبنات كريمات إلي رقيق في معسكرات جيش الاحتلال .. يقول الجبرتي:

حدث هذا مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة في إخفائه، ولكن لما وقعت الفتنة الأخيرة، حاربت الفرنسيس بولاق وفتكوا بأهلها، وغنموا أموالها وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات وصرن مأسورات عندهم فزيوهن بزي نسائهم، وخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية .. الخ .

هذا ما قامت به الحملة الفرنسية من تكريم للمرأة المصرية، وهذه هي الحرية التي منحتها فرنسا الحرية والإخاء والمساواة إلي المرأة المصرية ..

قبل مجيء الحملة إلي مصر بأكثر من أربعة قرون تولي حكم مصر امرأة هي شجرة الدر، قهرت لويس التاسع ملك فرنسا، وأسرته وحبسته وأذلته

ومرغت بكرامة فرنسا في تراب المنصورة .. ليس في تاريخ فرنسا امرأة كشجرة الدر .. وهناك نماذج أخري للمرأة المصرية التي كانت علي جانب كبير من العلم والمعرفة، وروعة في الجمال وسمو العواطف، تعلمن اللغة العربية وأقبلن علي الكتب العلمية تطالعهن وتدرسهن، فارتقين بمداركهن واكتسبن احترام العلماء والبكوات المماليك واجتذبن قلوب الشعب بما اشتهرن به من البر والإحسان ورفع المظالم وحماية الضعفاء، وعظمت مكانتهن أمثال السيدة نفيسة زوجة مراد بك، التي سرت شهرتها في الأوساط الأوربية إذ عرف عنها الميل إلي تنشيط التجارة والصناعة ومعارضة بكوات المماليك في سلب أموال التجار، وقد أهدتها حكومة فرنسا قبل مجيء الحملة الفرنسية مرصعة بالماس، قدمها لها قنصل فرنسا اعترافا لها بمبراتها وخدماتها .. كانت تتبرع بإعانات شهرية لكثير من العائلات التي أخني عليها الدهر، واستمرت تؤدي هذه الإعانات حتي أيام محنتها ..

ولما جاءت الحملة الفرنسية وانهزم مراد بك في واقعة الأهرام، بقيت هي في القاهرة .. يقول الجبرتي: وبالجملة فقد كانت من الخيرات ولها علي الفقراء بر وإحسان ولها من المآثر الخان الجديد والصهريج داخل باب زويلة ..

وكل ما عرفته السيدة نفيسة المرادية من الفرنسيين هو الغرامات الفادحة التي اضطرتها علي أن تتنزل عن حليها وجواهرها ومنها ساعة مرصعة بالجواهر كان أهداها إليها القنصل " مجا لون " باسم الجمهورية الفرنسية، تقديرا لخدماتها ورعايتها، فكان اضطرارها للنزول عن هذه الهدية للفرنسيين احتجاجا شريفا منها .

يقول المنصفون من المؤرخين: لم يكن في الحملة كلها امرأة احتفظ التاريخ باسمها كما احتفظ باسم السيدة نفيسة، ولا كان في فرنسا ذاتها امرأة تتمتع بنفوذ، وتجري مفاوضات وتدير شئون السياسة كما كانت والتي لم تر من الفرنسيين إلا محصل الغرامات ..!!

ويسجل التاريخ علي لسان هيرولد الفرنسي للحملة الفرنسية موقفها من

المرأة واحترامها .. لم يتكرم جنود الحملة عند الرحيل بتحرير العبيد والجواري، بل أصروا علي بيع جواريهم وقبضوا الثمن نقدا .. ثمن بنات٩٩ من بولاق بعد أن عاشروهن سنة كاملة معاشرة الأزواج ! .. كان أهم ما يشغل الجنود الفرنسيين تصفية ممتلكاتهم وخليلاتهم من النساء وبيعهن نقدا ...

لقد اشتركت المرأة المصرية في أعمال المقاومة في الريف المصري، واشتركت في قيادة الثورة بالقاهرة علي نحو دفعت معه حياتها ثمنا لهذا الاشتراك، فأعدمت قيادة الثائرات بحد السناكي في القلعة أو أغرقن في النيل .. لم يخفن سناكي جيش نابليون واشتركن في تنظيم الثورة وقيادتها ..

يقول الرافعي: أسرف الفرنسيون في القتل بعد إخماد ثورة القاهرة الأولي، ولم تأخذهم رحمة حتي بالنساء فقتلوا كثيرا منهن، وهذا من أفظع ما سمع به من التنكيل وسفك الدماء ..

## تبرج النساء وخروجهن عن الحشمة والحياء:

يصف المؤرخ الجبرتي ما أصاب نساء القاهرة من انطلاق نتيجة مخالطة المصريين للفرنسيين ومحاكاتهم في الزي السلوك فيقول:

لما حضر الفرنسيس إلي مصر ومع البعض منهم نساؤهم كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهم حاسرات الوجوه، لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ويسدلن علي مناكبهن الطرح الكشميري والمزركشات المصبوغة، ويركبن الخيول والحمير ويسوقونها سوقا عنيفا مع الضحك والقهقهة، ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة، فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء والأسافل والفواحش فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء وبذل الأموال لهن، وكان ذلك التداخل أولا مع بعض احتشام وخشية عار ومبالغة في إخفائه، فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر، وحاربت الفرنسيس بولاق وفتكوا في أهلها، وغنموا أموالها وأخذوا ما استحسنوا من النساء والبنات وصرن مأسورات عندهم فزيوهن بزي نسائهم وأجروهن علي طريقتهن في كامل الأحوال .. خلع أكثرهن النقاب بالكلية وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر،

ولما حل بأهل البلد من الذل والهوان وسلب الأموال واجتماع الخيرات في حوزة الفرنسيس ومن والاهم وشدة رغبتهم في النساء وخضوعهم لهن وموافقة مرادهن وعدم مخالفة هواهن ولو شتمته أو ضربته بحذائها فطرحن الحشمة والحياء والوقار والمبالاة والاعتبار واستملن نظراءهن واختلسن عقولهن لميل النفوس إلي الشهوات وخصوصا عقول القاصرات، وخطب الكثير منهم بنات الأعيان وتزوجوهن رغبة في سلطانهم ونوالهم فيظهر حالة العقد الإسلام وينطق بالشهادتين لأنه ليس له عقيدة يخشي فسادها ..

ومنها أنه لما أوفي النيل أذرعه ودخل الماء إلي الخليج وجرت فيه السفن وقع عند ذلك من تبرج النساء واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهن لهم في المراكب والرقص والغناء والشرب في النهار والليل في الفوانيس والشموع الموقدة وعليهن الملابس الفاخرة والحلي والجواهر المرصعة وبصحبتهن آلات الطرب وملاحو السفن يكثرون من الهزل والمجون ويتجاوبون برفع الصوت في تحريك المجاديف بسخف موضوعاتهم وكثائف مطبوعاتهم وخصوصا إذا دبت الحشيشة في رؤوسهم وتحكمت في عقولهم فيصرخون ويطبلون ويرقصون ويزمرون ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية في غنائهم وتقليد كلامه شيء كثير ..

وأما الجواري السود فإنهن لما علمن من رغبة القوم في مطلق الأنثي ذهبن إليهم أفواجا فرادي وأزواجا فنططن الحيطان وتسلقن إليهم من الطيقان ودلوهم علي مخبآت أسيادهن وخبايا أموالهم ومتاعهم وغير ذلك .. !!

## من الممارسات الانجليزية

### تآمر الإنجليز علي الخلافة الإسلامية

كان من أهداف الإنجليز بعد احتلالهم لمصر إضعاف النفوذ التركي، وإذبال شوكة العصبية الدينية التي كان يتصورونها أكبر العقبات التي تقف في طريقهم، والتي تحول دون اطمئنان الشعب إليهم وتغلغلهم فيه، وإنشاء صلة مطمئنة مستقرة بينهم وبينه ..

سعي الإنجليز لهدم الخلافة الإسلامية، حين وقفت تؤيد وتساند كل خارج

علي الدولة العثمانية، فاحتضنت الدعوة إلي الخلافة العربية التي تزعمها الشريف حسين بن علي الهاشمي، تلك الدعوة التي تبناها ساسة بريطانيا مؤملين بها استمالة العرب، وقيامهم بالعصيان في وجه الدولة العلية، من أجل السيطرة علي مصر وبلاد العرب .

سعت بريطانيا إلي هدم دولة بني عثمان حين رأت أن بقائها يكون عقبة في طريقها لذلك رأت نقل الخلافة الإسلامية إلي أيدي رجل عربي يكون تحت وصاية الإنجليز وبمثابة آلة في أيديهم ..

كتب المستر بلانت في كتابه " مستقبل الإسلام " قبل الاحتلال الإنجليزي لمصر عام ١٨٨٢م ومبينا أغراض حكومة بلاده، وأماني الإنجليز في مستقبل الإسلام، فقال: إن هدم السلطنة العثمانية لا يضر بالمسلمين، وأن مركز الخلافة الإسلامية يجب أن يكون في مكة، وأن الخليفة في المستقبل يجب أن يكون رئيسا دينيا، لا ملكا دنيويا، أي أن الأمورالدنيوية تترك لإنجلترا لتدبر أمورها كيف تشاء ..

ثم يعقب قائلا: إن خليفة كهذا يكون بالطبع محتاجا إلي حليف ينصره ويساعده، وما ذلك الحليف إلا انجلترا !!

حرص الإنجليز علي إضعاف العصبية والرابطة الدينية، وتقطيع أوصال المسلمين حتي يستطيعوا أن يواجهوهم واحدا واحدا، فالمصريون أحفاد الفراعنة، واللبنانيون أحفاد الفينيقيين، والعراقيون أحفاد البابليين والآشوريين، والحجازيون أحفاد العرب الأمجاد، وأحق الناس بالقيام علي خلافة الإسلام الذي نبع من أرضهم المقدسة !!

كانت بريطانيا تشعر أن الدولة العثمانية قوة روحية عظيمة، رغم ما ابتليت به من كوارث ومصائب كانت قادرة علي جمع كلمة هذه الشعوب باسم الدين ضد بريطانيا وضد الدول الأوربية ..

وكان كرومر يدرك ما تنطوي عليه تعاليم الإسلام من حث علي الجهاد، وإعلاء مرتبة المجاهدين في سبيل الله، والحط من شأن القاعدين عن القتال،

والدعوة إلي الأخذ بأسباب القوة، حتي لقد وصف المسلمين بأنهم من أنصاف الهمج المحبين للحروب، الذين لا تتسع صدورهم لأي تسامح، ووصف الإسلام بأنه قد جعل فكرة الانتقام والبغض أساسا لعلاقة الإنسان بالإنسان مستشهدا علي ذلك بدعاء الخطباء في المساجد في ظهر كل جمعة علي الكفار بخراب الديار، وبالآية القرآنية ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ...﴾(محمد:٤/١٢)

عمل الإنجليز علي إخماد جذوة العاطفة الدينية الإسلامية، حين أيقنوا أنها مصدر خطر محقق، وأنها المعين الذي لا ينضب، الفياض ببغضهم والدعوة إلي قتالهم، وظلوا يتهمون المصريين بالتعصب الديني، ويكررون هذه التهمة في كل مناسبة، وفي غير مناسبة، حتي توهم المصريون أن التعلق بالدين عيب ذميم يجب ان يبرأوا منه . وظل كتابهم، وظلت صحفهم تتحدث عن التسامح وعن الإنسانية، حتي توهم بعض السذج أن من سمو الخلق وسعة الأفق ورحابة الصدر ان تحب الناس جميعا، حتي المعتدين منهم، وحتي المغتصبين الذين يحتلون ديارهم بغير حق . ولم يزالوا يحدثون المصريين عن المصلحة لينزلوا بالوطنية عن مرتبة العقيدة إلي درجة مادية تزيل عنها كل قداسة، وتجعلها سعيا وراء القوت ومحاولة لتحسين الحال [١]..

### فصل الجنوب السوداني

احتلت بريطانيا السودان بقوات مصرية، وتحت العلم المصري، وبحجة استرجاع السودان لمصر عام ١٨٩٩م، رغم تحفظ خديوي مصر والسلطان عبد الحميد تجاه عملية الاسترجاع، لأن عباس كان يري في الحملة خدمة للمصالح الإيطالية، فيما كان عبد الحميد يعترض علي استخدام جيش مسلم ضد بلد إسلامي، واعتبر المصريون انتصارات كتشنر ورفعه للعلمين المصري والبريطاني علي الخرطوم عند احتلالها ١٨٩٨م مصيبة حلت بالإسلام .. لم

---

(١) ارجع إلي د. محمد محمد حسين – الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر – ج ١ ط١٤٠٠هـ–١٩٨٠م نقلا عن الزعيم مصطفي كامل في كتابه المسألة الشرقية. ويعلق علي مقولة المستر بلانت لم يبق له إلا أن يقول يجب أن يكون خليفة المسلمين إنجليزيا !!

يكن للشعب ولا للسلطة رأي في تصفية الثورة المهدية، ولقد نفذ ذلك علي يد جيش قوامه أبناء مصر، وتحملت الخزينة المصرية المنهكة ثلثي تكاليف الحملة ضد الخليفة التعايشي ..

وبموجب الاتفاقية الأنجلو مصرية لإدارة السودان، التي وقعها كرومر وبطرس غالي، أصبح لبريطانيا الحق في اختيار حاكم للسودان، وتحكم الانجليز في صناعة القرار في السودان ..

اعتمدت بريطانيا سياسة تقوم علي أساس محاربة الإسلام والشريعة في الجنوب، مع دعم الإرساليات التبشيرية، ومؤسساتها التعليمية والصحية، والأخذ بالعرف القبلي وما يصدره الحاكم العام من القوانين والأنظمة، بالإضافة إلي إقصاء اللغة العربية، وأنماط السلوك العربية والعمل علي فرض اللغة الانجليزية والأزياء والقيم الأوربية كبديل لكل ما هو عربي وإسلامي ..

طالب كتشنر - أول حاكم عام انجليزي للسودان - عام ١٨٩٨م القوي المسيحية بوقف الزحف الإسلامي العربي في أواسط أفريقيا، مطبقا توصيات مؤتمر برلين المنعقد عام ١٨٥٥م بنشر المسيحية وتقسيم أفريقيا بين القوي الاستعمارية، وكانت الإرساليات التبشيرية قد وجدت طريقها إلي السودان في عهد محمد علي، وأتيح لها أن تمارس نشاطها بقدر غير يسير من الحرية، أسوة بما كان عليه الحال بمصر، حيث عرف محمد علي وخلفاؤه بالتساهل مع تلك الإرساليات بسبب دعم الدول الأوربية ورعايتها لها، إلي جانب التسامح الغالب بمصر والذي التزم به محمد علي، ولم يستطع التحرر منه أشد خلفائه تعصبا وانغلاقا ..

أطلقت الإدارة الانجليزية للإرساليات يدها بحرية غير محددة في المناطق الجنوبية الوثنية الاستوائية خاصة، وأوكلت مهمة التعليم في كلية غوردون التي أنشأتها عام ١٩٠٢م للإرساليات التبشيرية، وأصبحت اللغة الرسمية هي اللغة الإنجليزية ، ويوم الأحد الإجازة الأسبوعية في جنوبي السودان وكانوا ينصرون التلاميذ قبل أن يبدأوا التعليم ..

وحين تعاطف الشباب السوداني مع ثورة ١٩١٩م تعمقت المخاوف الإنجليزية من التأثيرات المصرية خاصة، والعربية الإسلامية بوجه عام، وحين تفجرت ثورة ١٩٢٤م السودانية بزعامة علي عبد اللطيف وزملائه خريجي كلية غوردون، أوصي الإنجليز بإبقاء الجنوب متحررا من التأثيرات المحمدية، وأوصوا باعتماد خط فصل يمتد من الشرق إلي الغرب، يتبع أنهر باروا والسوباط والنيل الأبيض وبحر الجبل واتفقوا علي أن الإسلام غير مرغوب فيه، ويجب ألا يحظي بأي تشجيع واتخاذ الإجراءات الإيجابية لمنع انتشاره ..

شجع الإنجليز الجنوبيين علي اتباع العرف القبلي في حل النزاعات، واخضاع المسلمين الجنوبيين للسلطات القضائية للرووساء المحليين الذين يتولون تطبيق العرف القبلي ..

سعي الإنجليز إلي فصل الجنوب السوداني عن شماله بإصدار القوانين التي جعلت الجنوب منطقة مغلقة، لا تدخل إلا بتصريح من الحاكم العام أو ممثليه، وتمنع كل ما قد يصل الجنوبيين بالإسلام والعروبة والشمال لتجعل لهم خصوصية وذاتية معينة علي محاور اللغة والثقافة وأنماط السلوك .

بعد أن كان للإسلام وللغة العربية وجودا في المناطق الجنوبية قبل التواجد الإنجليزي في الجنوب، وصارت اللغة العربية أداة للتفاهم بين أبناء القبائل، وكان هناك عادات عربية منتشرة، أعدت الحكومة خطة للتعليم في الجنوب بالتعاون مع الإرساليات التبشيرية، وزودت بالمال والخبراء، فوضعت المناهج المدرسية التي استهدفت التبشير بالنصرانية وإعداد موظفين يحلون محل الشماليين الذين صدر الأمر باستبعادهم تدريجيا، وكانت الكتب بالإنجليزية واللغات المحلية مع استثناء الدين الإسلامي واللغة العربية من المناهج ..

أصدر الإنجليز تعميماتهم التي تلزم الموظفين باستخدام اللغة الإنجليزية أو اللغات المحلية في التعامل مع الجنوبيين جميعا من رؤوساء القبائل وحتي الخدم، والاستعانة بمترجم بدلا من استخدام اللغة العربية ..

كتب حاكم بحر الغزال للموظفين التابعين له يقول:

علينا أن نمضي في سياسة تشجيع اللغات المحلية والوعي القبلي ونشر الإنجليزية وقمع استخدام اللغة العربية، وعمل أي شيء يساعد في تحقيق ذلك .. يجب التوقف عن استخدام تعابير عربية مثل شيخ وسلطان واستبدالها بما يقابلها من الألفاظ المحلية، ويجب إقناع الرؤوساء والناس بعدم تبديل أسمائهم المحلية والذين اعتمدوا الأسماء العربية يجب تشجيعهم علي العدول عن استخدامها ..

وبرغم أن محاولات استئصال المؤثرات العربية لدي أبناء الجنوب، كانت تثير حساسية ونفورا باعتراف الإنجليز أنفسهم في تقاريرهم، إلا أن الحرب لم تقف عند حدود الحرف العربي والمصطلح العربي، وإنما امتدت للزي العربي .. كانت تعليمات الإنجليز في المديريات الجنوبية تقضي بتشجيع التقاليد والأعراف القبلية بما فيه تشجيع العري الشائع لدي أبناء الجنوب، والتشديد علي استعمال الأزياء الأوربية لا العربية، والتشدد علي عدم صنع الملابس العربية أو بيعها، بل حرقها !!

جاء في بعض الأوامر الصادرة إلي بعض التجار اليونانيين:

نلاحظ أنك رغم الطلبات المتكررة، لا تزال تصنع كميات كبيرة من الثياب العربية وتبيعها، يجب صنع القمصان القصيرة ذوات الفتحة علي الصدر بحسب الزي الأوربي لا علي أساس التي يلبسها العرب، كما يحظر في المستقبل بيع الطاقية التي يلف العرب العمامة عليها، ويحظر منذ اليوم صنع الثياب العربية ..

كانت تعليمات الإنجليز إلي حكام الجنوب تقضي بتشجيع التجار اليونانيين والسوريين المسيحيين، بدل التجار العرب المسلمين، وإنقاص تصاريح الشماليين لإضعاف روابط الجنوب بالشمال إقتصاديا وإعاقة تطويره ..

وضع الإنجليز قيودا علي تحركات القبائل العربية المسلمة وقاموا بطرد أبناء غرب أفريقيا المسلمين، ووضعوا قيودا علي التحركات بين إقليمي بحر الغزال ودار فور لأجل إضعاف تطلع الجنوبيين إلي الشمال، وقيدوا حركة انتقال العمال في كل أنحاء السودان بالتصاريح، وفرضت الغرامات المالية والسجن علي

مخالفي التصاريح والخارجين علي شروطها .. هذه القوانين المستهجنة كانت تطلب من الجنوبيين إسقاط أسمائهم العربية الإسلامية وإعادة إحياء أسمائهم القبلية القديمة، بل كان يسمح للإرساليات بتعميدهم بأسماء أجنبية أوربية ..

عملت السياسة البريطانية علي تعميق التمايز بين الجنوب والشمال، وتأصيل المشاعر المعادية للعروبة والإسلام .. حرصت علي إبراز الخصوصية الزنجية بين المتعلمين من أبناء الجنوب الذين تلقوا تعليما محدودا في المدارس التبشيرية ..

ونجحت بريطانيا في زرع الأحقاد بينهم وبين المسلمين !! نجحت في توليد مشكلة قوامها المشاعر والأحاسيس المعادية للعروبة والإسلام .. هذه المشكلة لم يكن لها وجود حين تقدمت جحافل جيش مصر بقيادة كتشنر لتصفية ما تبقي من الثورة، التي فجرها محمد أحمد المهدي تحت شعار إنقاذ الإسلام وتحرير بلاد الإسلام ..

سلط الإنجليز الأضواء علي دور العرب والمسلمين دون سواهم في ممارسة النخاسة وتجارة الرقيق، ومعاناة أبناء الجنوب منها، واستخدموها كمدخل لشق الصف وتأجيج نار الحقد والكراهية ضد العرب والمسلمين، وتناسوا أن الإسلام إن كان قد أجاز الرق، فإنه قد وضع من القواعد ما حصر نطاقه وعمل علي تصفيته، بعد أن اعتبر العتق كفارة للذنوب، ومن العمل الصالح الذي قرنه بالإيمان، وأن تجارة العرب بالرقيق لم تكن بأبشع من تجارة الأوربيين، يقول أحد الأوربيين:

" ولعل من محامد العرب في هذا أن العلائق بينهم وبين الرقيق كانت إنسانية إلي حد بعيد "

لقد عمل الأوربيين في تجارة الرقيق أكثر من العرب والمسلمين، فمما يذكر أن الشركة الأفريقية الإنجليزية والمغامرون الإنجليز قد صدروا إلي العالم الجديد فيما بين عامي ١٦٨٠: ١٧٠٠م نحو ٣٠٠ ألف من الزنوج، وأن ماتم استيراده للمستعمرات البريطانية في أمريكا بين عامي ١٦٨٠: ١٧٨٠م ما يصل

إلي ٢،٣مليون زنجي، كما يذكر أن نابليون حين غزا مصر كتب إلي سلطان دارفور عام ١٧٩٩م يطلب منه ألف عبد من الأشداء المتجاوزين السادسة عشرة من العمر !!

كما أن كثيرمن النخاسة العرب كان يعتمدون علي الممولين الأوربيين، ومع ذلك قامت الإرساليات التبشيرية والكتاب الأوربيين بتضخيم الصورة وتعميق ذكراها في عقول وقلوب الجنوبيين، حتي أصبح اسم العرب وتجارة الرقيق يكادان يكونان مترادفين !!

صحيح الإسلام أباح الرق، ولكنه وضع من القواعد ما أرشد بها حصر نطاق الرق وتصفيته، إذ اعتبر العتق كفارة للذنوب ومن العمل الصالح الذي قرن بالإيمان .. لم تكن تجارة العرب بالرقيق بأبشع من تجارة الأوربيين الذين باعوا الأفريقيين عبر الأطلسي إلي الدنيا الجديدة ..

## الممارسات الفرنسية في بلاد المغرب العربي

### السياسة البربرية وتهميش مقومات الوجود العربي

تكشف القراءة التاريخية، أنه حين قامت فرنسا باحتلال المغرب العربي سعت إلي تهميش مقومات الوجود العربي الإسلامي ــ اللغة العربية والثقافة العربية الإسلامية والقيم والشريعة الإسلامية – مقابل تعميم اللغة والثقافة والقيم وأنماط السلوك الفرنسية ..

أدركت فرنسا أن اللغة العربية لغة العبادات والتراث الإسلامي ولغة التواصل مع المحيط العربي، والتفاهم بين القبائل مختلفة اللغات واللهجات، من أهم عوامل الوحدة، وبدونها يكون التشتت والتمزق في النسيج الاجتماعي والوحدة المجتمعية، وبدونها تتمكن من عملية استرداد أفريقيا اللاتينية التي دعا إليها الفيلسوف هيجل ومفكروا أوروبا انطلاقا من القول بأن بلاد المغرب العربي كانت قبل الفتح الإسلامي رومانية الروح لاتينة الثقافة ..

لذلك ظهرت بالجزائر مجلة تحمل عنوان إفريقيا اللاتينية، وفي المغرب

نشرة المغرب الكاثوليكي، تركزان وتؤكدان في محتواها علي الهوية الغربية واللاتينية المسيحية للعالم البربري، وكان تعميم اللغة والثقافة الفرنسيتين، ومحاربة اللغة العربية والإسلام بكل الوسائل الممكنة من خلال ما عرف بالسياسة البربرية ..

سعت السياسة البربرية إلي فصم عري الوحدة المجتمعية لبلاد المغرب العربي عن طريق الاستيلاء علي الأوقاف الإسلامية للتحكم ماديا في المدارس والمساجد والجمعيات الخيرية ووقف التعليم الإسلامي في المدارس الرسمية والتضييق علي رجال الدين المسلمين، ووضع العراقيل أمام الجهود الشعبية لتعليم الدين الإسلامي واللغة العربية والدعوة إلي فرنسة البربر وتجريدهم من الإسلام ومن أمثلة: " ذلك تعليمات الجنرالات الفرنسيين للمعلمين القائلة: بتعليم كل شيء للبربر عدا اللغة العربية والإسلام، ودمجهم في العنصر الأوروبي الذي يجنبهم مصير العنصر العربي المحكوم عليه بالانقراض تحتما أمام الحضارة "

لذلك كان قانون التجنيس المسيحي وتحويل المحاكم الشرعية إلي محاكم مدنية، وإحلال الأعراف البربرية محل الشريعة الإسلامية، وفتح أبواب البلاد أمام التبشير، وتأسيس حركة " الآباء البيض " وهي من أبرز معالم السياسة البربرية الداعية إلي فرنسة البربر وتنصيرهم ..

في عام ١٨٨٣م انتحل الراهب شارل دو فوكو، شخصية يهودي واستعان بمترجم يهودي، وقام برحلة استكشافية في ربوع المغرب العربي، وكتب تقاريره إلي الجمعية الجغرافية الفرنسية التي اعتمدتها مرجعا أساسيا في رسم السياسة الداعية إلي استقلال قبائل البربر..

يقول الراهب في مذكراته: إن البربر عندما يصبحون مسيحيين يكونون أشد معارضة للعرب وأن البربري أقرب للاستتباع والاستيعاب من العربي لأنه أقل تأثرا بالإسلام ..

وتأسيسا علي تلك الدراسات كانت تعليمات الحكام الفرنسيين المحليين

بمحاربة اللغة العربية ومنع استخدامها في مجال الإدارة، في المناطق التي تسكنها القبائل البربرية منع كليا، وأصدروا منشورات جاء فيها:

إن اللغة العربية تجر إلي الإسلام، لأن هذه اللغة تتعلم في القرآن، وأنه من الضروري إنشاء مدارس فرنسية بربرية تكون مهمتها تعليم الفرنسية لصغار البربر

لذلك كان البرنامج التعليمي يقوم علي إحلال اللغة الفرنسية، وإقصاء اللغة العربية عن جميع المدارس القروية وعدم فتح كتاتيب قرآنية جديدة ..

أقاموا المدارس البربرية الفرنسية الثانوية في جبال أطلس بهدف تخريج موظفين من أصحاب المؤهلات المتوسطة للعمل في الإدارة والشركات الفرنسية، وافتتحوا المدارس الابتدائية البربرية لتخريج عمال زراعيين متعلمين لخدمة المستعمرين الفرنسيين ..

وبرغم إنشاء عشرات الكنائس والمراكز التبشيرية ونشاطهم المحموم لم يتنصر أحد من المغاربة أو البربر، ولم تفلح كل المحاولات ضد العروبة والإسلام، فازداد البربر تمسكا بالإسلام والشريعة، وكان ذلك تأكيدا لفشل السياسة البربرية والممارسات الاستعمارية والتبشيرية بعد أن خرج من صفوف البربر قادة وزعماء وعلماء ناهضوا الظهير البربري وسياسات التجنيس، وكل عمل قصد به سلخ البلاد من هويتها العربية الإسلامية وإدماجها في الكيان الفرنسي بعد أن التف المسلمون حول قيادة عبد الحميد بن باديس ذي النسب البربري، ومحمد عبد الكريم الخطابي ذي النسب العربي، وبعد أن تخرج من المدارس الثانوية البربرية قادة وضباط جيش التحرير شاركوا في تحرير البلاد واستقلالها ..

## تدمير دولة محمد علي الحديثة ومشروع الامبراطورية العربية الكبري

طويت صفحة الحملة الفرنسية علي مصر، والتي طالت في حساب الجبرتي ثلاث سنوات وواحد وعشرين يوما، وذلك ابتداء من معركة إمبابة إلي نزولهم من القلعة، عدا مدة احتلالهم للإسكندرية قبل احتلال القاهرة، وحصارهم فيها بعد انسحابهم من القاهرة، وبدأت صفحة جديدة بدخول القوات العثمانية وعودة المماليك .. كان واضحا أن المماليك قد انتهي دورهم في التاريخ بعد

موقعة إمبابة، بل انتهي دورهم قبل ذلك بثلاثة قرون، يوم دخل السلطان سليم القاهرة ..كانت الدولة العثمانية مفلسة وأعجز من المماليك، ولكنها غير قادرة علي انتزاع مصر من المماليك ..

كانت قوي عديدة ظهرت في الساحة أصبحت هي الأصل، والعثمانيين والمماليك بمثابة الظل .. ظهرت الاستعماريات الغربية وركزت انتباهها علي مصر، وعرفت أنها المدخل الأساسي للعالم العربي والإسلامي .. ومن ثم قررت استحالة عودة الأوضاع إلي ما كانت عليه، لأن ذلك يعني سد الطريق علي مصالح الغرب وعلي محاولات تغلغله ..

حرص الغرب علي ألا يتغير الوضع في مصر علي الوضع الذي يحميها من أطماع الغرب، ويمكنها من مواجهة عدوانه، ذلك التغيير الذي كان يتمثل في بناء مصر الحديثة، أو وطن عربي حديث، أو دولة عثمانية حديثة ..

كانت هناك قوة تحمل إمكانية البعث، هي القيادة المصرية التي صلب عودها خلال مقاومة الفرنسيين، وكانت تتفق مع جميع الأطراف علي استحالة عودة القديم إلي ما كان عليه بعد أن ثبت عجزه عن حماية الوطن، ولكنها كانت تختلف مع الاستعمارية الغربية لأنها كانت تتطلع إلي بناء مستقبل جديد يختلف عما كان يريده الغربيون، لأنها كانت تتطلع إلي تحديث مصر العربية في إطار الحضارة الإسلامية، بينما كان الغرب الاستعماري يريد اقتطاع مصر من المحيط العربي الإسلامي وتغريبها ..

كان شرط نجاح عملية كهذه تدمير القيادة الوطنية، وهكذا أصبح ضرورة استعمارية أن يظهر البطل الذي يدمر القيادة الشرعية للأمة العربية ويحطم محاولة البعث الإسلامي الصحيح ويحول دون وقوع الثورة الصناعية الحقيقية ويتولي إحداث التغريب المشوه، الذي يضع مصر والوطن العربي تحت رحمة الغرب الاستعماري ..

وظهر هذا البطل الذي حقق المخطط الغربي بنجاح . وكان هذا البطل هو محمد علي باشا .

اعتمد محمد علي والي مصر سياسة المساواة، والتزم بالعرف السائد والأحكام الشرعية التي كانت معمولا بها بمصر قبله، فحصر التجنيد بالمسلمين دون الأقباط، وأبقي نظام الجزية، واعتمد في إدارته علي الأقباط النصاري، ووفر لهم واليهود قدرا كبيرا من الحريات لم تكن متوافرا لهم من قبل في بقية أنحاء الدولة العثمانية [1]..

يقول الأستاذ الإمام محمد عبده، عن محمد علي باشا:

" إن محمد علي قد ملأ مصر بالأجانب والدخلاء، يستعين بهم علي إقرار نفوذه، وأذل المصريين بإطلاق يد هؤلاء الدخلاء فيهم، يحكمون علي هواهم لا هدف لهم إلا مرضاة الأمير صاحب الإقطاع الكبير .. أخذ يرفع الأسافل ويعليهم في البلاد والقري، وانحط الكرام، وساد اللئام، ولم يبق في البلاد إلا آلات يستعملها في جباية الأموال وجمع العساكر، فمحق جميع عناصر الحياة الطيبة من رأي وعزيمة واستقلال نفسي، وصارت البلاد المصرية في عهده إقطاعا واحدا له ولأولاده، حمل الأهالي علي الزراعة، ولكن ليأخذ الغلات ..

أنشأ المصانع ولكن لم يحبب المصريين في العمل بها ولم يوجد الأساتذة الذين يحفظون علوم الصنعة ينشرونها في البلاد .. بغض إلي المصريين العمل والصنعة بتسخيرهم في العمل والاستبداد بثمرته .. ما الذي صنع محمد علي ؟.

لم يستطع أن يحي ولكن استطاع أن يميت كان معظم قوة الجيش معه، وكان صاحب حيلة بمقتضي الفطرة فأخذ يستعين بالجيش وبمن يستميله من الأحزاب علي إعدام كل رأس من خصومه ... اتخذ من المحافظة علي الأمن سبيلا لجمع السلاح من الأهلين .. وتكرر ذلك منه مرارا حتي فسد بأس الأهالي، وزالت ملكة الشجاعة منهم، وأجهز علي ما بقي في البلاد من حياة في أنفس بعض أفرادها ..

أنشأ جيشا كبيرا وأسطولا فتح به الممالك ودوخ به الملوك ولكن هل شعر مصري بعظمة أسطوله وقوة جيشه،ويقول هذا جيشي، وهذا أسطولي بكل

---

(١) طارق البشري — المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية ١٩٨٠م — القاهرة

فخر؟! .. كلا .. لم يكن شيء من ذلك .. لأن المصري كان يعد ذلك الجيش وتلك القوة عونا لظالمه ..

ولقد ظهر أثر ذلك عندما جاء الإنجليز لإخماد ثورة عرابي .. دخل الإنجليز مصر بأسهل ما يدخل به دامر علي قوم، ثم استقروا ولم توجد في البلاد نخوة تثبت لهم أن في البلاد من يحامي عن استقلالها، وهو ضد ما رأيناه عند دخول الفرنساويه في مصر ..

وبهذا رأينا الفرق بين الحياة الأولي والموت الأخير ..." (١)

ولم يخضع الأقباط للتجنيد إلا عام ١٨٥٥م حين صدر قرار الخديوي سعيد بإلغاء الجزية وفرض التجنيد .. وحين دخل إبراهيم باشا ابن محمد علي الشام، أعلن حرية حج المسيحيين إلي الأراضي المقدسة، كما أعفي أماكن العبادة المسيحية واليهودية من كل ضريبة، ورفع عن الحجاج رسوم المرور، وجعل للمسيحيين نصف مقاعد المجالس النيابية، وسمح بترميم الكنائس والأديرة وإنشاء الجديد منها وعارض في اللاذقية فتوي إسلامية تبيح أخذ أولاد العلويين ونسائهم أسري ..

لم يخرج إبراهيم باشا عن نهج والده في المساواة الدينية وفي رجحان كفة المسيحيين في جهازه الإداري، فأنزل مدير ماليته حنا البحري منزلة عالية وجعله وسيطا بين سائر الطوائف المسيحية، وعهد إليه بالإشراف علي الإدارة العامة للأموال ..

ومع كل ذلك وغير ذلك سعي الغرب الصليبي إلي تسوية حساباته مع العرب والمسلمين تصفية تلك الحسابات القديمة، التي لم تسو منذ ارتداد جحافل الصليبيين مدحورة عن الشرق العربي وذلك بالسيطرة علي مقدرات الوطن العربي الذي يحتل المساحة الواسعة والموقع الاستراتيجي المتحكم في مواصلات أوروبا مع مستعمراتها، والذي يمتلك الموارد والأسواق ..

---

(١) من مقال نشر له في صحيفة المنار سنة ١٩٠٢م بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام علي تأسيس الأسرة العلوية – ارجع إلي د . محمد محمد حسين – الاتجاهات الوطنية – مرجع سابق

ولتحقيق ذلك تآمروا علي دولة محمد علي الحديثة ومشروعه الكبير الذي استغل في تدعيمه امكانات مصر المادية والبشرية طوال أربعة عقود من العمل الجاد الواعي، وبددت قدراته وطموحاته، وبدأت أوروبا تطبيقا عمليا لمشروعات التجزئة السياسية والاجتماعية للأرض العربية، بوضع الخطوط الأساسية للمشروع الاستيطاني الصهيوني علي تراب فلسطين، ولمواجهة احتمال تكرار قيام دولة عظمي تهدد الطموحات الأوربية المختلفة، لذلك جاء تحذير البارون روتشيلد للورد بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا مارس ١٨٤٠م من قوة الجذب بين العرب وتطلعهم إلي استعادة مجدهم القديم، ودعوته لإسكان يهود أوروبا في فلسطين للفصل بين مصر والمشرق العربي ..

أجمعت الدول الأوربية علي معارضة طموح محمد علي للاستقلال بمصر وبلاد الشام، وتعددت اجتهاداتهم ضد ما أسموه بشبح امبراطورية عربية، لذلك تكثفت جهودهم لتفكيك المجتمعات العربية وإعادة تركيبها علي أساس الملة ..

تكثفت في مطلع القرن التاسع عشر النشاطات التبشيرية والدراسات الاستشراقية، والتي شارك فيها مبشرون ورحالة وعلماء وباحثون من مختلف الدول الأوربية، وقد شملت دراساتهم النواحي الاجتماعية والثقافية والتعليمية والسياسية إلي جانب القضايا الدينية والتاريخية .. كان لتلك الأنشطة والدراسات نتائجها الخطيرة التي أسفرت عن ظهور الدعوات المعادية للعروبة والإسلام كالفرعونية والمتوسطية والدعوات الطائفية ..

أولت الكنائس البروتستانتية في أوروبا وأمريكا اهتماما كبيرا بدعوة تهجير يهود أوروبا وإسكانهم في فلسطين وتدويل القدس بزعم أن ذلك يحقق نبوءات التوراة، ويقدم الحل للأزمات والتي تأخذ بخناق البلاد المسيحية، وكان من أبرز هذه الكنائس الكنيسة اليهودية المسيحية في انجلترا، والجمعية العمومية الكنسية اسكتلندا والجمعية الأمريكية للتبشير في فلسطين في الولايات المتحدة الأمريكية، تلك الكنائس والجمعيات التي جمعت التبرعات السخية لشراء الأراضي، وتأمين تكاليف التهجير ومما يلفت النظر أن يكون لليهود والمهتدين

البروتستانت دورا أساسيا في مساندة الدعوة إلي استعمار اليهود لفلسطين [١]..

توضح القراءة التاريخية للممارسات الأوربية في الأرض العربية علي مدي المسافة الزمنية الممتدة من غزو نابليون لمصر وفلسطين عام ١٧٩٩م وإلي فرض التجزئة القسرية علي الوطن العربي وفيما بين المحيط الأطلسي والمحيط الهندي و الخليج العربي، أن الدعم والمساندة والتشجيع كان نصيب كل مايصب في قنوات التجزئة والتفتيت لهذه الأمة وتخريب مقومات وجودها .. وقفت بالمرصاد أمام طموحات العرب والمسلمين في إقامة مشروعات وحدوية .. أجمعت الدول الأوربية علي معارضة طموحات محمد علي في بناء امبراطورية عربية كبري، وكثفت جهودها ضد طموحات السلطان عبد الحميد، ولم يهنأ لها بال حتي أسقطت دولة الخلافة الإسلامية في أعقاب الحرب العالمية الأولي ..

كانت دعوة تهجير اليهود من أوروبا وإسكانهم في فلسطين مستغلين نبوءات التوراة المزعومة للفصل بين جناحي الأمة في الوطن العربي، وكان كشف الستار عن التراث الفرعوني والاهتمام بالأصول التاريخية وتركيز الأضواء علي تلك الحقبة من تاريخ مصر الطويل من وراء محاولات طمس الهوية العربية وانتمائها العربي الإسلامي، بعد أن وظفت الاكتشافات الأثرية توظيفا سياسيا، والذي تجلي في الدعوات إلي الفرعونية والمتوسطية والطائفية .. كانت كلها مشروعات استعمارية استهدفت تعميق التجزئة وتفكيك البني الاجتماعية وتعطيل كل ما يستهدف تحقيق الطموحات الوحدوية العربية الإسلامية، ولم يغفل الساعون لتفكيك البني العربية وإعادة تركيبها من تشويه التراث الحضاري العربي الإسلامي من دين وشريعة وفلسفة وعلوم وآداب، واتهام الإسلام بالجمود والعرب بالعجز عن الإبداع والابتكار، والتقليل من دور العرب المسلمين في الحضارة ..

## مخططات في ميدان اللغة والثقافة العربيتين

تعددت مخططاتهم الاستعمارية في ميدان اللغة والثقافة العربيتين من

---

(١) انظر د. عمر فروخ. د. مصطفي الخالدي – التبشير والاستعمار

خلال دعواتهم المتوالية إلي إحلال العامية محل الفصحي واستبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي في الكتابة، هذه الدعوات التي تحمس لها مثقفو ومفكرو النصاري الأقباط في أكثر من ساحة عربية، الذين انبهروا بالغرب وصاروا أنصارا للتغريب وداعين للأخذ بقيمه وأعرافه وأساليب حياته، ونبذ قيم الشرق المسلم وأعرافه وتقاليده، واعتبار ذلك هو السبيل لمواكبة العصر !! ولكن كان في المقابل تحمس المسلمين للقيم والثقافة العربية الإسلامية ..

يقول عبد الله النديم – خطيب الثورة العرابية – في جريدة المؤيد:

ما طمحت الدول الأوربية إلي الاستيلاء علي بلد إلا وسبقت إليه بافتتاح المدارس التي تمهد لها طريق الافتتاح والاستعمار، عن طريق بث أخلاق وعوائد وتعاليم، وبحجة نشر العلم والتهذيب ورفع لواء التمدن، ومن لايرضي بذلك فليس له من اسم الإنسانية نصيب .. ويتسائل النديم قائلا:

وهل يتصور أن قوما جازوا البحار وتجشموا الأخطار لمحض منفعة من وفدوا لديهم خدمة للإنسانية كما يقولون ؟! كلا فالإنسان لا يتحرك ولا يعمل عملا إلا وله غرض ذاتي فيه، وقد قيل كلما عظم العمل كان الباعث أعظم .. إننا نري بأعيننا أن كل دولة غربية ما وضعت يدها علي أمة أو قبيلة تملكا أو حماية، إلا وقد حعلت مقدمة ذلك هذه المدارس، وبان أن القصد العظيم والباعث القوي هو سياسي ملي في آن واحد ..

ويشير النديم إلي إفساد الإنجليز لأخلاق المصريين وتقاليدهم، مما أدي إلي انحلال الشخصية وموت الكرامة، فيقول:

قالت أوروبا: إن وقوفكم علي عاداتكم الشرقية وتخلقكم بأخلاق آبائكم بقاء علي الهمجية والتوحش، فلابد من مجاراتنا في حركاتنا المدنية لتساوونا الرتبة، وفتحت لنا البير والخمارات والمقامر، وأباحت الزنا والمقامر، ووسعت دائرة اللهو والخسران، وغفل الشرقيون عما وراء ذلك من ضياع الدين والملك والمجد والشرف، وانكب الأغبياء والمغفلون علي الخمور، فساءت أخلاقهم وضعفت عقولهم، وفسدت عقائدهم، وتحولوا إلي الموسسات فارتكبوا الإثم

بارتكاب المحرم والعار باتخاذهم الوطنية آلة للفحش، وجعلها عرضة للأجنبي بعدم غيرتهم عليها فهم في رتبة القواد، بل هم هم، ومال فريق إلي القمار فباع الغيط والدار، واضطر لبيع حلي زوجته برضاها أو بسرقته منها، والكل عطف علي المرابين، يقترض ويصرف في الملاهي ومتلفات العقل والجسم والملك، حتي أسكن الأوربي مكانه، وصار له خادما بعد أن كان عظيما محترما، وكلما تهالك الشرقيون علي الخمور والملاهي واصلت أوروبا إرسال الخمور، وارتحل إليها المومسات وأرباب الملاهي تحويلا للثروة وإزهاقا لروح الدين، حتي أصبح المتلبسون بهذه القبائح والفضائح لا شرقيين ولا غربيين، واتخذتهم أوروبا وسائل لتنفيذ آرائها ووصولها إلي مقاصدها من الشرق، وهي تحثهم المثابرة علي عمله باسم المدنية، وما هي إلا التوحش والرجوع إلي الحيوانية المحضة .. إذ لو كان الانغماس في الملاهي ومفسدات العقل والدين من المدنية لما تحاشته أوروبا وعدت مرتكبه همجيا جاهلا مجنونا، ولما وضعت القوانين الشديدة للمسكرات، ومنع التلامذة منها، ولما كتبت الرسائل العديدة في ذم الخمر والفسوق، وحرمان ضعفاء العقيدة والمتقاعدين عن العبادة وحضور الكنائس، وإنما هذه أشراك وفخاخ تنصب في طريق الشرقي المسلم، حتي لا يخطو خطوة إلا وقد وقع في حبال أوروبا، ولما رأوا أن الشرقيين لا ينتهون من غفلتهم ولا يعقلون مقاصد الدول، ولا يدركون مكايد الملوك ولا يسعون في صالح بلادهم، ولا يحافظون علي دينهم، ولا يعرفون شرف لغاتهم ولا يحفظون كراسي ملوكهم، ولا يهمهم ضياع أوطانهم .. اتخذهم كرة تلعب بهم كيف تشاء [1]..

أصيبت العملية التعليمية بخلل واضح بعد أن أفسح المجال أمام مدارس الإرساليات، وتعددت المناهج التعليمية، وتباينت دوافع القائمين عليها ومقاصدهم، وقدمت اللغات والثقافات والقيم وأنماط السلوك الأجنبية علي اللغة والثقافة وأنماط السلوك العربية والإسلامية، والتي فقدت مكانتها المتميزة، وبفعل اشتداد التنافس بين المدارس الطائفية وهيمنة الأكليروس الأجنبي عليها، وبتأثير احتكار الطوائف للمطابع والنشر شاعت الثقافة الطائفية .. تسببت الهيمنة

(١) محمد محمد حسين – الاتجاهات الوطنية ص ١٤٦ : ١٤٧ ط ٣ – المطبعة النموذجية بالجماميز. نقلا عن منتخبات المؤيد – السنة الأولي

الطائفية علي المدارس والمطابع بزيادة إحساس المسيحيين بالاختلاف عن المسلمين، كما أصبحت المدارس والصحف أدوات تخريج متعلمين وأهل فكر متعددي الولاءات مما أدي في النهاية إلي تجزئة المجتمع وتفككه ..

### نصاري الشام والممارسات الفرنسية

تطلع نصاري الشام – مارون وكاثوليك – إلي إنشاء دولة سورية أو لبنانية تحت الحماية الفرنسية في أواخر العهد العثماني، فرفعوا شعار القومية، وتبنوا المقولات العنصرية المعادية للعروبة والإسلام، واندفعوا لوضع البلاد تحت الحماية الفرنسية ..

في عام ١٩١٢م تأسست في باريس اللجنة اللبنانية تدعو إلي استقلال سوريا عن العثمانيين استقلالا تاما، والاعتماد في تحقيق ذلك علي المساعدة الفرنسية، وفي عام ١٩١٤م أعلن وزير الحرب الفرنسي تشكيل فرقة الشرق واتخاذ قبرص مركزا لها، ودعا إلي تطوع العرب والأرمن للعمل كمساعدين للجيش الفرنسي، فبادروا إلي الانتساب إليها، وزعموا أن فرنسا تحترم في مستعمراتها التي تدين بالإسلام التقاليد الإسلامية وأنها أدخلت فيها نظاما مزدهرا تحسد عليه .. وفي عام ١٩١٧م تشكلت في باريس اللجنة السورية المركزية من بعض قدامي مؤسسي اللجنة اللبنانية، وأكدت علي أن غايتها هو استقلال سوريا تحت القيادة الفرنسية ..

وفي أكتوبر من ١٩١٨م دخل اللنبي قائدا عاما لقوات الحلفاء في الشرق دمشق، وقام بتقسيم البلاد إلي ثلاث مناطق إدارية جنوبية وتشمل فلسطين بإدارة بريطانية وشمالية وتشمل الساحل السوري واللبناني بإدارة فرنسية وشرقية وتشمل ولاية دمشق والقسم الجنوبي من ولاية حلب تحت الإدارة العربية ..

عينت فرنسا إميل إده مستشارا لبنانيا للمفوض السامي الفرنسي، ولم تخف عزمها علي تحقيق طموحات المارون السياسية وأعلن كولوندر المفوض السامي الفرنسي أن فرنسا إنما جاءت لبنان لتحمي أصدقائها الموارنة وتضمن مصالحهم، وكان حيثما يجول في جبل لبنان يستقبله الموارنة بالهتاف وبإطلاق الرصاص ..

طلب اللنبي من فيصل – إرضاء لفرنسا – سحب ممثله من بيروت وقام بتعيين حكام عسكريين فرنسيين في كل بيروت والجبل وصيدا واللاذقية وأنطاكية .. وفي الوقت الذي كان فيه الشريف حسين ينادي بأنه ليس هناك فرق بين المسلم العربي والمسيحي العربي، وفي الوقت ذاته الذي أكد فيه فيصل بن الحسين علي ضرورة الوحدة الوطنية والقومية، وحذر من إشاعة بذور الفتنة باسم الدين وهدد كل من يفعل ذلك بأشد العقوبات، وأعلن أن العرب هم عرب قبل موسي وعيسي ومحمد، وأعطي المسيحيين من المناصب في حكومته أكثر بكثير مما تستحق نسبتهم العددية، كان الموارنة والروم الكاثوليك يدعون السوريين واللبنانيين إلي الانخراط في فرقة الشرق الفرنسية، وطالبوا باستقلال لبنان وتوسيع حدوده وفصله عن كل وجود عربي ينشأ في سوريا، واختيار فرنسا لتكون الدولة المنتدبة عليه، ورفعوا مذكراتهم إلي مؤتمر الصلح يغلب عليها التعصب الطائفي والادعاءات التاريخية قائلين:

بأن اللبنانيين لهم هوية وطنية متميزة عن المجموعات المجاورة، وأن اللغة العربية هي لغة الفاتحين، وأن الطائفية الدينية هي التي تحدد وتصنف الهويات الوطنية، وأن أي محاولة لضم لبنان الكبير مع كل سكانه المسيحيين إلي بقية سوريا وتحت سيادة أمير عربي غريب يستلهم سلطته من العقيدة الإسلامية هي عمل خطير يتناقض مع الأهداف الإنسانية، وأن الشعوب المتحضرة يجب ألا تخضع في كثير أو قليل لغيرها من الشعوب البربرية !! وأن فرنسا قد أشبعت السوريين بثقافتها، وجعلت من لغتها اللغة السائدة، وأدت العديد من الخدمات لسوريا التي حافظت علي علاقات ود معها جيلا بعد جيل !!

في مواجهة رعاية فرنسا وانتدابها علي سوريا ولبنان، طرح الأمير فيصل أمام مؤتمر الصلح فكرة إرسال لجنة تحقيق دولية لاستطلاع الرأي العام في بلاد الشام، وتبني هذه الفكرة الرئيس الأمريكي ويلسون، ودخل في صراع مع بريطانيا وفرنسا اللتين عارضتاها بقوة، وانتهي الأمر بتشكيل لجنة كنج كرين الأمريكية التي وصلت إلي يافا ١٠-٦-١٩١٩م وكتبت تقريرا بعد دراسة الأمور علي الطبيعة، يقضي باستقلال بلاد الشام، ومعارضة الانتداب الفرنسي وفكرة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وحذرت اللجنة من إغراءات تقسيم

سوريا إلي دول متعددة، وأكدت علي ضرورة المحافظة علي وحدتها، وحذرت من الانقسامات الدينية التي ستؤدي إلي زيادة العداء ..

كان السنة بما يقارب الإجماع وحدويين ومعارضين لفرنسا، وأيد غالبية الدروز والشيعة الاتحاد مع سوريا، وإن كان بينهم من أيدوا انتداب فرنسا مستقبلا مدفوعين بالخوف من الأكثرية السنية، غير أن الجماعتين بوجه عام كانتا ضد الانتداب الفرنسي والحماية الفرنسية التي أكدت المقابلات مطالبة الكاثوليك والموارنة لها ..

راحت توصيات كنج كرين أدراج الرياح لمعارضة فرنسا وبريطانيا وتآمر الحلفاء وانسحاب ويلسون من مؤتمر الصلح، وتوالت الصدامات المسلحة مع القوات الفرنسية، وأرسلت فرنسا الجنرال غورو قائدا عاما للقوات الفرنسية، ومفوضا ساميا علي سوريا، علي رأس قوة من ثلاثين ألف جندي، فاستقبله الكاثوليك عامة والموارنة خاصة بمظاهرات التأييد وصلوات الشكر !! فيما اشتدت دعوة المقاومة في أوساط المسلمين بمختلف طوائفهم ، ونجح دعاة الانفصال الكاثوليك والموارنة في إعلان استقلال لبنان الكبير بمساعدة فرنسا، ونجحوا في تمزيق وحدة المسلمين، وتعميق الطائفية في أوساطهم.

وحين وضعت سوريا تحت الانتداب الفرنسي بعد مؤتمر سان ريمو، بدأ الجنرال غورو في تصفية جيوب المقاومة العربية، بمساعدة فرق سنغالية وميليشيات مارونية وكاثوليكية موالية لفرنسا عملت كأدلاء متطوعين !! ولم تتورع الصحافة المسيحية المؤيدة للاستعمار الفرنسي عن إعلان مباركتها وتأييدها وحماستها لعمليات القمع والإعدام وحرق القري والنفي والسجن ومصادرة الأملاك، في وقت كان المتطوعون المسلمون ينتظرون القوات الفرنسية الزاحفة نحو دمشق بقيادة غورو لتكتب لهم دم الشهادة في معركة غير متكافئة هي معركة ميسلون والتي تمكن الجيش الفرنسي بعدها من إنهاء حكم فيصل بن الحسين وتجريد الشعب من السلاح، وليقف بعدها الجنرال غورو حين زار ضريح صلاح الدين الأيوبي في دمشق قائلا: " الآن انتهت الحروب الصليبية يا صلاح الدين "

لقد استقبل نصاري الشرق في بلاد الشام انتصار غورو بالفرح، وكتبوا في الصحف محيين ذلك النصر ، ومشبهين يوم انتصار ميسلون بيوم الجمهورية الفرنسية !!

## دور الموارنة في الحروب الصليبية

الموارنة طائفة تنسب إلي القديس مارون، ألفت الكيد للمسلمين ، وأشربت حب الغدر ، تعاونت مع الفرنجة في الحروب الصليبية، ومع التتار ضد الظاهر بيبرس، وتحالفوا مع الدروز والروافض ضد الأمير سنقر .. يقول محمد جميل بيهم في عروبة لبنان : " والواقع فإن علاقات الموارنة بفرنسا هي أقدم، لأن بعض المؤرخين يرون أن "بوديكور " وجد سنة ١٢٥٠م في خزانة البطريركية المارونية كتابا من لويس التاسع في عكا يشكرهم فيه خلال الحروب الصليبية علي إرسالهم خمسة وعشرين ألف مقاتل بقيادة سمعان !! "

ويقول د. عمر عبد السلام تدمري – في بحثه التاريخي عن تاريخ الموارنة وعلاقتهم بالمسلمين منذ العهد الأموي وحتي المرحلة التاريخية المعاصرة –: " ومنذ أن دخل الصليبيون بلاد الشام في أواخر القرن الخامس الهجري، أخذ الموارنة يبدون ترحيبهم بهم لما يربط بينهم من عقيدة دينية، فعندما وصل الصليبيون ، هب الموارنة لملاقاتهم والترحيب بهم وعرض خدماتهم ومساعداتهم، وقدموا لهم أدلاء يرشدونهم في طريقهم إلي القدس سنة ٤٩٢هـ – ١٠١٩م .. " [١]..

وعندما خرج أتابك الموصل والأمراء السلاجقة لمحاربة الصليبيين، انضم الموارنة إلي الصليبيين الذين تحركوا لصد الهجوم سنة ٥٠٥هـ ١١١٠م "

خلال الحرب اللبنانية عام ١٩٧٥م عثر علي منشور كتب بالفرنسية، يعود تاريخه إلي سنة ١٩٤٣م، جاء فيه: " يا أبناء يسوع المسيح، يامن صبرتم علي الذل والهوان عبر القرون دفاعا عن عقيدتكم .. أيها الشرفاء الأطهار لا تنسوا هذه الوصايا العشر:

---

(١) ارجع إلي تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور

١- إن هذا الوطن لم يخلق إلا لكم حتي تجمعوا شملكم فيه وتباشروا حريتكم، واعلموا أن كلمة لبناني معناها مسيحي، أما العرب الذين جاءوا من الصحراء فيجب أن يعودوا إليها " كلمة عربي تعني مسلم "

٢- إننا قد رتبنا لكم ما يضمن لكم معيشة حسنة، مثل تمليك الأراضي وهذه التوكيلات الأجنبية .. وضعنا كل ذلك في أيديكم ويبقي عليكم أن تحافظوا عليها وتزويدها مع الأيام .

٣- جاهدوا للسيطرة علي المصايف وأمور السياحة وامتلاك ساحل البحر، وأخرجوهم من قراكم كلما أصبحتم غالبية أو أغلبية ولا تنسوا تجهيز ميناء احتياطي في مدينة غير بيروت لا يكون فيها مسلمون وذلك حين تحين وتسنح الفرصة .

٤- عليكم بأسباب القوة من لياقة بدنية وتنظيمات للشباب، واهتموا بالجيش وعليكم بكتمان أموركم والوثوق من سلامة صفوفكم لأن المعركة مع الأعداء مستمرة وطويلة، وهم يطوقونكم من كل جانب.

٥- احرصوا علي الزعامة الأدبية كنشر الكتب والسيطرة علي النقابات والاتحادات، ولا تعترفوا أن تراث لغتكم وتاريخكم ملك للمسلمين وحدهم، وحاربوا بلا هوادة الأفكار والأشخاص الذين يعاكسون أفكاركم .

٦- إن الاختلافات المذهبية بينكم يجب ألا تخرج عن النظرية والسطحية لأن حياتكم مرهونة باتحادكم أمام العدو الكافر، ولكنكم أبناء يسوع الذي علمنا المحبة .

٧- ادرسوا دائما مخططات الآخرين، وتداخلوا معهم لتعرفوا ما عندهم، ولا مانع للبعض بتأييدهم عند الضرورة . ولكن كل واحد يبقي مرتبطا برؤسائه وكنيسته، ولا يعصي أوامر الآباء المخلصين لكم .

٨- اجتهدوا في التقرب من ملوك العرب ورؤسائهم بالخدمات الطبية

والخدمات الشخصية وهذا يفتح لكم مجالات واسعة للعمل ويدر عليكم أموالا طائلة ونفوذا كبيرا حتي في البلاد المستعصية عليكم .

والراصد لهذه الوصايا يري أن النصاري الموارنة نفذوا وينفذون هذه الوصايا بكل الدقة والكتمان منذ بداية الاحتلال الفرنسي وحسب خطة شاملة لكل الجوانب الثقافية والاقتصادية والعسكرية والإدارة والحكم .

# الفصل الثالث

## ورقة الأقليات .. ومخطط تفتيت العالم الإسلامي

### ( سايكس – بيكو .. الثانية !! )

**مخطط برنارد لويس الصهيوني:**

في كتابه القيم: المسألة القبطية حقائق وأوهام، يقول الدكتور محمد عمارة:

قبل أكثر من خمسين عاما في أربعينات القرن العشرين، نشرت مجلة وزارة الدفاع الأمريكية – البنتاجون – مخطط المستشرق الصهيوني برنارد لويس، لتفتيت العالم الإسلامي من باكستان إلي المغرب، علي أسس عرقية وإثنية ومذهبية، وذلك حتي يزداد التشرذم في هذا العالم المتشرذم، فتضاف إلي كياناته القطرية التي تزيد علي الخمسين ، كيانات جديدة تزيد علي الثلاثين ..لتتحول تلك الكيانات حسب تعبير برنارد لويس إلي مجتمعات فسيفسائية .. أو مجتمعات الموازيك فيتحقق الأمن لإسرائيل لنصف قرن علي الأقل ..

يقول د. عمارة، عن المخطط المعادي لوحدة الأمة الإسلامية منذ الغزوة الاستعمارية الغربية الحديثة والمحاولة البونابرتية التي أرادت سلخ مصر باسم الاستقلال:

عندما أخذ مخطط بونابرت مع اليهود – والذي تبناه الإنجليز إبان تصاعد دورهم الاستعماري في الوطن العربي – عندما أخذ هذا المخطط طريقه إلى التطبيق في أرض الواقع .. عبر وعد بلفور سنة ١٩١٧م .. والانتداب البريطاني على فلسطين ١٩٢٠ – ١٩٤٨م .. وقيام الدولة الصهيونية سنة ١٩٤٨م .. أصبح لهذه الدولة – كقاعدة غربية في قلب وطن الأمة – مخططها للتفتيت والتفكيك، والذي يستهدف إلغاء الأمة، وتحويلها إلى ركام من الطوائف والملل والنحل والمذاهب والأقوام والأعراق.ولأن الإسلام هو عامل التوحيد الأول لهذه الأمة، فلم يقف مخطط التفتيت الصهيوني عند دائرة الأمة العربية، وإنما امتد ليشمل عالم الإسلام، من شبه القارة الهندية إلى المغرب الأقصى على شاطئ الأطلسي!..ومنذ

أكثر من نصف قرن، وبالتواكب مع إقامة الكيان الصهيونى على أرض فلسطين- قاعدة عنصرية استعمارية غربية- لإعاقة تقدم أمتنا ووحدتها..

أعلن المستشرق الصهيونى "برنارد لويس Bernard Lewis" مخطط التفتيت للأمة الإسلامية بواسطة الأقليات.. والذى نشرته مجلة وزارة الدفاع الأمريكية - البنتاجون-Executive Intelligence Research Project وفيه يدعو إلى إضافة أكثر من ثلاثين كيانا إنفصاليا، على أساس دينى ومذهبى وعرقى إثنـــى تضاف إلى التجزئة التى أحدثتها اتفاقية "سايكس- بيكون" سنة ١٩١٦م.. .. وبموجب تلك الخطة يدعو برنارد لويس إلى:

ضم إقليم بلوشستان بالباكستاني إلى مناطق البلوش المجاورة في إيران، وإقامة دولة بلوشستان.

ضم الإقليم الشمالي الغربي من الباكستان إلى مناطق البوشتونيين في أفغانستان، وإقامة دولة بوشتونستان.

ضم المناطق الكردية في إيران والعراق وتركيا، وإقامة دولة كردستان.

اقتطاع المناطق الكردية والبلوشية من إيران، يفتح ملف التقسيم الداخلي لإيران، في ضوء الواقع الإثني، مما يحقق إقامة الدويلات التالية:

أ. دويلة إيرانستان. ب. ودويلة أذربيجان.

ب. ج. ودويلة تركمانستان. د. ودويلة عربستان.

وإقامة ثلاث دول في العراق:

أ. إحداها كردية سنية في الشمال. ب. والثانية سنية عربية في الوسط.

ج. والثالثة شيعية عربية في الجنوب.. وهو مايجري تنفيذه اليوم علي أرض العراق ..

إقامة ثلاث أو أربع دويلات في سوريا:

أ. منها واحدة درزية. ب. وثانية علوية "نصيرية". ج. وثالثة سنية

تقسيم الأردن إلى كيانين أ. أحدهما للبدو. ب. والآخر للفلسطينيين "دون الإشارة للضفة الغربية للأردن، .. التي ستضمها إسرائيل"..

أما العربية السعودية، فسوف يحسن إعادتها إلى الفسيفساء القبلية التي كانت فيها قبل إنشاء المملكة سنة ١٩٣٣م، بحيث لا يعود لها من الوزن سوى ما للكويت والبحرين وقطر وإمارات الخليج الأخرى!..

يعاد النظر في الجغرافيا السياسية للبنان، على أساس إقامة : أ. دويلة مسيحية. ب. ودويلة شيعية. ج. ودويلة سنية. د. ودويلة درزية. هـ. ودويلة علوية.

تقسيم مصر إلى دولتين على الأقل: أ. واحدة إسلامية. ب. والثانية قبطية في الصعيد .

يفصل جنوب السودان عن شماله، لتقام فيه:

أ. دولة زنجية مستقلة في الجنوب. ب. ودولة عربية في الشمال.

وهو مايجري تنفيذه علي أرض السودان ..

يعاد النظر في الجغرافيا السياسية للمغرب العربي، بحيث تقام للبربر أكثر من دولة حسب التوزع والانتماء القبليين.كذلك يعاد النظر في الكيان الموريتاني، من خلال الصراع القائم بين العرب والزنوج والمولدين وبعد هذا التخطيط، الذي يضيف إلى "تجزئة وتفتيت "سايكس - بيكو" سنة ١٩١٦" أكثر من ثلاثين دويلة عرقية، ودينية، ومذهبية .. يضيف برنارد لويس قوله:

"إن الصورة الجغرافية الحالية للمنطقة لا تعكس حقيقة الصراع، وأن ما هو على السطح يتناقض مع ما هو في العمق: على السطح كيانات سياسية لدول مستقلة، ولكن في العمق هناك أقليات لا تعتبر نفسها ممثلة في هذه الدول، بل ولا تعتبر أن هذه الدول تعبر عن الحد الأدنى من تطلعاتها الخاصة"!..فالمخطط لا يرى إلا الصراع .. وهو يريد تفتيت الأقوام والملل والمذاهب إلى دويلات، ليس لها أدنى مقومات الدول .. كل ذلك لحساب جعل الطوائف اليهودية، التي لا

تجمعها روابط الأمة الواحدة، والتي لم تقم، عبر تاريخها الطويل دولة متحدة، كل ذلك لحساب أن تصبح هذه الطوائف الدولة المهيمنة على وطن العروبة وعالم الإسلام!..نعم، يفصح برنارد لويس عن هذا المقصد، فيقول في هذا المخطط:

"ويرى الإسرائيليون أن جميع هذه الكيانات، لن تكون فقط غير قادرة على أن تتحد، بل سوف تشلها خلافات لا انتهاء لها على مسائل الحدود وطرقات ومياه، ونفط، وزواج، ووراثة، الخ .. ونظراً لأن كل كيان من هذه الكيانات سيكون أضعف من إسرائيل، فإن هذه ستضمن تفوقها لمدة نصف قرن على الأقل"!..ففي سبيل العلو الإسرائيلي، الموظف لحساب المشروع الغربي، يكون التخطيط والتنفيذ لتفتيت وحدة الأمة الإسلامية إلى ذرات من الأقوام والملل والنحل والمذاهب والطوائف والأعراق والألوان!..

## أهداف المخطط الصهيوني:

وبعد أن تحدث عن تفاصيل مخطط تفتيت العالم الإسلامى- من باكستان إلى المغرب- على أسس دينية ومذهبية وعرقية، خلص إلى الهدف الصهيونى من وراء هذا التفتيت، فقال: " ويرى الإسرائيليون أن جميع هذه الكيانات لن تكون فقط غير قادرة على أن تتحد، بل سوف تشلها خلافات لا انتهاء لها.. ونظرا لأن كل كيان من هذه الكيانات سيكون أضعف من إسرائيل، فإن هذه ستضمن تفوقها لمدة نصف قرن على الأقل !.

فالمطلوب هو استخدام الأقليات لتفتيت العالم الإسلامى إلى كيانات ضعيفة؛ لضمان الأمن والتفوق للكيان الصهيونى الموظف فى خدمة المشروع الإمبريالى الغربى الكبير!.

ولقد تحول هذا التخطيط " الاستعمارى- الصهيونى" إلى الممارسة والتطبيق على أيدى "ديفيد بن جوريون " ١٨٨٦- ١٩٧٣م و "موشى شاريت " ١٨٩٨- ١٩٦٥م و "موشى ديان"، فى حقبة خمسينيات القرن العشرين، ابتداء بالأقلية المارونية فى لبنان، وطموحا إلى تعميمه خارج لبنان. وكتب "شاريت " فى مذكراته عن المقاصد من وراء اللعب بأوراق الأقليات فى بلادنا، يقول إنها:

أولاً: تثبيت وتقوية الميول الانعزالية للأقليات فى العالم العربى.

ثانياً: إذكاء النار فى مشاعر الأقليات المسيحية فى المنطقة، وتوجيهها نحو المطالبة بالاستقلال والتحرر من الاضطهاد الإسلامى !!.. فمجرد تحريك الأقليات هو عمل إيجابى، لما قد ينتج عنه من آثار تدميرية على المجتمع المستقر "!

وفى مرحلة ثمانينيات القرن العشرين، ورغم الحديث عن" السلام والتسوية.. وتطبيع العلاقات " بعد " المعاهدة المصرية- الإسرائيلية " سنة ١٩٧٩م.. نجد أن هذا المخطط التفتيتى لعالمنا الإسلامى بواسطة الأقليات، هو من" الثوابت" الاستعمارية الصهيونية التى لا تتأثر" بالمتغيرات"، حتى لو سميت هذه المتغيرات "بالسلام.. وتطبيع العلاقات "!.

ففى المحاضرة التى ألقاها "إرييل شارون "- وكان يومئذ وزيراً للدفاع- فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩٨١م- والتى نشرتها مجلة" معاريف " نراه يقول: إن إسرائيل تصل بمجالها الحيوى إلى أطراف الاتحاد السوفيتى شمالاً، والصين شرقا، وأفريقيا الوسطى جنوباً، والمغرب العربى غربا.. وهذا المجال الحيوى عبارة عن مجموعات قومية وإثنية ومذهبية متناحرة ".

ثم يواصل " شارون " الحديث عن مشروعات تفتيت العالم الإسلامى، بواسطة الأقليات- على النحو الذى سبقه إليه "برنارد لويس" - حتى يكون هذا العالم الإسلامى "مجالاً حيوياً لإسرائيل ".

وفى ذات الحقبة- ثمانينيات القرن العشرين- تصوغ "المنظمة الصهيونية العالمية" هذا المشروع التفتيتى تحت عنوان: " استراتيجية إسرائيل فى الثمانينيات " وتنشره فى مجلتها الفصلية" كيفونيم Kivunim الاتجاهات - فى عدد ١٤ فبراير سنة ١٩٨٢م-.. وفى ثنايا هذا المخطط الاستراتيجى تتحدث عن النجاحات التى حققتها إسرائيل فى لبنان- إبان الحرب الأهلية اللبنانية ١٩٧٥- ١٩٨٩م بواسطة قطاع من الأقلية المارونية السياسية - باعتباره النموذج الواجب التعميم مع كل الأقليات.. فتقول "المنظمة الصهيونية العالمية ":"

إن تفتت لبنان بصورة مطلقة إلى خمس مقاطعات إقليمية هو سابقة للعالم العربى بأسره، بما فى ذلك: مصر وسوريا والعراق وشبه الجزيرة العربية.. إن دولاً مثل: ليبيا والسودان والدول الأبعد منها- فى المغرب - لن تبقى على صورتها الحالية، بل ستقتفى أثر مصر فى انهيارها وتفتتها، فمتى تفتتت مصر تفتت الباقون- (!!!). إن رؤية دولة قبطية مسيحية فى صعيد مصر، إلى جانب عدد من الدول ذات سلطة أقلية- مصرية، لا سلطة مركزية كما هو الوضع الآن، هو مفتاح هذا التطور التاريخى الذى أخرته معاهدة السلام ، لكنه لا يبدو مستبعدا فى المدى الطويل.

وإن تفتت سوريا والعراق لاحقاً إلى مناطق ذات خصوصية إثنية ودينية على غرار لبنان هو هدف من الدرجة الأولى بالنسبة لإسرائيل.. ولأن العراق أقوى من سوريا، وقوته تشكل فى المدى القصير خطرا على إسرائيل أكثر من أى خطر، فهو المرشح المضمون لتحقيق أهداف إسرائيل فى التفتيت، فتفتيت العراق هو أكثر أهمية من تفتيت سوريا.

وشبه الجزيرة العربية بأسرها، مرشح طبيعى للانهيار، وأكثر اقترابا منه، بفعل ضغط داخلى وخارجى، وهذا أمر غير مستبعد فى معظمه، خصوصا فى السعودية.

والأردن هدف استراتيجى فى المدى القصير.. فليس هناك أى إمكان، بأن يبقى الأردن قائماً على صورته وبنيته الحاليتين فى المدى الطويل. وينبغى أن تؤدى سياسة إسرائيل- حرباً أو سلماً- إلى تصفية الأردن بنظامه الحالى..ثم تخلص هذه " الاستراتيجية"- بعد التفصيل لمخطط التفتيت للعالم الإسلامى بواسطة الأقليات- إلى أن هذا هو: "ضمان الأمن والسلام فى المنطقة بأسرها فى المدى الطويل.. ففى العصر النووى لا يمكن ضمان بقاء إسرائيل إلا بمثل هذا التفكيك، ويجب من الآن فصاعدا بعثرة السكان، فهذا دافع استراتيجى، وإذا لم يحدث ذلك، فليس باستطاعتنا البقاء مهما كانت الحدود ".

وفى حقبة التسعينيات- من القرن العشرين- تعود المؤسسات الصهيونية

للتأكيد على ثبات ثوابت هذه الاستراتيجية".. فيدعو "مركز بارايلان للأبحاث الاستراتيجية "- التابع لجامعة بارايلان الإسرائيلية- إلى ندوة عقدت فى ٢٠ مايو سنة ١٩٩٢م، وشاركت فيها وزارة الخارجية الإسرائيلية بواسطة" مركز الأبحاث السياسية". التابع لها، وأسهم فيها باحثون من" مركز ديان " التابع لجامعة " تل أبيب " وذلك حول الموقف الإسرائيلى من الجامعات الإثنية والطائفية فى منطقة الشرق الأوسط ".. وقد ناقشت هذه الندوة أحد عشر بحثا، دارت جميعها حول تأييد إسرائيل للنزعات الانفصالية للجماعات العرقية والإثنية والاعتبارات الكامنة وراءه "- وهذا هو عنوان أحد أبحاث هذه الندوة !!-..

وقد خلصت أبحاث ومقررات هذه الندوة إلى أن هذه الأقليات.. هى شريكة لإسرائيل فى المصير، ولا بد من أن تقف مع إسرائيل فى مواجهة ضغط الإسلام والقومية العربية، أو تبدى استعدادا لمحاربتهما أو مقاومتهما، وهى حليف وقوة لإسرائيل لتنفيذ سياسة الاستيطان، والدولة التى مازالت فى مرحلة التكوين !

**مخطط تفتيت مصرو.. وثيقة إسرائيل في الثمانينات**

جاء في مجلة المنظمة الصهيونية " الاتجاهات " كيفونيم khvanhm في ١٤ فبراير سنة ١٩٨٢م تقول:

" إن مصر المفككة والمنقسمة إلي عناصر سلطوية كثيرة وليس علي غرار ما هي اليوم لا تشكل أي تهديد لإسرائيل، وإنما ضمانة للأمن والسلام لوقت طويل وهذا في متناول أيدينا اليوم .."

تحدثت هذه الوثيقة عن أن تفتيت مصر هو مفتاح تفتيت كل بلاد العروبة والإسلام، فقالت بالحرف: " إن دولا مثل ليبيا والسودان والدول الأبعد منهما لن تبقي طويلا علي صورتها الحالية، بل ستقتفي أثر مصر في انهيارها وتفتتها فمتي تفتتت مصر تفتت الباقون . إن رؤية دولة قبطية مسيحية في صعيد مصر، إلي جانب عدد من الدول ذات سلطة أقلية مصرية لا سلطة مركزية كما هو الوضع الآن، هو مفتاح هذا التطور التاريخي الذي أخرته معاهدة السلام، لكنه لا يبدو مستبعدا في المدي الطويل .. "

## بدايات تنفيذ المخطط والتنظيمات القبطية

في النصف الأول من الخمسينات من القرن العشرين ظهرت " جماعة الأمة القبطية " التي تدعو إلي " تحرير مصر من الإسلام والمسلمين، ثم بدأت موجات الهجرات القبطية إلي الخارج - وبالذات إلي أمريكا وكندا واستراليا .. موجة عقب قانون الإصلاح الزراعي بمصر سنة ١٩٥٢م وثانية بعد تمصير الشركات الأجنبية سنة١٩٥٧م عقب هزيمة العدوان الثلاثي في سنة ١٩٥٦م .. وغلب علي هذه الهجرات روح الثأر والانتقام من ثورة يوليو، التي حرمت هؤلاء المهاجرين من الاستغلال الإقطاعي .. ومن سيطرتهم - مع أنهم أقلية - علي الشركات في حقبة سيطرة رأس المال الأجنبي المتحالف مع الاستعمار .. والتقطت أجهزة المخابرات المعادية، والدوائر الصهيونية كثيرين من هؤلاء المهاجرين .. وتكونت - منذ ذلك التاريخ - بدايات التنظيمات القبطية المعادية لوحدة مصر الوطنية ولعروبتها وهويتها الحضارية الإسلامية ..

أعلن عن قيام حكومية قبطية في المنفي في ألمانيا، وظهر من يسعي إلي إحياء اللغة القبطية، لا كلغة آثارية وتاريخية لأهل الاختصاص، وإنما لتحل محل اللغة القومية العربية ! ... حتي ليصل الأمر إلي حد أن يعلن الرجل الثاني في الكنيسة الأرثوذكسية - الأنبا غريغروس - في صحيفة وطني ٣٠ يوليو ٢٠٠٠م:

" إن اللغة القبطية هي لغتنا بوصفنا قبطا .. وهي تراث الماضي ورباط الحاضر !! وهي أعظم الدعائم التي يستند إليها كيان الشعب المسيحي، وإن إهمالنا للغة القبطية كان من أكبر العوامل التي عمل بها المستعمر الدخيل فقضي علي الفوارق التي كان لابد من بقائها لتكون سورا يحمي كياننا من الانصداع ووحدتنا من التفكك " ..

هم يحيون اللغة القبطية لتكون سورا بين الشعب " المسيحي" وبين " المستعمر الدخيل " أي المسلمين المصريين !!

صاحب ذلك جهود التحول إلي الأسماء الأوربية الغربية بدلا من الأسماء

المصرية والعربية !! وشيوع عبارات ومصطلحات " الشعب المسيحي " و " الشعب القبطي " و " الطائفة " بدلا من الشعب المصري !! [1]..

تزامن مع اشتعال الحرب الطائفية فى لبنان- فى سبعينيات القرن العشرين- غواية عدد من الشباب القبطى المصرى بالاشتراك مع المارونية السياسية فى هذه الحرب !. واجتذبت الأصابع الصهيونية فى أمريكا قطاعاً من أقباط المهجر- وخاصة فى أمريكا وكندا وأستراليا- لتكوين" الهيئات القبطية" الداعية إلى ما نسميه "تحرير مصر القبطية من استعمار العروبة والإسلام "!!..

أفضت هذه الأنشطة الطائفية، المواكبة لهيمنة العولمة الأمريكية، والمدفوعة والمدعومة من " اللوبى الصهيونى" ومنظمات وكنائس "التحالف المسيحى" و"المسيحية الصهيونية".. أفضت إلى إصدار "الكونجرس الأمريكى " فى أكتوبر سنة ١٩٩٩م، لقانون الحريات الدينية الدولية " الذى فرض الحماية الأمريكية على الأقليات الدينية- وخاصة فى العالم الإسلامى- وقنن لآليات إيقاع العقوبات الأمريكية على الدول التى لا ترضى عنها أمريكا فى هذا المجال!..

وليس صدفة أن صدور هذا القانون قد جاء ثمرة لحملة إعلامية بدأهـــا محام يهودى- هو "مايكل هورو فيتز"Michael Horowz- فى ٥ يوليو سنة ١٩٩٥م، ثم تلقفت الخيط المؤسسات والكنائس " المسيحية الصهيونية" و"التحالف المسيحى" و"المحافظون الجدد لتفضى هذه الحملة- الموجهة بالأساس إلى العالم الإسلامى - إلى قانون "الحماية والعقاب " - كما أسماه بحق الكاتب " سمير مرقص ".

وليس صدفة كذلك أن تجد هذه المخططات "مراكز أبحاث " ممولة من أمريكا والغرب، تركز على اللعب بورقة الأقليات فى بلادنا.. وتدعو إلى تطبيق ذات المخطط الذى دعا إليه "برنارد لويس" و "بن جور يون " و "موشى شاريت " و "موشى ديان " و "إرييل شارون " و "المنظمة الصهيونية العالمية ".. مخطط تفتيت العالم الإسلامى إلى كيانات سياسية- نعم! سياسية- على أساس الدين

---

(١) ارجع إلي د. محمد عمارة – المرجع السابق

والعرق والمذهب.. أى تحويل التنوع من نعمة ومصدر قوة إلى نقمة وتشرذم وتفتيت..!!

وتحويل الأقليات من لبنات فى بناء الأمة والأمن الوطنى والقومى والحضارى إلى ثغرات اختراق، وأسباب للانهيار و الدمار.. فيكتب رئيس أحد أهم هذه "المراكز البحثية" يقول بالنص: " إن المجتمعات التى تتسم بالتعددية الإثنية فى الوقت الحالى ينبغى أن تكون متعددة من الناحية السياسية أيضاً".

ومع هذه الغواية الأجنبية التى استجابت لها ووقعت فى شباكها جمعيات وجماعات طائفية تعيش فى المهجر؛ متعاونة مع الصهيونية وقوى الهيمنة الإمبريالية.. وقلة قليلة من غلاة العلمانيين والطائفيين فى الداخل، يستخدم المخطط الغربى- وخاصة الأمريكى- السلاح الاقتصادى فى إذكاء الصراع الطائفى، فبواسطة المعونات الأمريكية الموجهة إلى القطاع الخاص، وتوكيلات الاستيراد والتصدير، والمعونات الموجهة للمشروعات التنموية الصغيرة يتم التمييز الطائفى ؛ لإيجاد واقع اجتماعى يمزقه "ثراء الأقلية" و" حرمان الأغلبية "!، لا حباً فى سواد عيون الأقلية، وإنما لتأجيج الصراع الطبقى ذى الطابع الطائفى؛ تكرارا للتجربة التى سبق وصنعها الاستعمار- وآتت ثمراتها- فى لبنان، وإغناء الأقلية المارونية وإفقار الأكثرية المسلمة وخاصة الشيعة منها، الأمر الذى أحدث- فى لبنان- ويحدث الآن تراجعا للسماحة والتسامح، و "فرزا طائفياً" على نحو غير معهود.. كما يخلق ضيقاً بالآخر" وتضييقاً على بعض حقوقه الطبيعية والمشروعة، كالحال مثلاً فى موقف العامة والجمهور من بناء دور العبادة فى بعض البلاد، بينما النهج الإسلامى يفتح الطريق أمام الحريات فى هذه الميادين، حتى ليحض الدولة على إعانة غير المسلمين فى بنائها.

### التسلل الأمريكي

منذ منتصف القرن التاسع عشر بدأت أمريكا تشعر بقوتها وترسل إرسالياتها التبشيرية إلى العالم ومنه مصر. يقول الدكتور محمد مورو في كتابه الهام" يا أقباط مصر انتبهوا ": وفى أوائل عقد السبعينات في القرن التاسع عشر

١٨٧٠- نصب الأنبا كيرلس الخامس بطريركا للأقباط وواصل مقاومته للتيار التبشيري وسافر البطريرك إلى أسيوط ونشط في مقاومة الإرساليات وأمر بتجريد قسيس من رتبته لسماحه لأخيه المتخرج من مدرسة الإرسالية الأمريكية بالخدمة في الكنيسة القبطية كما أصدر مطران أسيوط فرمانا كنسيا لثلاثة من تلاميذ الإرسالية، وأمر البطريرك بإحراق كل الكتب البروتستانتية في أسيوط، ثم سافر إلى أبو تيج وإخميم حيث أغلقت مدرسة الإرسالية هناك.وبالطبع لم تيأس أمريكا التي كانت تؤسس لمشروعها الأضخم عابر القارات والقرون، فتتسلل من الباب الخلفي إلى المثقفين، وليسوا بمثقفين وإنما هم الذين استسلموا للغواية.

يقول الدكتور مورو:

بدأت عناصر من المثقفين الأقباط والمتأثرين بالحضارة الغربية، ومعهم عدد من كبار الأغنياء الأقباط والوجهاء المرتبطين بالمصالح الاقتصادية بالمشروع الاستعماري الأوروبي. بدأ هؤلاء جميعا محاولتهم للسيطرة على المجتمع القبطي. بدأوا بالسيطرة على المجالس الملية، أو قل: ضغطوا على البابا كيرلس الخامس لاستحداثها لتكون وسيلة من وسائل تأثير القوة الثالثة على المجتمع القبطي والكنيسة القبطية. وسرعان ما دب الخلاف بين هذه المجالس الملية وبين البابا كيرلس الخامس. وحدث الصدام بين البابا كيرلس الخامس وبين بطرس غالى الذي كان يرأس تلك المجالس الملية. إلا أن الشعب القبطي وقف مع البابا في هذا الصراع. وحاولت عناصر تلك القوة الثالثة المتمثلة في الوجهاء- المثقفين المغتربين- كبار الأغنياء الأقباط- الإطاحة بالبابا كيرلس الخامس. وتنصيب بابا جديد من المؤمنين باتجاهاتهم والموالين لسياساتهم. واستعان بطرس غالى والمجلس الملي بالاحتلال وبالخديوي ونجح هؤلاء في استصدار قرار بتعيين بطريرك آخر مكان الأنبا كيرلس الخامس. إلا أن الإكليروس القبطي ومعه الشعب القبطي تجمعوا ومنعوا الأنبا الجديد من دخول مقر البطريركية، وكانوا يهتفون ارجع يا محروم ..

وكانت هذه التجارب مدعاة لإدراك ضرورة السيطرة بالزحف الهادىء.

على الإكليروس وعلى كرسي البطريركية، وليس بالانقلاب السافر عليها. وهكذا تم دفع عدد من شباب القوة الثالثة وخاصة من خريجي الجامعات إلى التحاق بالأديرة طلبا للانخراط في سلك الرهبنة (...) وكذلك تم الاهتمام بالسيطرة على أقباط المهجر في أمريكا وكندا واستراليا وأوروبا، ليكونوا من دعاة القوة الثالثة ومن عناصرها النشيطة التي تعمل على ربط القوة الثالثة في مصر بالكنائس الأوروبية، وتحقق لها أيضا من خلال العمل في المهجر النفوذ السياسي والدعم المالي.

وفى سنة ١٩٥٩ انحازت عناصر تلك القوة الثالثة إلى انتخاب البابا كيرلس السادس على أساس أنه يمثل حلقة وسيطة، لأن قوتهم لم تكن تسمح بتصعيد بطريرك من داخلهم. وتمسك البابا كيرلس السادس بالتراث القبطي التقليدي، إلا أنه سمح للقوة الثالثة بالنفوذ إلى المجتمع القبطي عن طريق إنشاء أبرشيات جديدة يتولون إدارتها لرئاستها. وفى سنة ١٩٧١، توفى البابا كيرلس السادس ووجدت القوة الثالثة أن الفرصة مواتية فلديهم الكثير من العناصر في الإكليروس القبطي، كما أن الظروف المحلية والدولية في ذلك الوقت كانت تسمح بذلك، وهكذا جاء البابا شنودة الثالث وأصبح بطريركا للأقباط سنة ١٩٧١

.فلنترك الدكتور مورو قليلا..كانت تلك الحقبة هي التي تفجرت فيها رغبة أمريكا المحمومة في السيطرة على العالم.. أو على الأحرى كان الغطاء قد انكشف عنها فظهر ما كان مستورا.. كانت قد خرجت منتصرة من الحرب فتسللت إلى كل دول العالم للسيطرة عليها.. وانقلبت حتى على أخلص حلفائها لتحل محلهم في المستعمرات، و كانت أقسى لحظات حياة تشرشل حين أدرك أنه لا يتعامل مع الحليف والصديق بل مع عدو مصرٌ على التهامه، وهو نفس الشعور الذي شعر به أنتوني إيدن عام ١٩٥٦م. وقد ترتب على هذا أن بريطانيا وهي تجلو عن اليمن الجنوبي سلمته للشيوعيين نكاية في أمريكا. كانت أمريكا تتمدد في العالم كله، في آسيا و إفريقيا و أمريكا اللاتينية، وكانت كوريثة قيصر تركز على بلاد المسلمين.. كانت قد استولت – بلا غزو ولا تزال – على السعودية واستعادت إيران وبدأت سياسة الانقلابات في سوريا ودعمت الانقلاب في مصر.

**واقع أقباط مصر.. أسعد أقلية في العالم:**

**وشهد شاهد من أهلها !!**

يقول " الأنبا موسى"- أسقف الشباب فى الكنيسة الأرثوذكسية المصرية، وهو من عقلاء وحكماء هذه الكنيسة-: إن الأقباط جزء هام من نسيج الحياة المصرية.. فهم أطباء وصيادلة ومهندسون، وغيرها من المهن، ونسبتهم فى رجال الأعمال مرتفعة أكثر من نسبتهم العددية فى مصر.."

هذه الفوارق الاقتصادية والاجتماعية المستفزة تشير إليها أرقام إحصاءات رصدتها مصادر علمانية تقول: إن الأقلية النصرانية فى مصر- والتى تقل نسبتها فى السكان عن ٦%.. والتى كان يصفها الشيخ محمد الغزالى عليه رحمة الله ١٣٣٥- ١٤١٦هـ،١٩١٧- ١٩٩٦م بأنها "أسعد أقلية فى العالم"- تملك من ثروة مصر ما بين ٣٥% و٤٠%! فهى تملك وتمثل ٢٢,٥% من الشركات التى تأسست ما بين سنة ١٩٧٤م وسنة ١٩٩٥م- سنوات الانفتاح والمعونات الأمريكية، و ٢٠% من شركات المقاولات فى مصر، و٥٠% من المكاتب الاستشارية،و ٦٠% من الصيدليات، و٤٥% من العيادات الطبية الخاصة.، و ٣٥% من عضوية غرفة التجارة الأمريكية، وغرفة التجارة الألمانية. و ٦٠% من عضوية غرفة التجارة الفرنسية - منتدى رجال الأعمال المصريين والفرنسيين - و ٢٠% من رجال الأعمال المصريين، و ٢٠% من وظائف المديرين بقطاعات النشاط الاقتصادى بمصر، و أكثر من ٢٠% من المستثمرين بمدينتى السادات والعاشر من رمضان، و ١٥,٩% من وظائف وزارة المالية المصرية و ٣٥% من المهن الممتازة والمتميزة: الصيادلة.. والأطباء.. والمهندسين.. والبيطريين.. والمحامين. وذلك فضلاً عن أن هذه الأقلية نادرا ما يعانى أحد منها من المشكلات التى تطحن الأغلبية سواء: البطالة.. والأمية.. وأزمات الزواج.. والإسكان.. إلخ.

**واقع الأقليات المسلمة في العالم**

يبلغ عدد المسلمين في الهند أكثر من مائة مليون ١٥% من السكان

يذبحون ويحرقون أو يغرقون أحياء وينكل بهم أيما تنكيل.. وفي الصين يبلغ عدد المسلمين ١٢٠ مليونا ١١% من السكان وقبل أن يتشكك القارئ في العدد الهائل عليه الرجوع إلى كتاب نشره كتاب اليوم أكتوبر ٢٠٠٥ بعنوان "المسلمون في الصين" .. وسلسلة كتاب اليوم هذه ليست تابعة لطالبان ولا للشيخ المجاهد أسامة بن لادن ﷺ بل لمؤسسة أخبار اليوم.. وهي مؤسسة نبتت في البداية في رحم الأمريكيين.. ولم تثر حولها طيلة تاريخها أية شبهة للتعاطف مع الإسلام أو المسلمين..ينال المسلمون في الصين حقهم الكامل من السحق والتذويب رغم أن نسبة عددهم تصل إلى ضعف نسبة عدد الأقباط في مصر..وفي روسيا حوالي أربعين مليونا من المسلمين ٢٠% من السكان ينكل بهم منذ ثلاثة قرون على الأقل.. سحقوا وحرموا من ممارسة أي شعيرة من شعائر دينهم وكان القتل نصيب من يكتشفون أنه ما يزال مسلما.. نعم..

عانى المسلمون في روسيا من شتى صنوف التعذيب والاضطهاد ومنعوا من إقامة الصلاة والصيام والحج والزكاة حتى الكتب الدينية والمصاحف لم تسلم من الروس فمنعوا طباعتها، وتم إنشاء مدارس لتلقين أصول الإلحاد وخلق جيل إسلامي لا يعرف عن الدين شيئا وانتشرت الكتب والمجلات التي تشوه صورة الإسلام والمسلمين.وعندما حاولت أذربيجان المسلمة الاستقلال تعرضت لما يشبه حرب صليبية حتى يخبو صوتها، وفي الشيشان تعرض أهلها لشتى أفانين البطش والتعذيب فكان يتم نقل الأهالي في عربات الماشية ويتم إلقاؤهم بمجاهل الصحراء، وتعرضوا لشتى أنواع التعذيب والتصفية الجسدية، وتم طرد المسلمين من منازلهم وضياعهم واستولوا على ممتلكاتهم. نعم..

كان عدد المسلمين داخل ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي أربعون مليونا، ويلاحظ أن عدد الولايات أو الأقاليم الستة عشرة منها ستة أقاليم يمثل المسلمون فيها أكثرية تبلغ في بعضها ٩٥% وبالطبع تلاشت هذه الأكثرية وتحولت إلى أقلية؛ فألغيت المحاكم الشرعية في المناطق الإسلامية عام ١٩٢٦م، ومنعت الأنشطة الإدارية الدينية واشتدت حملات الإرهاب الشرسة ضد المسلمين فاعتقل ابتداء من عام ١٩٢٨م أكثر من مليون ونصف المليون من المسلمين، وفي عام

١٩٢٩م أغلقوا وهدموا أكثر من عشرة آلاف مسجد، وأكثر من أربعة عشر ألف من المدارس الإسلامية.

واتبعت الشيوعية أساليب ترجو من ورائها إذابة المسلمين وتمييع كيانهم، وكان لمحنة الأقليات المسلمة في الإتحاد السوفيتي أبعاداً ذات خطورة لا يتصورها عقل بشري وخاصة ونحن في القرن العشرين ، حيث هيئة الأمم المتحدة، ومجلس الأمن ومحكمة العدل الدولية، ولجنة حقوق الإنسان والقانون الدولي العام.وفي بلغاريا يتم إجبار المسلمين على تغيير أسمائهم..دعنا من أسبانيا.. فلم يعد فيها أية أقلية مسلمة.. أبيد الجميع أو طردوا بعد أن سُرقوا ونكل بهم..هل يتمتع المسلمون في أي من هذه البلاد بما يتمتع به الأقباط في مصر؟! ..

بل لقد بلغ الأمر أن هناك بلادا كالحبشة يصل تعداد المسلمين فيها إلى ٦٥% محرومون من حقوقهم السياسية حرماناً كاملاً، لا وزير لهم في الحكم، ولا رجل في منصب حيوي. ولا يدرس لأبنائهم الإسلام في مدارس الدولة التي يشرف عليها النصارى، ولا يتاح لهم أن يفتحوا مدارس لتعليم أبنائهم القرآن والدين.وفي فرنسا، قلب الحضارة الغربية، تقوم دعوة متزايدة تنادي بطرد المسلمين من فرنسا، وارتكب أصحاب تلك الدعوة أعمالا وحشية، فألقت بخمسة من المسلمين من قطار " المترو " أحياء، أثناء سير القطار، فقتلوا على التو. وتهاجم مظاهراتهم المسلمين – والنساء المحجبات خاصة – في طرقات باريس، مدينة النور، وإحدى كبريات عواصم " العالم الحر "! هذا والمسلمون في فرنسا هم الأغلبية الثانية بعد النصارى، ويبلغ عددهم خمسة أو ستة ملايين.

ومع كل ذلك تصدر القوانين الأمريكية لحماية " أسعد أقلية فى العالم"!..

ويأتى أعضاء الكونجرس الأمريكى والدبلوماسيون الأمريكيون والغربيون "ليفتشوا " عن أحوالهم، ويرفعوا التقارير التى تتحدث عن "اضطهادهم "!!..

وتطلب توقيع العقوبات على مصر وشعبها، وفق القانون الأمريكى– قانون "الحماية والعقاب"!.. وتصدر "الهيئات القبطية" فى المهجر الكتب والنشرات داعية إلى تحرير هذه الأقلية من العروبة والإسلام!..

هذا هو"الفعل الاستعماري" في المسألة الطائفية.. وتلك هي "ردود الأفعال" على هذه التحديات في تطبيقاتها على الأقلية القبطية في مصر.. وهي أكبر الأقليات النصرانية العربية عدداً، وأهم الأوراق التي يحاول الغرب اللعب بها !.

**إذن ماهو الحل؟!**

إذا كنا نحذر من "الفعل الاستعماري " و النزعة الطائفية الانعزالية" التي تعمل على إحياء اللغة القبطية- كما أحيت الصهيونية العبرية- كي تحل محل اللغة العربية، التي هي اللغة الوطنية والقومية والحضارية للأمة كلها، على اختلاف أديانها!.. فإننا ندعو إلى أن تتحمل الأغلبية مسئولياتها الكبرى في مواجهة هذه التحديات، وفي قطع الطريق على مخططاتها.. وذلك عن طريق:

١- حل المشكلات الحقيقية التي تعاني منها الأقليات، باعتبارها جزءا من الأمة، وباعتبار مشكلاتها جزءاً من مشكلات الأمة.

٢- إدارة حوار داخلي بين "الحكماء لتحديد وتمييز "المظالم " الحقيقية من "الأحاسيس الزائفة أو المتضخمة بالظلم "! فالحكماء في مختلف الفرقاء كثيرون وهم الممثلون للأغلبية.. وحوارهم هو السبيل لقطع الطريق على القلة العميلة والمعادية، التي صنعها ويغذيها الاستعماريون والصهاينة.. وقطع الطريق على الغلو الديني عند مختلف الأطراف.

٣- إعمال المنهاج الإسلامي في "مداواة الجراح" بدلا من" توسيع هذه الجراح".. فمن الخطأ والخطيئة الإكتفاء" بردود الأفعال " وخاصة تلك التي تصدر عن العامة والجماهير.. فالتحصين ضد الغوايات، وإقالة العثرات هو الأولى بالاتباع، وليس تصيد الأخطاء.وعلينا أن نتذكر ما صنعته الأمة- قبل قرنين من الزمان- عندما نجحت غواية الحملة الفرنسية على مصر في اجتذاب "المعلم يعقوب حنا و" الفيلق القبطي" الذي قاده.. فسقطوا في حظيرة الخيانة لأمتهم وطائفتهم وكنيستهم.. فلقد صدر العفو- بعد هزيمة هذه الحملة سنة ١٨٠١م- عن الذين استجابوا لهذه الغواية.. وصدرت" الفرمانات السلطانية" التي أعلنت هذا العفو، والتي تحذر من الانتقام، ومن فتنة لا تعيد بهم الذين ظلموا

خاصة.. ولقد تحدث "الجبرتى" عن هذا المنهاج فى مداواة جراح تلك الغواية، فقال: "لقد نودى بأن لا أحد يتعرض بالأذية لنصرانى ولا يهودى، سواء كان قبطيا أو روميا أو شاميا، فإنهم من رعايا السلطان، والماضى لا يعاد.. وكتبت فرمانات وأرسلت إلى البلاد - فى الأقاليم - مضمونها: الكف عن أذية النصارى واليهود وأهل الذمة، وعدم التعرض لهم، وفى ضمنها - أى الفرمانات - آيات قرآنية وأحاديث نبوية، والاعتذار عنهم بأن الحامل على تداخلهم مع الفرنساوية: صيانة أعراضهم وأموالهم.. كما قرئت فرمانات.. فيها: التنويه بذكر أعيان الكتبة الأقباط، والوصية بهم ".

فالأقليات جزء أصيل من نسيج الأمة، لهم كل ما للأمة من الحقوق، وعليهم جميع ما عليها من الواجبات.. ومسئولية الأغلبية فى صد الغوايات، ومعالجة جراحاتها أكبر بكثير- من مسئولية الأقليات.

هكذا بدأ.. واستمر.. ويتم اللعب بأوراق الأقليات الدينية.. والقومية- غير المسلمة وأيضا المسلمة- فى وطن العروبة وعالم الإسلام.. وهكذا يجب الوعى بمخاطر هذه التحديات التى تواجه وحدة الأمة وتقدمها.

**٤- نظرة إلى المستقبل:**

وإذ كانت هذه التحديات التى تواجه الأقليات فى واقعنا الراهن.. ويواجه بها المشروع الاستعمارى- الصهيونى أمتنا، محاولا استخدام أوراق هذه الأقليات لتفتيت الأمة، فما هو الحل الذى نواجه به هذه التحديات؟؟..

إننا إذا استثنينا حل التجزئة والتفتيت للأمة، على أسس دينية ومذهبية وقومية- لأنه ليس حلا وإنما هو المشكلة والتحدى- فإن هناك مشروعين يتم الحديث عنهما لتحقيق التحصين لجسد الأمة ضد هذه التحديات:

أولهما: **الحل العلمانى**، الذى يبشر به العلمانيون، والذى يتصور أصحابه أن العلمانية التى تستبعد المرجعية الإسلامية من السياسة والدولة والقانون والدستور ومشروع النهضة- هى الحل لمشكلة الأقليات فى بلادنا، كما مثلت- برأيهم- الحل لهذه المشكلة فى النموذج الحديث والمعاصر للمجتمعات الغربية.

**وثانيهما: هو الحل الإسلامى،** الذى بدأ به الإسلام التعامل مع الآخر كل ألوان الآخر، والذى حول الإسلام به هذا الآخر إلى جزء من الذات ذات الدين الإلهى الواحد، فى ظل المرجعية الإسلامية الواحدة.. والذى كان له الفضل فى إنقاذ أهل الديانات الأخرى من الإبادة، حتى لكأن وجودها وبقاؤها فى الشرق هو هبة هذا الحل الإسلامى.. كما أنه هو الحل الذى عرفته الأمة، واندمج به الآخرون مع المسلمين فى أمة واحدة، عبر هذا التاريخ الطويل ..

**يقول د. محمد عباس – الكاتب الإسلامي المعروف –:**

مخطط تفتيت العالم الإسلامي، مستمر منذ ألف عام..والأدوار الناقصة آلتي لم يكملها الاستعمار في القرن التاسع عشر تقوم أمريكا الآن بإكمالها.. لويس التاسع ملك فرنسا بعدما هزم جيشه في مصر وسجن في سجن المنصورة وأفرج عنه ذهب إلى تونس ليقيم بها عاما، ثم إلى القدس ليقيم بها أعواما ثم عاد إلى فرنسا، وهناك نصبوه قديسا ليكتب في مذكراته بعد طول تأمل : إنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب والقوة وذلك بسبب عامل الجهاد في سبيل الله .. وأن المعركة مع المسلمين يجب أن تبدأ أولاً من تزييف عقيدتهم الراسخة التي تحمل طابع الجهاد والمقاومة .. ولا بد من التفرقة بين العقيدة والشريعة ..

وطبق كرومر هذه الرؤية فقال عندما قدم إلى مصر كحاكم عسكري لها عن طريق بريطانيا جئت إلى مصر لأمحو ثلاثا: القرآن، والكعبة، والأزهر وقبلها كان نابليون عام ١٧٩٨م. ..

قدم بونابرت لليهود إغراءات واخذ يغازلهم بتقديم الوعد لهم لتمكينهم من القدس في حال مساعدتهم له في محاصرة مدينة عكا الفلسطينية وقد قدم لهم هذا الوعد رسميا بتاريخ ٢٠ أبريل ١٧٩٩م. والأمر يعود إلى ما قبل ذلك ليتصل بالحروب الصليبية آلتي توهمنا كتب التاريخ آلتي تدرس في جامعاتنا ومدارسنا ومعاهد تعليمنا أنها – أي الحروب الصليبية – قد انتهت عام ١٢٩١م رغم أنها لم تنته قط.. ولا يوما واحدا.. وفى الفترة ما بين ١٢٩١ و ١٩٢٤م نهاية الدولة

العثمانية كانت هذه الدولة الإسلامية قد خاضت أكثر من ستمائة معركة صليبية..

يقول زويمر، كما في كتاب الغارة على العالم الإسلامي : تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها .. ويقول كما في كتاب ، الإسلام في وجه التغريب : إن الغاية التي نرمي إليها إخراج المسلمين من الإسلام ليكون أحدهم إما ملحداً أو مضطرباً في دينه، وعندها لا يكون مسلماً له عقيدة يدين بها، وعندها لا يكون للمسلم من الإسلام إلا الاسم ..

ويقول المستشرق جيب في كتابه وجهة الإسلام : " تغريب الشرق إنما يقصد به قطع صلة الشرق بماضيه جهد المستطاع، في كل ناحية من النواحي .. حتى إذا أمكن صبغ ماضي الشرق بلون قاتم مظلم يرغب عنه أهله، فقدت شعوب الشرق صلتها بماضيها، ففقدت بذلك أعظم جانب من حيوتها، .. وترى في خضوعها له شرفاً كبيراً ..

لقد اصطنع كرومر ورجال الاستعمار والماسونية غطاء من الدعم والمكانة المرموقة لمروجي هذه الأفكار لتتسرب مبادئها إلى المجتمعات الإسلامية، ولا زال هذا الدعم متواصلاً ومكثفاً .

كانت الهجمة الصليبية الإنجليزية هي آلتي تصدت لتفتيت دول المسلمين منذ ثلاثة قرون، واستمرت لتغرق المنطقة منذ مطلع القرن العشرين في سيناريوهات التقسيم.. وظلت بريطانيا تمهد وتنفذ تلك التقسيمات بعد معاهدة "سايكس ــ بيكو" وكانت هي آلتي أغرقت المنطقة في مشكلات الحدود.. ونزعت العرب من انتمائهم لأرضهم الواسعة إلى حدود الانتماء للأقطار العربية الضيقة وكان إنشاء الجامعة العربية لهدفين: الهدف الأول هو التفريق ما بين العرب وبين المسلمين والهدف الثاني هو تحديد الأسس آلتي ستشتعل على أساسها الحروب الحتمية بين العرب وبين إسرائيل..

كانوا يخططون وكنا نندفع كالعجماوات.. وكان تخطيطهم إبعاد الحمية

الدينية للمطلق الإسلامي من الدخول في المعركة ضد إسرائيل.. تكمل أمريكا الآن ما لم تنجزه بريطانيا..وتتكرر المأساة.. حكام العرب يثقون اليوم بالولايات المتحدة الأمريكية كما وثقوا بالإنجليز فحملوا نيابة عنهم عبء قتال الأتراك المسلمين فيما عرف بالثورة العربية الكبرى... حيث أجهض الحلم الهاشمي وذهبت وعود "مكماهون" أدراج الرياح وتقاسم أبناء الشريف ملك أجزاء من ارض العرب تحت حماية "تاج ويستمنستر"... والشريف حسين يجتر في منفاه في قبرص مرارة فقدان حلمه الكبير بملك يرث به ممتلكات السلطان العثماني الممثل لدولة الإسلام في بلاد العرب كما كانت وعود المندوب السامي البريطاني في القاهرة.. نفس المأساة تتكرر.. العرب اليوم حاربوا العراق وأفغانستان نيابة عن أمريكا.. !أمريكا آلتي تخطط لسايكس بيكو الثانية..

# الباب الثالث

## هكذا كانت وحشية الآخر .. وما زالت !!

### معاناة أمة في معظم أقطار الأرض !!

قال تعالي: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾(آل عمران:١٨٦) .

ارتكب النصاري والغرب الصليبي جرائم بشعة باسم الدين .. انتقموا من المسلمين الأبرياء الآمنين .. ارتكبوا باسم المسيحية أبشع الآثام والمسيحية منهم براء .. ما كان المسيح عليه السلام سفاكا للدماء، ولا كان داعيا لإباحة الحرمات .. وإنما كانت دعوته رحمة ومحبة وسلاما ..

### محاكم التفتيش:

### مأساة المسلمين في الأندلس

سقطت غرناطة آخر معاقل المسلمين في بلاد الأندلس – بسبب تشتت كلمة المسلمين وتفرق صفهم واشتغالهم بالحروب الأهلية واستعانتهم بأعدائهم في قتالهم بعضهم البعض الآخر .. واستسلم أبو عبد الله – آخر ملوك بني الأحمر – لفرناندو وإيزابيلا ملكي أسبانيا الكاثولكيين، في الخامس والعشرين من نوفمبر ١٤٩١م / المحرم عام ٩٨٧هـ، وبتاريخ لاحق في ٣٠ ديسمبر عام ١٤٩٢م تم تسليم غرناطة وفق اتفاقية تنظم حقوق المسلمين وواجباتهم، وقدم الجانب النصراني المواثيق والأيمان المغلظة، وتعهد بضمان واحترام بنود تلك المعاهدة .. ولكن لم يمض علي ذلك سنوات معدودة حتي نقض الجانب النصراني مواد الاتفاقية واحدة وراء الأخري، وتعرض المسلمون لمعاملة قاسية، وأهينوا وعذبوا وصودرت أموالهم واغتصبت ممتلكاتهم وأهدرت حقوقهم، بل وفرض عليهم أن يتنصروا !! خان الملكين فيرناندو وإيزابيلا العهد، ولم يكن ليهدأ لهما

بال أويهنأ لهما عيش إلا بعد أن يحول سكان شبه الجزيرة الأيبيرية إلي الكاثولكية وتجتث جذور الإسلام ..

استلبت الحقوق، وأغلقت المساجد وحظر علي المسلمين إقامة شعائرهم، وانتهكت عقائدهم وشريعتهم .. جاء في كتاب عبد الله عنان - رحمه الله - نهاية الأندلس ص ٣١٣:

كان الأحبار يطلبون من فريناندو بإلحاح أن يعمل علي سحق طائفة محمد ﷺ من أسبانيا، وأن يطلب إلي المسلمين الذين يودون البقاء إما التنصير، أو بيع أملاكهم والعبور إلي المغرب إنقاذا لأرواحهم وحفظا لسلام المملكة، لأنه من المستحيل أن يعيش المسلمون في صفاء وسلام مع النصاري ما بقوا علي الإسلام الذي يحثهم علي مقت النصاري أعداء دينهم ..

يصف صاحب، أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر "لمجهول" كيف تم تنصير المسلمين بعد صدور المرسوم الملكي بتاريخ ١٢فبراير سنة ١٥٠٢م فيقول:

" أكرههم فريناندو علي اعتناق المسيحية سنة ٩٠٤م .. صارت الأندلس كلها نصرانية، ولم يبق فيها من يقول " لا إله إلا الله محمد رسول الله " إلا من يقولها بقلبه وفي خفية من الناس، وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الآذان، وفي مساجدها الصور والصلبان بعد ذكر الله وتلاوة القرآن، فكم من عين باكية وقلب حزين، وكم فيها من الضعفاء والمعذورين الذين لم يقدروا علي الهجرة واللحوق بإخوانهم المسلمين، قلوبهم تشتعل نارا ودموعهم تسيلا سيلا غزيرا، وينظرون إلي أولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للأوثان، ويأكلون الخنزير والميتات ويشربون الخمر التي هي أم الخبائث والمنكرات، فلا يقدرون علي منعهم ولا علي نهيهم ولا علي زجرهم، ومن فعل ذلك عوقب بأشد العقاب ... انطفأ من الأندلس الإسلام والإيمان، فعلي هذا فليبك الباكون ولينتحب المتحبون، فإنا لله وإنا لله راجعون، كان ذلك في الكتاب مسطورا، وكان أمر الله قدرا مقدورا "

هذه الوحشية التي تعرض لها المسلمون، وهذا النقض للمعاهدات، دفع

شاعرا مسلما أن يكتب قصيدة شعرية – تضم أكثر من مائة وخمسة من الأبيات – وجهها إلي الخليفة العثماني " بايزيد الثاني " ١٤٨١-١٥١٢م يصف فيها ما حل بالمسلمين في بلاد الأندلس، وما يواجهونه من تنصير وتعذيب، ويطلب نجدة الخليفة جاء فيها:

سلام عليكم من عبيد تخلفوا ... بأندلس بالغرب في دار غربة
أحاط بهم بحر من الروم زاخر ... وبحر عميق ذو ظلام ولجة
سلام عليكم من شيوخ تمزقت ... شيوبهم بالنتف من بعد عزة
سلام عليكم من وجوه تكشفت ... علي جملة الأعلاج من بعد ستره
سلام عليكم من بنات عواتق ... يسوقهم اللباط قهرا لخلوة
سلام عليكم من عجائز أكرهت ... علي أكل لحم الخنزير ولحم جيفة
أبدي لنا سلطانهم كتبا بعهد ... موثق وقال لنا هذا أماني وذمتي
فلما دخلنا تحت عقد ذمامهم ... بدا غدرهم فينا بنقص العزيمة
وخان عهودا كان قد غرنا بها ... ونصرنا كرها بعنف وسطوة
وأحرق ما كانت لنا من مصاحف ... وخلطها بالزبل أو بالنجاسة
وكل كتاب كان في أمر ديننا ... ففي النار ألقوه بهزء وحفزة
ومن صام أو صلي ويعلم حاله ... ففي النار يلقوه علي كل حالة
وفي رمضان يفسدون صيامنا ... بأكل وشرب مرة بعد مرة
وقد أمرونا أن نسب نبينا ... ولا نذكره في رخاء وشدة
وقد بدلت أسماؤنا وتحولت ... بغير رضا منا وغير إرادة

لم تكن هذه هي الرسالة الأولي التي وجهت من المسلمين في الأندلس إلي عاصمة الخلافة في تركيا .. اتجه مسلمو غرناطة في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي إلي سلطان دولة المماليك الشراكسة في مصر، الملك الأشرف قايتباي ١٤٦٨-١٤٩٦م يطلبون تدخله لإنقاذهم من الملوك المسيحيين، فأرسل قايتباي وفودا إلي البابا وإلي ملوك الدول الأوربية، تذكر لهم ما يتمتع به المسيحيون في دولته من حريات كاملة، بينما يتعرض إخوانه في الدين بأسبانيا

لشتي أنواع الظلم، وهدد بأنه سوف يتبع سياسة المعاملة بالمثل يعني التنكيل بالمسيحيين إذا لم يتوقف حكام قشتالة وأراجون وغرناطة عن هذه السياسة الحمقاء وعن طرد المسلمين من أراضيهم، وطالب برد ما صودر من ممتلكاتهم وعدم التعرض لهم، ولكن هذا التهديد لم يكن له أي ثمرة [١]..

حكم المسلمون بلاد الأندلس نحو ثمانية قرون، وأقاموا حضارة عظيمة، بسطت سلطانها علي أوروبا طوال العصور الوسطي، ثم كان سقوط غرناطة - آخر الممالك الإسلامية في الأندلس وفي ٢يناير عام ١٤٩٢م . رفع الكاردينال دبيدر الصليب علي الحمراء - القلعة الملكية للأسرة الناصرية - فكان هذا إيذانا بانتهاء حكم المسلمين والوجود الإسلامي في الأندلس .. لم تحترم المسيحية المنتصرة اتفاقاتها مع المسلمين، وباشرت عملية القضاء علي المسلمين وحضارتهم وثقافتهم، فحرم الإسلام علي المسلمين، وفرض عليه تركه، كما حرم عليهم استخدام اللغة العربية والأسماء الإسلامية العربية، وارتداء اللباس العربي، ومن كان يخالف ذلك كان يحق حيا بعد أن يعذب أشد العذاب ..ولم يبق مسلم واحد يظهر دينه ..

يقول غوستاف لوبون في كتابه " حضارة العرب " عن محاكم التفتيش:

يستحيل علينا أن نقرأ دون أن ترتعد فرائصنا من قصص التعذيب والاضطهاد التي قام بها المسيحيون المنتصرون علي المسلمين المنهزمين، فلقد عمدوهم عنوة، وسلموهم لدواوين التفتيش التي أحرقت منهم ما استطاعت من الجموع، واقترح القس بليدا قطع رؤوس كل العرب دون أي استثناء ممن لم يعتنقوا المسيحية بعد، بما في ذلك النساء والأطفال، وهكذا تم قتل أو طرد ثلاثة ملايين عربي، وكان الراهب بيلدا قد قتل في قافلة واحدة للمهاجرين قرابة مائة ألف مسلم في كمائن نصبها مع أتباعه، وكان بيلدا قد طالب بقتل جميع العرب في أسبانيا بما فيهم المتنصرين، وحجته أن من المستحيل التفريق بين الصادقين

---

(١) د. عبد الله محمد جمال الدين - المسلمون المنصرون أو المورسكيون الأندلسيون صفحة مهملة من تاريخ المسلمين في الأندلس

والكاذبين، فرأي أن يقتلوا جميعا بحد السيف، ثم يحكم الرب بينهم في الحياة الأخري، فيدخل النار من لم يكن صادقا منهم ..

ويصف مؤرخ أسباني عاش قريبا من عصر المحنة الإسلامية في الأندلس نيات الكنيسة نحو المسلمين في قوله:

" إنه منذ استولي فرديناند علي غرناطة ٨٩٧هـ: ١٤٩٢م كان الأحبار يطلبون إليه بإلحاح أن يعمل علي سحق طائفة محمد في إسبانية، وأن يطلب إلي المسلمين الذين يودون البقاء إما التنصر، أو بيع أملاكهم والعبور إلي المغرب، وأنه ليس في ذلك خرق للعهود المقطوعة لهم، بل فيه إنقاذ لأرواحهم وحفظ لسلام المملكة لأنه من المستحيل أن يعيش المسلمون في صفاء وسلام مع النصاري، أو يحافظون علي ولائهم للملوك، ما بقوا علي الإسلام، وهو يحثهم علي مقت النصاري أعداء دينهم .. "

لم تكن هذه السياسة بعيدة عما يخالج ملكي إسبانيا فرديناند الخامس وزوجته الملكة المتعصبة إيزابيلا الكاثوليكية من شعور نحو المسلمين، ولم تكن العهود التي قطعت للمسلمين بتأمينهم في أنفسهم وأموالهم واحترام دينهم وشعائرهم لتحول دون تحقيق أغراض السياسة القومية، ذلك أن فرديناند لم يحجم قط عن قطع الوعود والمواثيق متي كانت سبيلا لتحقيق مآربه، وأن يسبغ علي سياسته الغادرة ثوب الدين والورع ..

أخذت سياسة الإرهاب تجرف في طريقها كل شيئ، ونشط ديوان التحقيق أو الديوان المقدس يدعمه وحي الكنيسة وتأييد العرش إلي مزاولة قضائه المدمر .. وهكذا فإنه لم تمض بضعة أعوام علي تسليم غرناطة حتي بدت نيات الكنيسة الإسبانية واضحة نحو المسلمين .. تنصير المسلمين بالوعظ والإقناع ومختلف وسائل التأثير المادية، ولكن هذه الجهود لم تسفر عن نتائج تذكر، فجنحت الكنيسة عندئذ إلي سياسة العنف والمصادرة، وأذعنت السياسة الإسبانية لوحي الكنيسة، فأغلقت المساجد وحظر علي المسلمين إقامة شعائرهم وانتهكت عقائدهم وشريعتهم .. تمركزت حركة التنصير في غرناطة، وحول المسجد بها إلي

كنيسة سميت سان سلفادور، واحتج المسلمون دون جدوي .. تم تنصير عشرات الألوف من المسلمين .. ولم يقف الأمر عند هذا الحد فقد تم جمع كل الكتب العربية من أهالي غرناطة وأضرمت فيها النيران في ميدان باب الرملة أعظم ساحات المدينة، وذهبت ضحية هذا التصرف الهمجي عشرات ألوف من الكتب العربية هي خلاصة ما بقي من تراث التفكير الإسلامي في الأندلس ..

وما حدث في غرناطة حدث في باقي البلاد، وعم تنصير سائر أنحاء مملكة غرناطة ..

علي أن ذلك لم يقع دون ثورات ومقاومة قدم فيها المسلمون صورا فذة للبطولة والفدائية في سبيل العقيدة، ولكنهم كانوا عزلا وكانت جنود النصرانية شديدة الوطأة فمزقتهم بلا رأفة وكثر بينهم القتل وسبيت نساؤهم وقضي بالموت علي مناطق بأسرها وحول أطفالها إلي النصرانية ..

في العشرين من حزيران عام ١٥٠١ م وبتأثير من الكنيسة أصدر فرديناند وإيزابيلا أمرا ملكيا خلاصته أنه لما كان الله قد اختارهما لتطهير مملكة غرناطة من الكفرة فإنه يحظر وجود المسلمين فيها، فإذا كان بها بعضهم فإنه يحظر عليهم أن يتصلوا بغيرهم خوفا من أن يتأخر تنصيرهم، أو بأولئك الذين نصروا لئلا يفسدوا إيمانهم ويعاقب المخالفون بالموت أو مصادرة الأموال ..

ومضت سياسة الاضطهاد الأسبانية للمسلمين، فألزموا المسلمين في المدن بالسكني في أحياء خاصة بهم علي نحو ما كان متبعا مع اليهود في العصور الوسطي، وحرم علي المسلمين إحراز السلاح علنا أو سرا، ومعاقبة المخالفين بالحبس والمصادرة والموت ..

يصف أحد المؤرخين المسلمين مأساة الأندلس فيقول:

" وصارت الأندلس كلها نصرانية، ولم يبق فيها من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، إلا من يقولها بقلبه وفي خفية من الناس، وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الأذان، وفي مساجدها الصور والصلبان بعد ذكر الله وتلاوة القرآن الكريم، فكم فيها من عين باكية وقلب حزين، وكم فيها من الضعفاء

والمعذورين لم يقدروا علي الهجرة واللحاق بإخوانهم المسلمين، قلوبهم تشتعل نارا ودموعهم تسيل سيلا غزيرا وينظرون إلي أولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان ويسجدون للأوثان ويأكلون الخنزير والميتات ويشربون الخمر التي هي أم الخبائث والمنكرات، فلا يقدرون علي منعهم، ومن فعل ذلك عوقب بأشد العقاب فيالها من فجيعة ما أمرها ومصيبة ما أعظمها .. " [١]..

أرغمت السلطة والكنيسة الأسبانيتين شعبا بكامله يبلغ تعداده أكثر من مليوني وأربعمائة ألف علي التنصر أو الهجرة أو القتل في واحدة من أبشع صيغ التعامل مع المغلوب في تاريخ الإنسان [٢]..

**ممارسات تؤكد حقيقة العداء:**

**في روسيا:**

كانت روسيا القيصرية تعمل علي تنصير المسلمين بالإكراه، فكان إيفان الرابع - مثلا - يخير المسلمين في مناطق الفولجا بين اتباع النصرانية أو الطرد، أو الخراب الاقتصادي الشامل، أو التصفية الجسدية، ولم يكتف القياصرة بذلك، بل صادروا الأوقاف الإسلامية وهدموا المساجد، وأغلقوا المدارس القرآنية . وقد أدي هذا التضييق إلي هجرة عشرات الآلاف من المسلمين إلي أنحاء العالم الإسلامي ومنها بلاد الشام حيث نري آثار ذلك المسلمين الشيشان والشركس الذين هاجروا فرارا بدينهم ..

**في بلغاريا:**

يمنع المسلمون من ارتداء اللباس الإسلامي في المدارس والجامعات ومراكز العمل، بل إن الأمر يتعدي هذا الجانب إلي التدخل في اختيار اسم المولود .. أمر المسلمون في بلغاريا بتغيير أسمائهم إلي أسماء بلغارية ..تعطي للمسلمين طلبات جاهزة يسجل فيها رب الأسرة اسمه وأسماء أفراد عائلته وما يقابلها من أسماء بلغارية التي يختار لنفسه ولأفراد أسرته من بين أسماء مرفقة، ولا تتم

---

(١) ارجع إلي د.محمد عبد الله عنان – دولة الإسلام في الأندلس – القاهرة

(٢) المصدر السابق – الكتاب الرابع من دولة المسلمين في الأندلس

إجراءات الزواج إلا بأسماء بلغارية، ولا تعطي شهادات من أي نوع إلا بأسماء غير إسلامية، ولا تصرف مرتبات العمال والأجور إلا بعد تغيير الأسماء ..

## في الفلبين:

كان مثل ذلك وأشد في نهاية القرن التاسع عشر في الفلبين .. لم تترك القوات الأمريكية فلبينيا مسلما واحدا إلا قتلته!!

في نهاية القرن التاسع عشر كانت القوات الأميركية تكتسح كل أرض ظهرت عليها حركة مقاومة في الفيليبين، وكما هو الأمر الآن في العالم، لم يعد يقاوم إلا المسلمون. كانوا منذ مائتي عام يحاربون الاستيلاء على بلادهم وتنصيرها حتى جاءت القوات الأمريكية . وكذلك لم يعد في هذا البلد رافضون للوجود الأميركي لأنه لم يتبق منهم أحد"!!! ويضيف صحفي رافق الحملة ما نصه: "إن الجنود الأميركيين قتلوا كل رجل وكل امرأة وكل طفل وكل سجين أو أسير وكل مشتبه فيه ابتداءً من سن العاشرة، واعتقادهم أن الفلبيني ليس أفضل كثيرا من كلبه وخصوصا أن الأوامر الصادرة إليهم من قائدهم الجنرال "فرانكلين" كانت:"لا أريد أسرى ولا أريد سجلات مكتوبة.!!

## في البوسنة والهرسك:

في البوسنة يقول أحد ضباط الأمم المتحدة الذين خدموا البوسنة والهرسك أنه قضي شهورا طويلة لا يستمع إلا لطلقات الرصاص والبنادق ولا يري سوي قذائف الصرب التي كانت تتوالي تباعا علي المسلمين في مذبحة سربرنتشيا المروعة..اعترف قائد القوات الصربية فوشتيك لمجلة ديرشبيجل الألمانية وقال بالحرف الواحد:

"لقد قتلت وحدي مئات المسلمين، وقمت شخصياً بإطلاق الرصاص على الأسرى المسلمين للقضاء عليهم"، وعندما نبهته المجلة إلى المعاهدات الدولية التي تحرم قتل الأسرى قال: بأنه "لما لم يجد سيارات لنقلهم، وجد أن أرخص طريقة هو قتلهم بالجملة، مثلما أجهز رفاقه الصرب على ٦٤٠ مسلماً كانوا يختبئون في مخبأ"، كما ذكر: "أن من لم يقتله كان يقوم أحياناً بخرق عينيه

وتعذيبه، وانه كان يلجأ إلى تهشيم أيدي الأسرى ببطء حتى يعترفوا بما يريد"، وحين سؤل عن هدف الحرب التي تخوضها القوات الصربية في البوسنة صرح بقوله: "المسلمون في أوربا يجب أن يختفوا كامة، وأن على المسلمين في البوسنة إعلان تحولهم عن الإسلام وأن يصبحوا صربيين أو كروات أما الخيار الثالث فهو الموت، وإن بيننا وبين المسلمين الألبان في كوسوفو ثأر وسنقوم بطردهم ومن يرد البقاء سنقتله، لا نريد مسلمين بيننا أو حتى في أوربا كلها"، كما يؤكد حقيقة العداء بين الغرب والإسلام ما صرح به جزار الصرب الأرثوذكس الأصوليين سلوبودان ميلو سوفيتش، وذلك حين سئل عما يفعله في مسلمي البوسنة فقال: "إنني أطهر أوربا من أتباع محمد".

وما (سربرنيتشا) التي نحكي أحد فصولها، وما (بيهاتش) التي نقصُ بعض ما حدث فيها، إلا اثنتان من عشرات المدن البوسنوية التي تم فيها طبقاً لبعض الإحصائيات قتل وتعذيب وحرق ما يزيد عن ٣٠٠ ألف مسلم أغلبهم من النساء والأطفال، منهم ٧٠ ألف قضوا نحبهم في مجازر جماعية و٥٠ ألف معاق وما يزيد عن ١٢٠ ألف مفقود، كما تم تدمير أكثر من ٨٠٠ مسجداً من أصل ١٥٠٠ مسجد، وطرد جماعي قسري لما يزيد عن مليوني مواطن- هم تقريبا جملة من بقي حياً من سكان هذه الدولة المسلمة- بلا مأوى ولا طعام ولا خيام، واغتصاب ما يزيد عن ٧٥ ألف جندي داخل ما يقرب من عشرين معسكراً لأكثر من ٧٠٠ ألف طفلة وسيدة، زرعت أرحام المئات منهن بأجنة ذئاب وكلاب بشرية تنتسب إلى تلك الحضارة الزائفة الفاجرة التي لا تعرف الرحمة ولا تمت للإنسانية ولا للقيم والمبادئ النبيلة بأدنى صلة، والغريب في الأمر أن عمليات الاغتصاب غالباً ما كانت تتم علانية وعلى مرأى ومسمع من الجميع بل وأمام الآباء والأزواج في كثير من الأحياء، وكان جزاء من يتحرك لإنقاذ أي منهن وابلاً من الرصاص يخترق رأسه ويسقط بعدها صريعاً مضرجاً في دمه، ووسط هذا الجحيم تروي بعض التقارير الرسمية الأوربية مأساة أكثر من ٦٠ أسرة تعرضت لاعتداءات تفوق الخيال وكلها من قبيل ما ذكرنا [١]..

---

(١) باختصار وتصرف عن: الغارة على العالم الإسلامي د/ ربيع بن محمد بن علي.

وعن ممارسات الصرب الوحشية يقول:

.. والذي لا شك فيه، أن ما رآه (شفارتز) وسبق أن تعجب له (كاميرون) لا يساوي شيئاً بالنسبة لما حجب عنها، فهما معذوران في عدم دقة ما وصفاه لأنهما لم يريا وحوش الصرب يقطعون- حين قتلهم المسلم البوسنوي- إصبعين فقط من أصابع يده ويتركون الثلاثة الباقية علامة التثليث .. ولا وهم يدهمون القرى فيبدؤون أول ما يبدؤون بتدمير ودك المساجد بالمدافع والدبابات وأحياناً عن طريق القذائف والمتفجرات التي يضعونها بداخلها، كما كانوا يبالغون في تعذيب حفظة القرآن وأئمة تلك المساجد ويذبحونهم في أغلب الأحيان على مرأى ومسمع ويمثلون بجثثهم .. ولا وهم يأخذون أطفال البوسنة إلى كندا وأمريكا والغرب ليتم تنصيرهم داخل الأديرة ولا يسمح بزيارتهم إلا للقساوسة .. ولا وهم يقومون بنحر المجموعات التي كانت تحاول الهرب بعد الإمساك بهم .. ولا وهم يلقون بمئات الجثث في الأنهار وأحياناً يتركونها في الشوارع والطرقات فما يكون مصير من يحاول أخذها ليدفنها إلا نفس المصير.. ولا هم يقومون بإجبار امرأة مسلمة على شرب دم ابنها الصغير بعد قتله أمامها.. ولا وهم يضعون الأطفال المسلمين في فرّامات اللحم وخلاطات الأسمنت ومطاحن الأعلاف.. ولا وهم يقومون بدفنهم أحياء وأحياناً بسحب دمائهم حتى الموت لنقلها - حسب ما جاء في جريدة (المسلمون) بتاريخ ٢٤/ ٧/ ٩٢ - لجنود الصرب.. ولا وهم يطلبون من المسلمين من خلال دار الإذاعة الخروج من منازلهم وإلا تعرضوا للقتل فما يكون مصير من خرجوا ممن زاد عددهم عن الألف إلا القتل.. ولا وهم يسمحون لهم لبضع ساعات لشراء الخبز كيما يسدوا رمق أطفالهم الذين عضهم الجوع حتى إذا ما خرجوا لشرائه حصدتهم قذائف الهاون من فوق رؤوسهم.. ولا وهم يقومون بتجنيد الشباب المسلم واقتياده إلى الخطوط الأمامية بعد إلباسهم نفس لبسهم ليكونوا دروعاً بشرية في مرمى نيران الحرس الدفاعي المسلم.. ولا وهم يقومون في يوم واحد هو ١٧/٦/ ١٩٩٢ بقتل ألف مسلم ثم يتبعون ذلك بفقء أعينهم وبرسم الصلبان على جثثهم بالخناجر ثم بتقطيع آذانهم وأنوفهم ويتركونهم بعد ذلك نهباً للحيوانات تلغ في دمائهم.. ولا هم يقومون بحصد ٢٠ ألف مسلم في ٣١/ ١٠/ ٩٢ خارج (يابيتش) والاستمتاع

بقتلهم بعد حصارهم- حسب إذاعة لندن الذي وصفت هذا العمل بأنه انتهاك خطير لحقوق الإنسان.. ولاهم يقومون بشوي طفل رضيع على النار أمام أبيه تماماً كما يشوى اللحم، ويأمرون الأب تحت تهديد الرصاص أن يأكل من لحم فلذة كبده ليطلقوا عليه الرصاص بعد ذلك .

لم ير (شفارتز) ولا (كاميرون) من بقرت بطونهن من النساء المسلمات بعد أن خطت ورسمت على أجسادهن الصلبان.. ولا من قتلن منهن بعد عملية الاغتصاب ويقدر عددهن بأكثر من ٣٠ ألف فتاة شوهد بعضهن عراة قد قطعت صدورهن ومثل بهن.. ولا من لقين مصرعهن بعد أن استؤصلت أرحامهن لا لشيء إلا لأنهن كن في الدورة الشهرية إبان فترة الغزو.. ولا الأسرى من الذكور وهم يجبرون على خلع ملابسهم الداخلية والكشف عن أعضاء الذكورة لديهم، فإذا وجدوا أنه مسلم مختون قطعوا أعضاءه التناسلية ثم قاموا بذبحه وإلقائه في الماء المغلي وشيه كالذبائح.. ولم يريا عمليات التعذيب والتمثيل والذبح الواسعة النطاق التي كانت تتم بالمدى والسكاكين حيث يتم تقييد الشباب الأعزل ولعلماء المسلمين هناك ثم يطرح أرضاً ويلقى بعد ذبحه- حسب شاهد عيان- في المستنقعات أو الأنهار أو في أكوام القمامة.. ولا مئات الألوف ممن نزحوا نساءً وأطفالاً وشيوخاً عن بلادهم وأخرجوا منها بغير حق إلا أن يقولوا (ربنا الله)، وأضحوا- وهم يتسولون لقمة العيش- بلا وطن ولا عائل ولا مأوى بعد أن سلبوا كل ذلك وشردوا أفراداً وجماعات في بقاع شتى هرباً من الجحيم، ولم يريا هذا الصربي الذي كانُ يجول بين عشرات القناصة مفتخراً بما فعله إخوانه في البوسنة ومعلناً أنه تواق لتكراره مرة أخرى في (كوسوفا).. وبدا واضحاً أن تلك هي حقيقة النظام الذي يدعي أنه عالمي وحيد، والحضارة التي تدعي أنها لا تفرق بين الناس على أساس الجنس أو اللون أو الدين، والقول باعتذار حكومة الصرب فيما بعد يكذبه واقع انخراطها الآن مع حكومات الغرب في إرسال جنودها وعدتها وعتادها لحرب المسلمين في العراق وأفغانستان . يقول سفاح الصرب الأرثوذكس سلوبودان ميلوسوفتش حين سئل عما يفعله في مسلمي البوسنة فقال: إنني أطهر أوروبا من أتباع محمد !!

بعض الإحصاءات والتقارير تقول عن مجازر تمت في عشرات المدن البوسنية .. قتل وتعذيب وحرق مايزيد عن ٣٠٠ ألف مسلم أغلبهم من النساء والأطفال منهم ٧٠ ألف قضوا نحبهم في مجازر جماعية، هناك ٥٠ ألف معاق وما يزيد عن ١٢٠ألف مفقود، وتدمير أكثر من ٨٠٠ مسجد ا من أصل ١٥٠٠ مسجد، وطرد جماعي لما يزيد عن مليوني مواطن هم جملة ما تبقي حيا من سكان هذه ا لدولة المسلمة بلا مأوي ولا طعام ولا خيام، واغتصاب ما يزيد عن ٧٥٠٠ جندي داخل ما يقرب من عشرة معسكرا، كما زرعت في أرحام المئات من السيدات أجنة ذئاب وكلاب بشرية تنتسب إلي تلك الحضارة الزائفة الفاجرة التي لا تعرف الرحمة ولا تمت للإنسانية ولا للقيم والمباديء النبيلة بأدني صلة .. كانت عمليات الاغتصاب تتم علانية وعلي مرأي ومسمع من الجميع وأمام الآباء والأزواج في كثير من الأحيان [١]..

في تقرير لعضو الحزب الديمقراطي المسيحي لبيان ما جري في البوسنة تحت عنوان ( رأيت بعيني في ١٦-٧- ١٤١٣ هـ ) يقول: " رأيت طفلا لا يتجاوز عمره الثلاثة أشهر مقطوع الأذنين مجدوع الأنف .. رأيت صور الحبالي وقد بقرن بطونهم ومثل بأجنتهن .. رأيت صور الشيوخ والرجال وقد ذبحوا من الوريد إلي الوريد .. رأيت الكثيرات وقد هتكت أعراضهن ومنهن من تحملن العار ولم يبق لولادته سوي أسابيع .. " كانوا يدهمون القري فيبدؤون أو ما يبدؤون بتدمير ودك المساجد بالمدافع والدبابات ويبالغون في تعذيب الائمة وحفظة القرآن الكريم، ويمثلون بجثثهم علي مرأي ومسمع الجميع .. كانوا يقتلون من يريد دفن الجثث الملقاة في الشوارع .. كانوا يضعون الأطفال المسلمين في فرامات اللحم وخلاطات الأسمنت ومطاحن الأعلاف ..

كانوا يسحبون دماءهم حتي الموت ودفنهم أحياء .. يطلبون من المسلمين الخروج من بيوتهم ثم يقتلونهم جماعات جماعات تحصدهم قذائف الهاون وبعد قتلهم يفقئون أعينهم ويرسمون الصلبان بالخناجر .. كانوا يأخذون الأطفال

---

(١) ارجع إلي كتابات د. محمد عباس، ود. ربيع بن محمد – الغارة علي العالم الإسلامي

المسلمين إلي كندا وأمريكا والغرب ليتم تنصيرهم داخل الأديرة ولا يسمح بزيارتهم إلا القساوسة [١]..

في مقال للدكتور محمد عباس، في جريدة الشعب الاكترونية عن ممارسات الآخر يقول: **في تايلاند:**

قاموا بحرق ١٠٠ شاب مسلم بالبنزين فعلت الشرطة في تايلاند ذلك، بل وصرح رئيس البوليس في المنطقة بأن حياة المسلم لا تساوي ٢٦ سنتاً فقط ثمن الرصاصة ...

**في العراق:**

قاموا بتسليط الكلاب المدربة على التهام الأعضاء الذكرية لـــ ٣٠٠معتقل في سجن أبو غريب بعد فتح أرجلهم عنوة عبر قيود حديدية في أيديهم وأرجلهم مثبتة في الحائط ووفاتهم على الفور..تم مصرع ٦٠ طفلاً في سجن أبي غريب بعد تقطيع أطرافهم أمام أمهاتهم، ومن ربط الأعضاء الذكرية والألسنة أحيانا للعديد من أبناء العراق بالأسلاك الكهربائية..أجبروا المعتقلين على اللواط والإتيان بحركات جنسية مهينة وهم عراة ليتم تصويرهم على أنهم همج، ومن دهسهم أحياناً بالأحذية العسكرية على الرأس والرقبة والأماكن المجروحة، ومن تقييد بعضهم وربطهم بالأسرة وهم عراة وحرمانهم من الطعام والشراب لساعات طويلة، ومن تعليق البعض منهم لعدة ساعات لإجبارهم على الإدلاء باعترافات كاذبة، ومن تبول على أجساد بعضهم العارية وجراحاتهم، ومن وضع حبال حول رقاب بعضهم وجرهم بها كالكلاب، ومن حلق رؤوس عراقيات وضربهن وإجبارهم على المبيت في الماء وعلى عدم النوم والوقوف لمدد طويلة أحياناً ووفاة العديد منهن بعد اغتصابها أو اغتصابه..ومما تواترت أخباره ويعف اللسان عن ذكره ١٠٠ ألف حالة تعذيب أكدتها المنظمة العربية لحقوق الإنسان ، وأظهرتها عدسات الكاميرات وتناقلتها جميع وكالات الأنباء ووقف عليه العالم كله..

---

(١) جريدة المسلمون في ٢٤-٧-١٩٩٢م

ومما نشرته صحيفة (ديلي ستار) الملحقة بـ (الهيرالد تريبيون) أن إسرائيل قد أمدت الأمريكيين بآليات ونظم تعذيب لانتزاع الاعترافات من أسرى ومعتقلي السجون العراقية حتى بات العسكريون الأمريكيون يستمعون بعناية فائقة إلى خبراء إسرائيليين للتزود بخبراتهم في التعامل مع المقاومة الفلسطينية واللبنانية.. وعملاً بمبدأ أن الفعالية في انتزاع الاعترافات ينبغي أن تكون لها الأسبقية على احترام مقتضيات الديمقراطية وحقوق الإنسان فقد أقيمت تدريبات مشتركة أمريكية إسرائيلية في صحراء النقب.

فعلت مثل ذلك فرنسا في الجزائر وبين عشية وضحاها تم حصد أربعين ألفا من الجزائريين عام ١٩٥٤م وبعد ذلك ذهب المبشرون كي ينصروا اليتامي من أبناء الشهداء .. وحدث مثل ذلك وأشد في البوسنة والهرسك !!

هكذا كانوا دائما منذ مذبحة معرة النعمان وبيت المقدس مرورا عبر القرون حتي مذابح الفلوجة وبغداد وتلعفر !!

في الجزائر:

ما حدث عندما ثار الجزائريون أثناء الحرب العالمية الثانية مطالبين بحريتهم، فما كان من البوليس الفرنسي إلا أن قصف المتظاهرين بمدافع الميدان التي تستخدم في تحطيم الحصون، كان القصف وحشيا، وكان ذلك في الثامن من مايو سنة ١٩٤٥، فأعلنت الأحكام العرفية على أثر ذلك، وأقبل الطراد ديجواى – تراون" ليواصل المذبحة فأمطر مدينة خزاطة" وابلاً من قنابله الثقيلة، وقامت قوات الجيش بالحملات التأديبية، وشنق الوطنيون من غير محاكمة، كان عدد القتلى من العرب كما قيل أولاً بصفة رسمية إنه ١٥٠٠، غير أن الجيش أعلن أنه يتراوح بين ٦٠٠٠ و ٨٠٠٠. ثم جاءت إحصاءات أخرى تقول إن العدد الصحيح هو: عشرون ألفا، وبعد إعادة النظر في حقائق الأمور تبين أن العدد الصحيح هو ٤٠٠٠٠ قتيل، وقد أيده القنصل الأمريكي ببيانات من عنده . أربعون ألف قتيل يحصدون هكذا بين عشية وضحاها!!!

لقد انتشرت الفتوحات الإسلامية من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً ومن

جبال القوقاز شمالاً إلى أواسط أفريقيا جنوباً.. ولم يجرؤ مؤرخ مهما كان مغرضاً أو حاقداً على الإسلام وحضارته أن يتهم جيشاً عربياً أو إسلامياً بفعل شيء من ذلك أو بارتكابه جرائم حرب أو قيامه بإبادة جماعية ضد سكان بلدة أو جزيرة مهما كانت نائية أو صغيرة أو تافهة كما فعل الصرب في البوسنة، وكما يفعل اليهود في فلسطين، والأمريكان والبريطانيين في الفلوجة والبصرة والرمادي والنجف وبعقوبة والموصل وتلعفر وبغداد وغيرها، وكما يفعل كل أولئك ومن كان على شاكلتهم في مسلمي البلاد التي يستعمرونها شرقاً وغرباً غير مكتفين بالزج بأهل البلاد التي يحتلونها داخل سجون أوطانهم ولا بنهب نفطهم وخيراتهم بحجج واهية استنكرها المنصفون ممن هم على دينهم وقام أقرب الناس إليهم وأخلصهم لبني جلدتهم بتفنيدها، لكونها في جملتها ذرائع لا تنطلي على من عنده مسحة من عقل أو مثقال ذرة من ضمير، ولكونها في مجموعها حجج هي أوهى من نسج العنكبوت.. وعلى أولئك المبهورين بحضارة الغرب من أهل النفاق والطابور الخامس أن يراجعوا بأنفسهم التاريخ ويقرؤوا ما فعله عمر بن الخطاب ﷺ بالنصارى عند فتحه بيت القدس وما فعله صلاح الدين بهم عند تحريرها، ليتأكدوا من صدق ما نقول وليميزوا بين الحضارة الحقيقية المتمثلة في عظمة الإسلام ورجال الإسلام.. وتلك الحضارات المعاصرة الزائفة التي بنيت على الهمجية والبربرية واستلاب أراضي الغير ونهب ثرواتهم دون وازع من ضمير ولا احترام لقيم. ." الغارة على العالم الإسلامي – مرجع سابق "..

والغريب في الأمر أن تنبري بعض الأقلام لتبرئ ساحة الغرب من تهمة العداء للإسلام وترفض مصطلح (حرب الحضارات)، وكأن ما ذكرنا نتفاً منه وما يجري على الساحة العراقية والأفغانية يحدث على كوكب آخر، أو لكأننا معاشر أتباع محمد الذين نسعى للصدام..

ويتعامى أصحاب هذه المقولة وكأنهم في حالة سكر أو إغماء وتغابٍ عن آلاف الأطنان من القنابل الأشد فتكاً وعن ترسانة الغرب وآلته العسكرية التي ما فتأت ولا زالت تجوب بلاد المسلمين شرقاً وغرباً وهنا وهناك بعد أن جاءت بنفسها طائعة مختارة من كل حدب وصوب تدمر وتهلك وتخرب..

يقول اليهودي المتعصب (صموئيل هنتجتون) في أخطر فقرات كتابه (صراع الحضارات) في كشفه لحقيقة الأمر وفي رده على حسني الظن من المسلمين كي يصححوا معلوماتهم ويعدلوا من تفكيرهم الخاطئ:

"إن الصراع على خطوط الصدع بين الحضارتين الغربية والإسلامية قد بدأ منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام، وعلى مدى القرون كان الاحتكاك المسلح بين الغرب والإسلام ولم يهدأ أبداً، ومن غير المتوقع أن يؤول ذلك التفاعل إلى الزوال بل يمكن أن يصبح أكثر ضراوة.. إن الإسلام- هكذا هو يقول- يمتلك حدوداً دموية"، والفقرة الأخيرة التي علل بها روح الصدام، هي بيت القصيد لأن (هنتجتون) يعلم قبل غيره أن أنهار الدم التي فجر ينابيعها وأوقد نارها يهود كل عصر ومصر، إنما جاءت بفعل الغرب وأن الروح الصهيونية والصليبية البعيدتان كل البعد عن دين موسى والمسيح، لم يخمد لهيب سعارها المتأجج في صدور هؤلاء وأولئك على امتداد التاريخ القديم والحديث، بل ولغاية تصريح بوش الأخير بشن الحملة الصليبية.. مروراً بالحملات والحروب الصليبية التي أطلقها البابا (أوربان الثاني) في نوفمبر سنة ١٠٩٥ م، ودعا لها حكام الغرب وداهمت- كما هو الحال الآن ولكن أكثر الناس لا يعلمون- كل ما واجهها في بربرية متعطشة للتخريب والتقتيل حتى كانت الخيول تنزلق في برك الدماء المسلمة وسقط فيما سقط كثير من نصارى القدس .. وبجحافل الفرس والرومان وجيوش (جنكيزخان) وولده (اغوتاي) التي اجتاحت العالم الإسلامي عام ١٢٢١ ، ١٢٣٦، ومن بعدهما هولاكو الذي استطاع بالمغول عام ١٢٥٨م أن يبيد جند الخليفة المستعصم عن آخرهم، واستباحوا كل شيء ببغداد وأجهزوا على ما يربو عن التسعين ألفاً من سكانها دون تفرقة حتى امتلأت الدروب بالجثث وداستها الخيول.. وبحملات (تيمورلنك) الذي زحف بقواته على بغداد في ١٣٩٣م وأشاع في الأهالي القتل والتعذيب كعصر الأعضاء والمشي على النار والتعليق من الأرجل ودس خرق التراب الناعم بأنف المعذب، وأتم احتلال بلاد الشام ثم احتلالها بعد مذابح شملت الأطفال والنساء والشيوخ وبعد أن كلف كل واحد من أتباعه بأن يأتي برأسين حتى بلغ عدد القتلى تسعين ومائة ألف..

## أين حقوق الإنسان :

يقول د.ربيع : أين حقوق الإنسان من اتخاذ أطفال دروع بشرية يضعونها على فوهات الدبابات ، ومن قتل جرحي وطردهم أحيانا وتدمير مراكز طبية " وأخذ كل ما تبقى من أجهزة طبية من داخل المستشفيات بعد الاعتداء على الأطباء لمنع معالجة الجرحى وقصداً لإفناء من لم يفن من رصاصات القناصة وقنابل الفوسفور وقذائف الطائرات ونيران الدبابات والمدرعات التي لا تبقي ولا تذر وتدمر البيوت على ما ومن فيها؟ أين حقوق الإنسان من هذه الانتهاكات التي نسمع عنها مما يجري في الهند وبورما وبلغاريا وكشمير والفلبين وغيرها ضد كل ما هو إسلامي؟ وفي أي نظام أو أية شريعة يُمنع المعتدى عليه من الدفاع عن نفسه ويحظر عليه السلاح بل ويطلب منه تسليم بنادقه المتهالكة التي بقيت مع بعض أفراده في حين يتمتع المعتدي بدباباته وطائراته وصواريخه وكامل عتاده يقتل ويهلك ويدمر؟ !!

# الباب الرابع

## يأهل الكتاب .. تعالوا إلي كلمة سواء..

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(آل عمران:٦٤) .

### أهل الكتاب .. وأهل الذمة..

### أهل الكتاب:

أهل الكتاب هم بنو إسرائيل والذين جاءتهم التوراة والإنجيل، وأما من دخل فيهم من الناس كنصاري العرب، فليسوا منهم .. جاء في كتاب الأم للإمام الشافعي – كتاب النكاح نكاح حرائر أهل الكتاب: قال الشافعي: أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج قال عطاء: ليس نصاري العرب بأهل الكتاب إنما أهل الكتاب بنو إسرائيل والذين جاءتهم التوراة والإنجيل، فأما من دخل فيهم من الناس فليسوا منهم .. لأن عيسي عليه السلام أرسل إلي بني إسرائيل خاصة، ورسالته محدودة بقوم وزمن معين حتي يأتي من بعده أحمد ﷺ ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ﴾(الصف:٦) .

ومن أهل الكتاب من أسلم وآمن وصدق برسالة محمد ﷺ، ومنهم من عاند واستمر علي كفره وضلاله .

### القرآن الكريم يحدد أصول التعامل بين المسلمين وغير المسلمين:

أقر الإسلام غير المسلمين علي دينهم، فلا تفرقة في الإسلام بسبب الدين أو الجنس أو اللون، كما أن دماء غير المسلمين وأموالهم وأعراضهم حرام كحرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ..

ويحدد القرآن الكريم أبعاد العلاقة بين المسلمين والكتابيين في آيات كثيرة منها:

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ..﴾(البقرة:١٠٩) .

﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ..﴾(البقرة:١٢٠) .

﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ .. ﴾(البقرة:١٠٥) .

﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾(آل عمران:٦٩) .

والمسلم لا يطيع أهل الكتاب، ولا يتخذ منهم أعوانا له:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾(آل عمران:١٠٠) .

﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾(آل عمران:٢٨) .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة:٥٧) .

﴿ وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ (آل عمران:١١٨) .

### الإستعانة بغير المسلمين

هذا وقد اختلف العلماء في الاستعانة بغير المسلمين، علي ثلاثة أقوال: منهم من يري الجواز مطلقا وهو قول أبي حنيفة وبعض المالكية والزيدية، ومنهم من يري الجواز أحيانا في حالة الحاجة وبحسب مصلحة الأمة، وهذا في

القديم حين كان غير المسلمين يرتبطون مع الدولة الإسلامية بعهد ومواثيق وشروط وحدود، بأن يحافظوا عليها ..

أما من يري أنه لا يجوز أن يتولي غير المسلمين المناصب العامة، ولا يجوز الاستعانة بهم في شؤون المسلمين فهم : الأئمة مالك وأحمد والشافعي وطائفة من أهل العلم ، واستدلوا علي ذلك بقوله تعالي:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(آل عمران:١١٨) .

وبطانة الرجل خاصته الذين يستنيطون أمره، ويثق بهم في سره، ويطلعون علي داخل شأنه، ويقول ابن كثير: " من دونكم " أي من غيركم من أهل الأديان، غير المؤمنين .. وقال ابن كثير: ففي هذا الأثر مع هذه الآية دليل علي أن أهل الذمة لا يجوز استعمالهم في الكتابة التي فيها استطالة علي المسلمين، واطلاع علي دواخل أمورهم التي يخشي أن يفشوها إلي الأعداء من أهل الحرب .. وقال بعض العلماء أنها واردة فيمن أظهر العداوة للنبي ﷺ وجماعة المؤمنين، وهذا ينطبق علي المسلم وغير المسلم، فلا يجوز اتخاذه بطانة إذا كان يضمر العداء للجماعة الإسلامية ..

والآيات كثر التي تنهي المسلم عن اتخاذ الكافر عونا ونصيرا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾(المائدة:٥١) ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(النساء:١٤٤)، قال ابن كثير: ينهي الله عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، يعني مصاحبتهم ومصادقتهم ومناصحتهم وإسرار المودة لهم، وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم ..

كما استدلوا بعدد من الأحاديث والآثار منها: قوله ﷺ لمن جاءه قبل بدر للخروج معه ويصيب : " تؤمن بالله ورسوله ؟ قال: لا، قال: " فارجع، فلن

أستعين بمشرك " رواه مسلم، وقوله ﷺ في موضع آخر: " إنا لا نستعين بالمشركين علي المشركين " رواه أحمد

ويروي أن عمر الفاروق ﷺ أنه نهي أبا موسي الأشعري عن ذمي استكتبه باليمن وأمره بعزله وتلا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾(آل عمران:١١٨) .

## أهل الذمة:

أهل الذمة هم غير المسلمين من اليهود والنصاري، وكل من اعتنق دينا سماويا وله كتاب منزل مثل صحف إبراهيم وشيث وزبور داود، ومن الفقهاء من أدخل كل طالب لها، ولو كان عابد وثن [١]..

والذمة هي عقد بمقتضاه اعتبر غير المسلمين في ذمة المسلمين، أي في عهدهم وأمانهم علي وجه التحديد .. وعقود الذمة ملزمة للمسلمين لا يستطيعون نقضها إلا إذا نقضها الذمي، إما بالإعلان الصريح، أو بالانضمام إلي الأعداء والمشاركة في قتال المسلمين معهم .. ويري بعض الفقهاء أن الذمي إذا قطع طريقا أو قتل فردا من أفراد المجتمع فهناك إجماع علي وجوب عقوبته كما يعاقب المسلم .

ونظام " أهل الذمة " عبارة عن تشريع اجتهده الفقهاء لتلبية احتياجات الواقع بعد الفتح الإسلامي، ذلك من خلال الصيغة الوصفية التي أطلقت علي الآخرين علي لسان رسول الله ﷺ وفي عهوده ..

ويعد نظام أهل الذمة بمثابة الإطار الشرعي الذي يكفل لغير المسلمين حقهم في المواطنة بالإضافة إلي حقوقهم الدينية والاجتماعية، وواجب حمايتهم ورعايتهم .

ويكاد يجمع الفقهاء علي أنه من حق الذمي أن يتولي المناصب العامة كالمسلم مادام مؤهلا، إلا إذا كان منصبا ذا صفة دينية كالإمامة والقضاء، لما

---

(١) انظر د. رضوان السيد – المسيحيون العرب في الفقه الإسلامي. أبو حنيفة – العالم والمتعلم – القاهرة

يتطلب من الإمام والقاضي معرفة بأحكام الدين، وكذلك قيادة الجند لأن مهمة الجيش هي حراسة الإسلام ولا يتصور في غير المسلم أن يحرس الإسلام، وإن كان الشافعي قد أجاز اشتراك الذميين في القتال إذا رأي الإمام ذلك، مستدلا باستعانة الرسول ﷺ بيهود بني قينقاع في غزوة خيبر، واستعانته بصفوان بن أمية وهو مشرك في غزوة حنين ..

يكفل نظام أهل الذمة لغير المسلمين حماية النفس والمال والسكن والعمل والتنقل وحسن السمعة، بحيث لا يؤذون، ولا يظلمون، لقوله ﷺ: " من آذي ذميا فأنا خصيمه " و " أوصيكم ياأهل الكتاب ذمتي خيرا "

وفي المقابل يحرم علي الذمي جرح مشاعر المسلمين، كسب النبي صلي الله عليه والسلام، والخلفاء الأوائل، والمبالغة في ضرب النواقيس، وإظهار الصلبان، أو المغالاة في التظاهر بشرب الخمر وأكل لحم الخنزير .

ويستند الفقهاء في أسباب فرض الجزية علي أهل الذمة إلي الآية ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾(التوبة:٢٩) .

ويري كثير من الفقهاء أن الجزية بديل عن المشاركة في القتال لنصرة دار الإسلام .. والجدير بالذكر أن نظام أهل الذمة ظل ساريا حتي منتصف القرن التاسع عشر، ثم صدر الخط " الهمايوني " في ١٨- ٢- ١٨٥٦م الذي ألغي نظام الجزية، تحت ضغط الدول الأوربية، بعد أن تدهورت فعالية دولة الخلافة العثمانية ..

وعن نظام أهل الذمة يشيد المنصفون من الكتاب غير المسلمين به قائلين:

" كان فتحا في عالم الفكر، وابتكارا عبقريا، لأنه لأول مرة في التاريخ انطلقت دولة هي دينية في مبادئها، ودينية في سبب وجودها، ودينية في هدفها، ألا هو نشر الإسلام عن طريق الجهاد بأشكاله المختلفة من عسكرية وتبشيرية، إلي أن الإقرار في الوقت ذاته بأنه من حق الشعوب الخاضعة لسلطانها أن

تحافظ علي معتقداتها وتقاليدها وطراز حياتها، وذلك في زمن كان يقضي المبدأ السائد فيه بإكراه الرعايا علي اعتناق دين ملوكهم، بل حتي الانتماء إلي الشكل الخاص الذي يرتديه هذا الدين، كما كان عليه الأمر في المملكتين العظيمتين اللتين كان يتألف منهما العالم القديم " [١]..

يقول ول ديورانت في كتابه " قصة الحضارة ": لقد كان أهل الذمة، المسيحيون، والزرادشتيون، واليهود، والصابئون، يتمتعون في عهد الخلافة الأموية بدرجة من التسامح لا نجد لها نظيرا في البلاد المسيحية في هذه الأيام، فلقد كانوا أحرارا في ممارسة شعائر دينهم، واحتفظوا بكنائسهم ومعابدهم، ولم يفرض عليهم أكثر من أداء ضريبة عن كل شخص، تختلف باختلاف دخله ..

## أيدولوجية التعامل مع أهل الذمة:

الذمة في اللغة تعني: الأمان، والعهد، والضمان، والكفالة ..

الذمة عبارة عن عقد بمقتضاه اعتبر غير المسلمين في ذمة المسلمين، أي في عهدهم وأمانهم .. أهل الذمة، هم المعاهدون من النصاري واليهود من أهل الكتاب، وغيرهم ممن بقي في دار الإسلام[٢] وعليه فالذمة هي العهد، أي العهد الذي يعهده الإمام، أو من ينوب عنه، مع غير المسلمين علي السلم، ووضع الحرب، وعقد الذمة كما عبر عنه بعض الفقهاء المعاصرين يشبه التجنس في الوقت الحاضر[٣]، ويلحق بأهل الكتاب من اليهود والنصاري، غيرهم من جميع الملل، غير الإسلامية، كالمجوس، حيث ورد في الهدي النبوي، أنه أخذ الجزية من مجوس هجر، كما ورد في صحيح البخاري ..

ويقول في ذلك الإمام علي ﷺ: " من كان له ذمتنا، فدمه كدمنا ودينه كديننا "، وأنهم إنما بذلوا الجزية، لتكون دماؤهم كدمائنا، وأموالهم كأموالنا "، وفي عهد عمر بن عبد العزيز ﷺ، اقتص من المسلم بالذمي، حين قتل المسلم الذمي ..

---

(١) د. رضوان السيد – المرجع السابق .

(٢) محمد بن حسن الشيباني – في " شرح السير الكبير "

(٣) عبد الكريم زيدان – أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام

بموجب هذا العقد، يصير غير المسلمين كالمسلمين، في حرمة الدماء والأموال، يقول ﷺ: " من قتل معاهدا لم ير رائحة الجنة، وأن ريحها يوجد من مسيرة أربعين عاما " رواه البخاري، ويقول: " ألا من ظلم معاهدا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ شيئا منه بغير طيب نفس، فأنا حجيجة يوم القيامة " سنن أبي داود .. واستقر هذا الفقه يسود في العهد النبوي، وعهد الخلافة الراشدة، واستمر إلي زمن المماليك والدولة الإسلامية، واتساقا مع موقف المسلمين الثابت، في حماية غير المسلمين من أهل ذمتهم في دمائهم وأموالهم، أنه لما أراد أحد سلاطين التتار أن يطلق سراح أسري المسلمين دون النصاري، اعترضه شيخ الإسلام ابن تيمية لأنه يسري في حقهم ما يسري في حق المسلمين، وأنه إن لم يطلق سراحهم، جاهد المسلمون واستأنفوا القتال لافتكاكهم [(١)] ..

في قوله تعالي: ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾(التوبة:٢٩) التفسير الصحيح لكلمة الصغار، هو جريان أحكام الشريعة عليهم وإعطاء الجزية، أي أن يجري عليهم حكم الإسلام [(٢)]..

وحكمة مشروعية عقد الذمة، هي أن يترك الحربي القتال مع احتمال دخوله في الإسلام، عن طريق مخالطته للمسلمين، واطلاعه علي شرائع الإسلام، وليس المقصود من عقد الذمة، تحصيل المال، وقد كان دفع الجزية واجبا علي كل رجل بالغ قادر حسب طاقته نظير الحماية والدفاع حتي إن القادة المسلمين كانوا يردون علي غير المسلمين، ما دفعوا من جزية، إذا لم يقدروا علي القيام بواجب الحماية والدفاع، بل كان بعض الخلفاء الراشدين وهو عمر رضي الله عنه يسقط دفع الجزية عن غير المسلمين الذين يشتركون مع الجيش، ويؤدون خدمات عسكرية وهو ما نأخذ به في عصرنا ..

لم يذكر التاريخ أنه قد وقعت مظالم أو اضطهادات تذكر بحق الموالي أو أهل الذمة وهم أهل الكتاب الذين آثروا البقاء علي دينهم، عرض عليهم الإسلام

---

(١) الرسالة القبرصية – مجموع الفتاوي الكبري – ابن تيمية

(٢) ارجع إن شئت إلي د. أحمد علي الإمام – المستقبل للإسلام – كتاب الأمة

ودعاهم إلي دفع الجزية، وكان للمسيحيين بشكل عام وضع متميز عن بقية أهل الذمة للمكانة، التي أولاها القرآن الكريم للمسيح والنصرانية، ولعدم وقوع أي صدام مع نصاري الجزيرة العربية في العهد النبوي، خلافا لما كان عليه الحال مع اليهود، ولقول الله تعالي ﴿ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾(الحديد:٢٧) و﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾(المائدة:٨٢) .

يذكر التاريخ أنه علي الرغم من موقف البابوية ورهبان الفرنسيسكان، وسعيهم الدؤوب لفصل الكنيسة الحبشية عن الكنيسة القبطية بمصر، وتحويل الأحباش إلي الكاثوليكية، ومحاولات التحالف مع مملكة الحبشة النصرانية للضغط علي المماليك من البحر الأحمر ومنابع النيل، واضطهاد المسلمين وإجبارهم علي التنصير في الحبشة ..

يذكر لفقهاء الإسلام موقفهم تجاه أهل الذمة أثناء مفاوضتهم لسلطان التتار، حيث رفضوا قبول إطلاق سراح الأسري المسلمين دون النصاري واليهود، قائلين: " لابد من افتكاك جميع من معك من اليهود والنصاري الذين هم من أهل ذمتنا .. " وأصروا علي موقفهم حتي أطلق سراح الجميع ..

لقد دافع العلماء والفقهاء المسلمون عن حقوق أهل الذمة، وعلي الرغم من شيوع التعصب الديني لدي البابوات والرهبان وتشددهم !! ذلك لأنهم اعتبروا أن الخروج علي نظام أهل الذمة مساسا بتعاليم الإسلام ..

تميز المسيحيون العرب بمعاملة أفضل قياسا ببقية المسيحيين، لتعدد الروابط بينهم وبين العرب المسلمين، كما كان للسريان والآراميين الملكانيين في العراق وبلاد الشام وللأقباط في مصر معاملة خاصة، تقديرا لمواقفهم عند الفتح وغلبة التفاعل الإيجابي علي ممارساتهم من جهة ومراعاة لنسبتهم العالية بين أهالي البلاد المفتوحة من جهة أخري .

ويجمع دارسوا صدر الإسلام القدامي والمعاصرون، علي أن غير المسلمين قد تمتعوا بالحرية الدينية والاجتماعية، لقاء دفع الجزية والتي كانت أقل بكثير من الضرائب أيام الفرس والرومان .

نعم أهل الكتاب في ظل الإسلام بالأمن والأمان لقوله تعالي: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(الممتحنة:٨) .

سأل عمر بن الخطاب رجل من أهل الكتاب يسأل الناس: ما الذي حملك علي السؤال فأجاب الرجل: الحاجة والسن فأخذ عمر بيده وذهب به إلي منزله حيث أعطاه عطاء سخيا ثم أرسله إلي خازن بيت المال مع رسالة قال فيها: انظر هذا وضرباءه فوالله ما أنصفناه إن أكلنا شبيبته ثم أخذلناه عند الهرم ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَـٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَـٰكِينِ ﴾(التوبة:٦٠) وهذا من مساكين أهل الكتاب.

وسار المسلمون في أكثر عصورهم سيرة عمر مما جعل أهل الكتاب يدخلون في دين الله أفواجا .. مماجعل أحد بطاركة المسيحيين يقول: " إن العرب الذين مكنهم الله من السيطرة علي العالم يعاملوننا كما تعرفون، إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية بل يمتدحون ملتنا ويوقرون قسيسنا ويمدون يد المعونة إلي كنائسنا وأديرتنا "

ويقول آدم ميتز: إن ما يميز المملكة الإسلاميةعلي أوروبا النصرانية في القرون الوسطي أن الأولي يسكنها عدد كبير من معتنقي الأديان الأخري غير الإسلامية وليست كذلك الثانية وأن الكنائس والبيع في المملكة الإسلامية كأنها خارجة عن سلطة الحكومة ..

ويذكر لأساقفة الشام ومصر عقب الفتح الإسلامي قولهم : هؤلاء العرب الذين أعطاهم الله الآن السلطان لا يكافحون الديانة المسيحية، بل يدافعون عن عقيدتنا، ويجلون كهنتنا وقديسينا، ويقدمون الهبات للكنائس والأديرة ..

يجمع الباحثون علي أنه منذ عهد معاوية بن أبي سفيان ﷺ، إلي آخر أيام السلطان عبد الحميد الثاني، كان للمسيحيين العرب إسهاماتهم في المسيرة

العربية الإسلامية حيث أنهم قد مارسوا أنشطة اقتصادية وفكرية، كان المجتمع بحاجة إليها، وكانوا هم الأقدر علي أدائها، ابتداء من الترجمة والعمل في الدواوين، وضبط الحسابات، إلي تعاطي مهن لا يجيزها الشرع الحنيف للمسلم، كما أنهم جسدوا ولقرون طويلة البيروقراطية الأكثر طواعية للحكام، والأقل خطرا عليهم، كما يسروا علي من خرجوا علي أحكام الشريعة الإسلامية في قضايا الربا والخمر واللهو وغيرها .

تسببت سياسات بعض الحكام المسلمين إلي تقوية مراكزهم، فبعد أن منحوا السلطات الواسعة لرؤوسائهم بموجب نظام الملل تعمق لديهم الإحساس بالتمايز والخصوصية الذاتية، مما يسر لهم مد الجسور مع مسيحي الغرب، فجاءت الإرساليات التبشيرية التنصيرية وتغلغلت في أوساط المجتمع بعد أن تأصلت طموحات الاستغراب، ومن خلال الأديرة والرهبانيات والتعليم الطائفي شاعت الثقافة الطائفية، وتعمقت المساعر الذاتية، وراجت في أوساط قطاعات واسعة من الأكليروس المقولات العنصرية الاستعلائية والتصورات المعادية للمحيط العربي الإسلامي ..

حصل المسيحيون العرب علي مكاسب مادية، ومراكز اجتماعية متميزة غدت مع الزمن من الأمور المثيرة للمشاكل في أكثر الأحيان كلما بدت هناك مؤشرات علي محاولات لتحقيق المساواة، ووضع حد لما تحقق بفعل ظروف استثنائية ..

لقد تمتعت بعض الفئات في المجتمع الشرقي المسلم بامتيازات خاصة، لم تلبث أن أخذت تنظر إليها بنظر الحقوق الطبيعية، وصارت تقابل بسخط شديد كل محاولة تستهدف إزالة هذه الامتيازات والتخفيف من وطأتها ..

لم يترددوا في طلب الحماية من القوي الاستعمارية، والاستقواء بها ضد الفكر والشريعة الإسلاميتين كما تعاونوا مع شركاء العقيدة من الأعداء الأجانب! وفي الوقت الذي كان الحكام المسلمين حماة لهم من ممارسات واضطهادات الكنائس الغربية الكاثوليكية والبروتستانتية .. وتناسي المسيحيون العرب أن

الأجنبي إنما يستغل الأقلية لتحقيق غرضه عند الأكثرية، وحالما يتحقق له مطلبه يتخلي عن الأقلية لأن مصالحه عند الأكثرية أكبر وتعود عليه بفوائد أعظم !!

### العصر الأموي:

شهد العصر الأموي إقبالا مطردا علي الدخول في الإسلام، وأسقطت الجزية عمن أسلموا، وحصل من التحق بالجندية منهم علي الأعطيات المالية، ووفر الفاتحون المساواة التامة بين جميع الكنائس، وأنهوا بذلك اضطهاد بيزنطة وكنيستها للكنائس القبطية واليعقوبية والنسطورية، كما منحت كافة الكنائس حرية العبادة وإدارة أملاكها وأموالها ورعاية شئونها وشئون رعاياها، ولم يتدخل الخلفاء في انتخابات البطاركة والقساوسة .

وحين أراد اليعاقبة الانتقام من الموارنة لما لاقوه منهم أيام بيزنطة، حال معاوية بن أبي سفيان دون ذلك، وحين كان الموارنة واليعاقبة يختلفون في المسائل الدينية كانوا يلجأون إلي الخلفاء ليقضوا بينهم، وطوال الفترة الممتدة حتي خلافة الوليد بن عبد الملك ٨٦هـ لم تشر المصادر التاريخية أن أهل الذمة خاصة المسيحيين أنهم قد تعرضوا لأي اضطهاد، بل تمتعوا بقدر وافر من الحرية لقاء تأدية الجزية والخراج، وارتبطت قضاياهم المدنية والقضائية والجنائية برؤوسائهم الروحيين إلا إذا كان أحد أطراف النزاع مسلما ..

كما أتيح للمسيحيين بمختلف كنائسهم حرية مجادلة المسلمين في المسائل الدينية والدفاع عما يعتقدونه بحرية حتي في مجالس الخلفاء ..

احتل النصاري طوال العهد الأموي المناصب والمراكز المرموقة، فتولي "منصور بن سرجون" إدارة المال بدمشق في عهد معاوية ﷺ، وأعقبه من بعده ابنه، ثم حفيده المشهور بالقديس يوحنا، الذي كان مشرفا علي المالية حتي اعتزل وانصرف إلي حياة الزهد أوائل خلافة هشام بن عبد الملك، وكان الأخطل التغلبي النصراني شاعر البلاط ونديم يزيد بن معاوية، وجليس عبد الملك بن مروان، وكان ابن أثال طبيب معاوية الخاص، وكان طبيب الحجاج الخاص نصرانيا ..

كان للمبدعين منهم إسهام واسع في الثقافة العربية، خاصة في مجال

الترجمة، حيث أغنوا الفكر العربي بما نقلوه من فلسفة اليونان، وآداب الفرس وحكمة الهند ..

رأي الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك أن يوسع المسجد الأموي في دمشق، وكانت إلي جواره كنيسة القديس يوحنا - التي كانت في الأصل هيكلا وثنيا - فرأي الوليد أن يدمجها في المسجد الذي يريد إعادة بنائه، فجمع زعماء النصاري بدمشق وعرض عليهم استعداده لأن يعوضهم منها بكنيسة أخري في أي مكان شاءوا، وأن يدفع إليهم ثمنا مضاعفا، فأبوا واحتجوا بالعهد الذي اتخذه المسلمون علي أنفسهم بأن لا يتعرضوا لكنائس النصاري بسوء، ولكن الوليد لم يأبه لقولهم وسارع بهدم الكنيسة بني مكانها المسجد الأموي بدمشق(١)، ولكن حين جاء الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز إلي الحكم، وطالبه نصاري دمشق بأن يعيدوا إليهم أرض الكنيسة، لم يتوان في الاستجابة لطلبهم وأمر بهدم المسجد وإعادة أرض الكنيسة إلي أصحابها تأسيسا علي أنه لا يجوز الصلاة علي أرض مغتصبة، ولكن المسلمون طالبوه بمهلة ثلاثة أيام حتي يتم لهم الاتفاق مع النصاري، وتم الاتفاق بينهم علي أن تعاد للنصاري جميع البيع والأديرة والكنائس الموجودة خارج دمشق والتي كانت قد اتخذت عنوة، علي أن يتنازل النصاري عن الجامع الأموي ..

أبطل عمر بن عبد العزيز تجاوزات بعض ولاة مصر، وأمر بعدم تحصيل الجزية من القسس والرهبان، وعن الموتي من الأقباط الذين كان لا يسمح بدفنهم حتي تسدد الجزية المستحقة عليهم، خروجا علي ما استقر عليه الفقهاء ..

يقول توماس أرنولد، عن موقف عمر بن عبد العزيز من أهل الذمة:

" إنه بلغ من تسامح عمر بن عبد العزيز ورعايته لأهل الذمة، وما شاع من زهده وورعه وتقشفه أن أحد كتاب النساطرة كان يضيف كلمات التبجيل والتقديس إلي اسم الرسول وإلي أسماء الخلفاء الأول كلما عرض ذكرهم، ويتنزل رحمة الله علي عمر بن عبد العزيز "

---

(١) انظر حسن إبراهيم حسن – التاريخ الإسلامي – النهضة – مصر

ويذكر مؤرخو الكنيسة القبطية عن عمر بن عبد العزيز أنه أبطل الجبايات، وعمر المدن وكان النصاري في أمن وهدوء ..

يزعم بعض المؤرخين، ومن أبرزهم فيليب حتي أن عمر بن عبد العزيز كان متشددا مع أهل الذمة بمن فيهم النصاري واليهود، فحظر عليهم تقلد المناصب في الدولة، وفرض عليهم ارتداء ما يميزهم عن المسلمين، ومنعهم من بناء الكنائس والأديرة، وعدم جواز سماع شهادة الذمي علي المسلم أمام القضاء.

والجدير بالذكر أن هذا يتناقض مع ممارسات عمر بن عبد العزيز، الذي شغل في عهده يوحنا الدمشقي منصبا ماليا كبيرا في الدولة، ومع ما عرف عن عمر من عدم تهاون فيما يخالف سنة السلف في التعامل مع غير المسلمين .. كتب عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – إلي عدي بن أرطأة عامله علي البصرة: " وانظر من قبلك من أهل الذمة من قد كبرت سنه وضعفت قوته، وولت عنه المكاسب، فأجرعليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه " لقوله تعالي: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(الممتحنة:٨).. كان بعض التابعين يعطون رهبان النصاري من زكاة الفطر، ولذلك أجاز بعض العلماء إعطائهم من الزكاة ..

صالح المسلمون نصاري جبال العلويين بالشام، وشاركوا في الفتح الإسلامي لشمال سوريا لقاء احتفاظهم بالنصرانية وإعفائهم من الجزية، وأن يكون لهم نصيب من الغنائم، وساد الوئام معهم في عهد معاوية، ولكنهم خانوا العهد بعد أن استغلوا انشغال معاوية في تأمين خلافته وشكلوا التعاون مع الروم عصابات أخذت تعيث فسادا في المناطق الجبلية بالشام مما اضطر معاوية إلي مصالحة بيزنطة ودفع الجزية إليها إلي أن استتب له الأمر وقمع تمردهم، وحين تكرر تمردهم في عهد عبد الملك بن مروان مستغلين حروبه مع عبد الله بن الزبير وغيره من الثائرين، كما تمردوا في عهد الوليد بن عبد الملك، وأرسل إليهم أخاه مسلمة الذي دمر مدينتهم، وفني الألوف منهم، وأجبرهم علي الرحيل إلي الأناضول ..

## العصر العباسي الأول:

أحاط الخلفاء أنفسهم في العصر العباسي بالمظهر الديني، فارتدي أبو جعفر المنصور بردة رسول الله ﷺ في صلاة الجمعة وفي الحفلات الرسمية، وقرب إليه الفقهاء والعلماء، ومضي هارون الرشيد قدما في هذا الاتجاه بحيث علق نسخة البيعة لولديه الأمين والمأمون في الكعبة، بعد أن أدي مناسك الحج، وقد أجهد الفقهاء والقضاة آراءهم في البيعتين ..

كانت إحاطة الخلفاء العباسيين أنفسهم بالمظهر الديني، في مصلحة أهل الذمة الذين قد استقر نظامهم وتحددت أبعاده، وأصبح الخروج عليه تجاوزا لأحكام الدين، الأمر الذي يعارضه الفقهاء والعلماء، لذلك تمتع البطاركة بسلطات روحية وزمنية وتوافر للمسيحيين حريتهم الدينية، وتدخل الخلفاء في حل المشكلات التي كثيرا ما كانت تقع بين الأكليروس ..

كان من بين البطاركة ندماء لبعض الخلفاء وأصحاب حظوة في بلاطهم، وشغل كثيرون من النصاري مناصب هامة في الدولة في دوائر المال والكتابة، وكان أغلب أطباء القصور نصاري فجورجيوس بن بختيشوع كان الطبيب الخاص للمنصور، وخلفه ابنه الذي أصبح رئيس بيمارستان بغداد في عهد الرشيد، وتواصل احتكار هذه الأسرة لشئون الطب في دار الخلافة نحو قرنين ونصف، كما وضع الرشيد جميع المدارس تحت مراقبة حنا مسته ونال حنين بن اسحق وابنه حظوة في البلاط العباسي كمترجمين للكتب، وروي أن المأمون كان يدفع إلي مايترجمه حنين في العلم والفلسفة زنة ذهبا، وفي عهد المعتصم كان يشغل سلمويه النصراني منصب يشبه منصب الوزير ..

لقد حقق المسيحيون في بلاطات الخلفاء ودووابن الدولة نفوذا اجتماعيا ومكاسب مادية حسدهم عليها المنافسون والمحرومون، ووجد من بينهم من استغل منصبه في الإثراء غير المشروع ومنهم من أساء إلي العامة والخاصة بعد أن أصبحوا أداة قهر من قبل السلطة ..

### موقف الرشيد من النصاري:

لم يتورع الخلفاء العباسيون عن ملاحقة النصاري، وممارسة العنف بهم عندما شكوا في ولائهم وانحازوا إلي أبناء دينهم ضد المسلمين، فيذكر الطبري المؤرخ في أخبار عام ١٩١هـ أن الرشيد هدم كنائسهم بالثغور، وأمر بأخذ أهل الذمة في مدينة السلام بمخالفة في ثيابهم وركوبهم .. ويري بعض المؤرخين أن هارون الرشيد هدم كنائسهم، لاتهامهم بالميل إلي الروم والتجسس لهم ومطالعتهم أخبار المسلمين، كما أن بطاركة أنطاكية والقدس والاسكندرية كانوا ينتسبون إلي كنيسة بيزنطة، وكانوا شديدي التمسك باللغة اليونانية ويكرهون الرهبان العرب والسريان علي استخدامها، وعلي التعلق بآدابها الكنسية، وأنه حين تبادل المسلمون والروم الأسري، وجه بطريرك القسطنطينية رسولا إلي بطاركة أنطاكية والقدس والإسكندرية يسألهم أن يذكروا اسمه في صلواتهم وقداساتهم، فأجابوه إلي ما سأل !!

وبرغم ممارسات النصاري القائمة علي الغدر والخيانة تجاه المسلمين، فلم يخرج الرشيد علي ما استقر عليه من أحكام واجتهادات بشأن أهل الذمة، فحين كتب أبو يوسف قاضي القضاة إليه قائلا: " قد ينبغي ياأمير المؤمنين – أيدك الله – أن تتقدم بالرفق بأهل ذمة نبيك والتفقد لهم حتي لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فوق طاقتهم، ولا يؤخذ شيء من أموالهم إلا بحق يجب عليهم، فقد روي عن رسول ا لله ﷺ أنه قال: " من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه "، وكان عمر بن الخطاب ﷺ عند وفاته، أوصي الخليفة من بعدي بذمة الرسول ﷺ أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من وراءهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم " [١]..

### العصر العباسي الثاني:

أصدر الخليفة العباسي المتوكل عام ٢٣٥هـ أوامر متشددة تحاه أهل الذمة، فأمر بتمايزهم ومواليهم بالملابس وبالركوب وبهدم البيع المحدثة، وبأن تسوي قبورهم الأرض، ونهي عن تعليم أولادهم في كتاتيب المسلمين، أو أن

---

(١) القاضي أبو يوسف – الخراج .. واستجاب له الرشيد .

يعلمهم معلم مسلم، وكتب لعماله في الأمصار كي تطبق تلك الإجراءات في سائر أنحاء الدولة، إلا أنه رغم تشدده، لم يخرج علي ما استقر من أحكام نظام أهل الذمة، فلم يمس حريتهم الدينية، بل حظيت صابئة حران بمكانة مرموقة وصارت حران مدينتهم في عهده مقرالمدرسة الفلسفة والطب، كما شغل أهل الذمة مناصب رئيسة في دواوين الخلفاء والولاة والعمال، إلي حد أثار استغراب المؤرخين الأوربيين، وفي هذا يقول آدم ميتز في كتابه الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : " من الأمور التي تعجب له كثرة عدد العمال والمتصرفين من غير المسلمين في الدولة الإسلامية، فكأن النصاري هم الذين يحكمون المسلمين في بلاد الإسلام "

**في عهد الواثق ٢٢٧ – ٢٣٢هـ** لجأ نصاري الأناضول إلي بغداد واجتمعوا بالخليفة العباسي هربا من الاضطهادات الكنسية، وشاركوا مع جند الخليفة في محاربة الروم(١)، هذه الحرب التي انتهت بهزيمة الإمبراطور ميشيل الرابع عام ٢٤٥هـ في عهد المتوكل ..

**في عهد المستكفي ٣٣٣هـ** سيطر بني بويه الشيعة الإثني عشرية علي السلطة، وأنهوا سيطرة الترك، وفي عهدهم شغل نصر بن هارون، النصراني منصب الوزارة، واستطاع بموافقة الخليفة أن يبني ويرمم عددا من الكنائس والأديرة ..

**في عهد الفاطميين:**

وحين جاء الفاطميون، وهم شيعة إسماعيلية، وفتح جوهر الصقلي مصر باسم المعز لدين الله الفاطمي عام ٣٥٨هـ وكانت الغلبة فيه للمذاهب السنية، فأعطي أهلها عهدا يمنح حرية العبادة كل حسب الدين والمذهب الذي يدين به، وعرف المعز لدين الله الفاطمي أول الخلفاء الفاطميين بمصر بتسامحه الشديد مع المسيحيين، واستخدام الكثيرين منهم في المناصب الهامة، ثم جاء من بعده ابنه العزيز بالله ٣٦٥-٣٨٦هـ فكان شديد التعصب للمذهب الشيعي، فتشدد في

---

(١) انظر آدم ميتز المرجع السابق – القاهرة – مكتبة الخانجي

نشره وحاول أن يلزم أهل السنة باتباعه، فأبطل صلاة التراويح، ومنع صلاة الضحي، وأمر بلعن أبي بكر وعمر وعثمان علي المنابر، وبنقش سب الصحابة علي الجدران داخل الجامع العتيق وخارجه، وعلي أبواب الحوانيت والحجرات وعلي المقابر [١]..

تساهل العزيز بالله الفاطمي مع النصاري، وتزوج نصرانيتين، وكانت إحداهما أخت بطريرك الإسكندرية، والأخري أخت بطريرك القدس، ومنهن جاء ولي عهده " الحاكم بأمر الله " وأخته " سيدة الملك "

منح العزيز بالله النصاري من الحريات ما لم يعرفوه من قبل، بتأثير زوجتيه، وبتأثير من وزيره النصراني عيسي بن نسطورس، الذي كان له أدوار مشهودة، في محاباة بني دينه، وتقديمهم علي المسلمين في تولي المناصب، مما عجل بتفجير بركان الغضب بعد وفاة الخليفة العزيز بالله ..

خلف العزيز بالله ابنه **الحاكم بأمر الله** ٣٨٦-٤١١هـ، وتميز عهده بالتقلب الشديد في التعامل مع السنة وأهل الذمة، وسار تشدده صعودا وهبوطا، فتارة كان يتشدد مع النصاري وبأمر بتمايز ملابسهم وهيئتهم وركوبهم، وبهدم كنائسهم ونهب محتوياتها وتارة يطلق أيديهم في إدارة البلاد، ويسمح لهم ببناء الكنائس[٢]، جاء فى "أحكام أهل الذمة" لابن قيّم الجَوْزيّة، وكذلك فى "صبح الأعشى" للقلقشندى، ما نصه: "وفي أيام الآمر بأحكام الله الفاطمي بالديار المصرية، امتدت أيدي النصارى، وبسطوا أيديهم بالخيانة، وتفننوا في أذى المسلمين وإيصال المضرة إليهم. واستُعْمِل منهم كاتب يعرف بالراهب، ويُلَقّب بالأب القديس، الروحاني النفيس، أبي الآباء، وسيد الرؤساء، مقدّم دين النصرانية، وسيد البتركية، صفيّ الرب ومختاره، وثالث عشر الحواريين، فصادر اللعينُ عامة مَنْ بالديار المصرية: مِنْ كاتب وحاكم وجندي وعامل وتاجر، وامتدت يده إلى الناس على اختلاف طبقاتهم، فخوّفه بعض مشايخ

---

(١) المقريزي — ج ٢

(٢) انظر د. أحمد شلبي – موسوعة التاريخ الإسلامي. ود. حسن إبراهيم حسن – تاريخ الدولة الفاطمية– مكتبة النهضة المصرية

الكتّاب من خالقه وباعثه ومحاسبه، وحذره من سوء عواقب أفعاله، وأشار عليه بترك ما يكون جماعة من كتاب مصر وقبطها في مجلسه، فقال مخاطبا له ومسمعا للجماعة: نحن ملاك هذه الديار حربًا وخرَاجًا، ملكها المسلمون منا، وتغلبوا عليها وغصبوها، واستملكوها من أيدينا. فنحن مهما فعلنا بالمسلمين فهو قُبَالة ما فعلوا بنا، ولا يكون له نسبة إلى من قُتِل من رؤسائنا وملوكنا في أيام الفتوح. فجميع ما نأخذه من أموال المسلمين وأموال ملوكهم وخلفائهم حِلٌّ لنا، وهو بعض ما نستحقه عليهم. فإذا حملنا لهم مالاً كانت المنة لنا عليهم، وأنشد:

بـــنت كَـــرْمٍ يــتَّموها أمهـــا وأهانـــوها فدِيـــسَتْ بالقـــدمْ
ثـــم عـــادوا حكّمـــوها بيـــنهم وَيْلَهُـــمْ مـــن فعـــل مظلوم حَكَمْ

فاستحسن الحاضرون من النصارى والمنافقين ما سمعوه منه، واستعادوه، وعَضّوا عليه بالنواجذ، حتى قيل إن الذي احتاط عليه قلم اللعين من أملاك المسلمين مائتا ألف واثنان وسبعون ألفا، ومائتا دار وحانوت وأرض بأعمال الدولة، إلى أن أعادها إلى أصحابها أبو علي بن الأفضل، ومن الأموال ما لا يحصيه إلا الله تعالى".

## العصر المملوكي:

يذكر للماليك في عصورهم الأولي من حكمهم، تحريرهم للأرض العربية من بقايا الصليبيين، وتصديهم للغرب النصراني، وحفاظهم علي التراث العربي الإسلامي، وإنقاذهم لمصر والشرق الإسلامي من ممارسات المغول وتجاوزاتهم، كما يذكر لهم غيرتهم الشديدة علي الإسلام، ومذاهب أهل السنة بالذات، وإحياءهم الخلافة الإسلامية التي قضي عليها المغول، وتوسعهم في الإنفاق علي بناء المساجد والمدارس والمشافي والتكايا والأسبلة، وخلفوا آثارا خالدة في القاهرة والقدس ودمشق، وغيرها من المدن وحرصوا علي الواجهة الدينية لحكمهم ..

ولكن يؤخذ عليهم منحهم التسهيلات التجارية للنصاري الأوربيين،

والسماح لهم بإقامة القناصل والجاليات الدائمة لهم في أراضي المسلمين، وإقامة الوكالات التجارية وإنشاء الفنادق والسماح لهم بإقامة صلواتهم فيها، وإنشاء كنائس لهم، هذا في الوقت الذي كان يفرض فيه البابا غرامات علي التعامل مع المسلمين، وتمارس القرصنة البابوية في المتوسط ضد سفن المسلمين، وتفرض فيه القيود علي استيراد السلع من بلاد المسلمين ..

تسامح المماليك تسامحا واسعا مع أهل الذمة، وساهم النصاري الشرقيون من أرثوذكس وأقباط وأرمن في التجارة المملوكية، وحققوا مكانة اجتماعية وثروات طائلة، ومارسوا حرياتهم الاجتماعية، وشاركوا مشاركة إيجابية في الحياة العامة إلا أن محاولات النهب والغزو الأوربية بتحريض من بعض البابوات وملوك أوروبا، ونشاط أعمال القرصنة في البحر المتوسط، وامتدادها إلي شواطئ الأطلسي، بالإضافة إلي تصاعد حدة التعصب للكاثولكية قد تركت آثار سلبية بين النصاري والمسلمين في الشرق ..

كما أن نكبة الأندلس والتهجير القسري لآلاف المسلمين الذين انساحوا في المشرق العربي، ناقلين أبشع المعاملات عن محاكم التفتيش، استثار دعاوي الثأر والانتقام فشهدت البلاد فتنا طائفية بين الحين والآخر، كان أبرزها التي وقعت بمصر عام ١٣١٩م. وهدمت خلالها الكنائس، واشتعلت النار في عدد من أحياء القاهرة .. ويذكر عنها المقريزي: " أن المسلمين فتكوا بالنصاري، وتجاوزوا فيهم المقدار، وأسلمت جماعة كثيرة من النصاري " وغلب التشدد أصحاب العمامة من الطلبة والوعاظ ..

### الدولة العثمانية:

يذكر للعثمانيين تعصبهم الشديد للإسلام، ورفعهم راية الخلافة العثمانية، وزحفهم الباهر في سرعة هائلة فاتحين بلدان أوروبا الشرقية حتي النمسا، إلا أن المصادر المختلفة تجمع علي أن العثمانيين عرفوا بالتسامح الديني مع غير المسلمين، مما جعل شعوب البلقان وشرق أوروبا تفضل العيش في ظل حكم

الأتراك بدلا من العيش في ظل حكم المسيحيين، وهذا ما حدا " بمارتن لوثر " في كتابه المسمي " النصح بالصلاة ضد الأتراك " أن يحذر منه ..

كانت الدولة العثمانية في عصورها الأولي ذات سحر قوي، جذب المستاؤون والطموحون في البلقان إليها بسبب ما وفره العثمانيون من تسامح، وبعد أن وجدوا في الحكومة العثمانية سيدا أكثر رأفة وسماحة نفس [١]..

## السلطان محمد الثاني ( محمد الفاتح )

حين فتح السلطان محمد الثاني القسطنطينية، اتجه مباشرة إلي كنيسة أيا صوفيا، حيث أذن المؤذنون للصلاة، ثم صعد محمد الفاتح إلي مذبح الكاتدرائية وأدي صلاة الظهر إيذانا بتحويلها إلي مسجد، وأطلق علي القسطنطينية - مدينة الأباطرة - " إسلامبول " أي عاصمة الإسلام، ثم بعث إلي سلطان المماليك في مصر وسائر أمراء المسلمين ينبئهم بذلك الفتح العظيم، قائلا:

" إن من أحسن سنن أسلافنا، أنهم مجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون في الله لومة لائم، ونحن علي تلك السنة قائمون، وعلي تلك الأمنية دائمون، ممتثلين قوله تعالي: " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله " ومستمسكين بقوله ﷺ: " من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله علي النار " فهممنا هذا العام معتصمين بحبل ذي الجلال والإكرام، ومستمسكين بفضل الملك العلام، إلي أداء فرض الغزاء في الإسلام مؤتمرين بأمره تعالي: ﴿ قَـٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾(التوبة: ١٢٣) وجهزنا عساكر الغزاة والمجاهدين من البر والبحر لفتح مدينة ملئت فجورا وكفرا، والتي بقيت وسط الممالك الإسلامية تباهي بكفرها فخرا "

عين السلطان محمد الفاتح، الراهب المتعصب " حنا ديوس " بطريركا علي الكنيسة الأرثوذكسية، وأخضعها لسلطته، وتمتع البطريق بصلاحيات لم يمارسها بطاركة العهد البيزنطي، فمنحه رتبة الباشوية الشرفية وجعل محكمته الخاصة، وترك له أمر توزيع الجزية علي أتباعه ونالت الكنيسة الأرثوذكسية في عهده والعقود التي أعقبت فتح القسطنطينية رعاية خاصة . ونتيجة لهذه

---

(١) برنارد لويس - السياسة والحرب. تراث الإسلام - عالم المعرفة - الكويت ١٩٧٨م.

المعاملة الخاصة دعا رجال الكنيسة إلي حث أتباعهم علي الطاعة وإقرار نظام الدفشرمه Devshirme والذي كان يقضي بجمع أطفال العائلات المسيحية في مقدونيا والصرب وبلغاريا وألبانيا والمجر وغيرها كحصة بيت مال المسلمين، وإعدادهم عسكريا وإداريا بعد تحويلهم إلي الإسلام وتربيتهم تربية خاصة .

كانت القسطنطينية مركزا لجاليات نصرانية متعددة، وأعطي محمد الفاتح كل جالية حكما ذاتيا في المسائل الدينية، وتوافرت لكل طائفة الحرية الدينية، وأعطيت القيادات الروحية سلطات واسعة في إدارة شئون رعاياها الدينية والمدنية والاجتماعية والقضائية والتعليمية، والتزم السلاطين والولاة بنظام " أهل الذمة " التزاما واضحا .

وحين فكر السلطان سليم الأول الخروج علي أحكام أهل الذمة بسبب ما كان يلقاه المسلمون في أسبانيا وجنوب أوروبا وروسيا، وكردة فعل لأعمال القرصنة التي تمارس في المتوسط والأطلسي والهندي من قبل الأوربيين، تصدي له الفقهاء المسلمون قائلين له: " بلا محاباة، ليس لك علي النصاري واليهود إلا الجزية وليس لك أن نزعجهم في أوطانهم " (١)..

وحين طرد اليهود من أسبانيا في أعقاب سقوط غرناطة عام ١٤٩٢م. أصدر السلطان بيازيد الثاني مرسوما بالسماح لهم باللجوء إلي سائر أنحاء الدولة العثمانية، وأوصي بحسن معاملتهم حيث حلوا !!

وعلي الرغم من هذا التسامح، كانت هناك الممارسات المناقضة ضد المسلمين، فقد قرر مؤتمر فيينا ١٨١٥م. محاربة عمليات الجهاد الإسلامي في البحر المتوسط والشمال الأفريقي تحت شعار " محاربة القرصنة " !!

### خط شريف كلخانة .. والخط الهمايوني ..

في عام ١٨٣٩م. أصدر شريف باشا وزير خارجية الدولة العثمانية، "خط شريف كلخانة " في عهد السلطان عبد المجيد بن محمود الثاني، وضمن لغير المسلمين الأمان التام علي حياتهم وأموالهم، وحرية ممارسة طقوسهم الدينية، إذ

---

(١) شكيب أرسلان ـ التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي

تضمن كثيرا من المثل العليا التي احتوتها وثيقة الإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان ١٧٨٩م. ... نصت هذه الوثيقة الدستورية العثمانية علي مساواة جميع الرعايا أمام القانون مع المحافظة علي الشريعة الإسلامية، ولكنها أثارت المسلمين والزعماء الدينيين لأنهم رأوا أنها منافية للقرآن الكريم لمساواتها المسيحيين بالمسلمين ... ثم جاء " الخط الهمايوني " عام ١٨٤٤م. ليقضي بعدم تطبيق أحكام الإعدام عن المرتدين عن الإسلام ' والمحافظة علي حقوق رؤوساء الملل غير الإسلامية، وتشكيل مجالس منتخبة خاصة بالرعايا المسيحيين، وفتح المدارس الرسمية أمام المسيحيين، وإتاحة فرص تولي الوظائف في الدولة، وسمح للأجانب بامتلاك الأراضي .

تواصلت الإصلاحات في عهد شريف باشا بدعم أوروبي فأنشأ المحاكم المختلطة التي تقبل شهادة المسلمين والمسيحيين، وأصدر القانون التجاري علي نمط القانون التجاري الفرنسي .

كان لهذه التنظيمات انعكاساتها السلبية، بعد أن أصبح لكل ملة حق إقامة شعائرها بحرية داخل الولايات العربية مما أدي إلي استغلال المبشرين الكاثوليك والبروتستانت ذلك في مضاعفة نشاطاتهم التبشيرية والتعليمية خاصة في بلاد الشام ومصر وازدياد التطلع المسيحي إلي أوروبا، مما ساعد علي تعميق الهوة بين المسلمين وغير المسلمين .

ولقد كان العمل بنظام الملل أيام العثمانيين من العوامل التي عمقت الشعور بالذاتية والتمايز وبالتالي كان وبالا علي الوحدة الوطنية، وفي حين كان الالتزام بنظام " أهل الذمة " حتي بداية عهد المماليك، كان قد وفر لغير المسلمين الحرية الدينية ويسر اندماجهم وتفاعلاتهم في المجتمع وجعلهم عربا لغة وثقافة وأنماط سلوك ..

اقتصر نظام " أهل الذمة " علي تقنين الحقوق الدينية لغير المسلمين، وخضعوا في شتي شئون حياتهم المدنية للأحكام العامة التي يخضع لها المسلمون، وكانت الشريعة الإسلامية هي القانون الضابط لعلاقات الناس علي اختلاف أديانهم ومذاهبهم .

كان من نتائج هذه التنظيمات تزايد تطلع مسيحي الدولة العثمانية إلي أوروبا كحامية وفي البلقان تشكلت حركة قومية استهدفت الاستقلال بدعم أوروبي .

**الامتيازات الأجنبية – " حماية وممارسات مستفزة وآثار سلبية ":**

كان للامتيازات والتسهيلات التي حصلت عليها الدول الأوربية لرعاياها في الدولة العثمانية، آثارا سلبية علي وحدة المجتمع ونسيجه في الولايات العثمانية، لما انتهت إليه من تدخل استعماري بدا أكثر وضوحا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

يري البعض أن الامتيازات الأجنبية في الدولة الإسلامية جاءت استنادا إلي الفقه الإسلامي، حيث أن العلاقة بين " دار الإسلام " و " دار الحرب " قد شهدت فترات سلام طويلة، وخلالها كان بعض أهل دار الحرب يعبرون أراضي الدولة الإسلامية أو يقيمون فيها لأغراض سلمية، وكان يطلق علي الواحد منهم " مستأمن " أي منح أمانا يضمن حياته وأملاكه ليباشر نشاطه السلمي، ولم يكن تطبق علي المستأمن الأحكام الشرعية والأنظمة والأعراف المحلية، وإنما كان يخضع في شئونه الخاصة لتشريع بلاده [١]..

نعم للذميين حقوق في دولة الإسلام، ولا يجوز أن يعتدي علي أرواحهم وأموالهم وأماكن عبادتهم، أما أن تعطي لهم امتيازات خاصة بهم لا يحلم بها المسلمون، ويترك لهم حرية التعاون أو حرية التآمر والخيانة مع دول الكفر، ليس هذا من الإسلام في شيء .. مهما تسامح الحكام المسلمون مع الذميين يجب أن تبقي مرتبتهم دون مراتب المسلمين .. يجب أن يشعروا بالصغار لقوله تعالي: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾(التوبة:٢٩) .

برزت الامتيازات عندما منح المماليك تسهيلات للتجار الأجانب في القرن الثالث عشر في مصروالشام، ثم جاء محمد الفاتح بعد فتح القسطنطينية فأبقي

---

(١) د. محمد أنيس – الدولة العثمانية والشرق العربي – القاهرة – الأنجلو ١٩٨٠م

علي امتيازات حصل عليها تجار البندقية في العهد البيزنطي، وزاد منها سليم الأول وسليمان القانوني، وأصبح للأوربيين قناصل في مواني الشام ..

صدرت هذه الامتيازات للرعايا الأجانب في الدولة، كمكرمة من سلاطين أقوياء، لتوفر الحماية والرعاية لهم، ولم تكن تعني تميزا خاصا، ولم يكن لها مقابل علي هيئة ضمانات للمسلمين في أوروبا ولم يجر تأمين علي مصالح المسلمين في المستعمرات الانجليزية والفرنسية والهولندية فيما وراء البحار أسوة بما تحقق لهم في أراضي الدولة وولاياتها .

تطورت هذه الامتيازات التي لم تكن تسر علي رعايا الدولة من الأرمن والمسيحيين الشرقيين واليهود، وتزايدت حقوق الأجانب، وتوالت التنازلات، وبرز الوجه الطائفي للامتيازات، فأصبحت فرنسا حامية للكاثوليك في الدولة، ونشطت البعثات التبشيرية، ولم ينتهي القرن السابع عشر إلا وقد تحولت التسهيلات إلي امتيازات والامتيازات إلي تدخلات في شئون الدولة، بعد أن تحول النشاط التبشيري إلي نشاط استعماري !!

لم تكن هذه الامتيازات واردة في عهد السلاطين العثمانيين الأول من آل عثمان، وإنما بدأت آثارها مع بداية عهد السلاطين الذين تأثروا بالثقافة الغربية .. منح السلطان سليمان القانوني فرانسو الأول ملك فرنسا شيئا من الامتيازات، بدأت تنمو مع مرور الزمن حتي أصبحت صاحبة الحق في حماية الطوائف الكاثوليكية والموارنة .. وصارت فرنسا شريكا للدولة العثمانية في حكم بلاد الشام في كل مايخص الكاثوليك والموارنة .. استغلت امتيازاتها أبشع استغلال وراحت تخطط من أجل استرجاع الأراضي المقدسة !! كان المبشرون وقناصلة الدول النصرانية يشرقون ويغربون في الدولة دون حسيب ولا رقيب !!

الجدير بالذكر أنه لما ساءت العلاقات بين فرنسا والعثمانيين في عهد السلطان محمود الثاني، حركت ضده صنيعتها محمد علي باشا الذي خاض معارك مع جيوش السلطنة العثمانية ونجح في السيطرة علي بلاد الشام كلها، وكاد يحتل تركيا لولا وقوف انكلترا والنمسا وغيرهما إلي جانب الباب العالي

خوفا من ازدياد نفوذ فرنسا في المنطقة .. ولما استوي السلطان عبد المجيد علي عرش السلطنة، لم ير بدا من الاستسلام لتوجيهات الدول التي انقذته ، فبادر إلي الإصلاحات التي كانت تتطلبها، فأعلن ما سمي بالتنظيمات عام ١٨٤٤م، وخط شريف همايون عام ١٨٥٦م، ولكن كل ذلك لم يحد من أطماع الدول الأوربية في السلطنة العثمانية فأخذت كل دولة في صراعها تعد العدة لاستيلاء كل منها علي القطر الذي تطمع به مستعينة بقناصلها وإرسالياتها الدينية والثقافية!!

# الخاتمـــــــــة

أما وقد انتهي تدوين هذا البحث، أحسب أنني قد قدمت لطلاب الحقيقة من مسلمين وغير مسلمين، بحثا أساسه العلم والفكر، ومحوره فقه التاريخ، وهدفه البناء لا الهدم ..

وبعـــــــد:

يجب أن نعلم أن المسيحية الشرقية هي جزء من ذاتنا الوطنية والقومية والحضارية ...وأنه من الجنون أن تتصور الأقلية النصرانية إمكانية تفريغ مصر من المسلمين الذين يكونون أكثر من ٩٥% من سكانه ..

من الجنون أن ينخدع البعض بغواية الغرب التي سبق ومارستها الامبراطوريات الاستعمارية التي سبقت أمريكا .. من روسيا القيصرية الأرثوذكسية .. إلي فرنسا الكاثوليكية .. وحتي إنجلترا الإنجيلية .. لقد طويت صفحات هذه الامبراطوريات، وذهب عملاؤها إلي مزبلة التاريخ !!وبقي الإسلام العظيم الحضاري صيغة نهضوية لكل شعوب الشرق ...

يجب أن نعلم جميعا – نصاري العرب وأقباط مصر – أننا ركاب سفينة واحدة .. سفينة الوطن الواحد، الذي يعيش فينا كما نعيش فيه .. هذه السفينة إذا خرقها الأعداء أو العملاء أو الدهماء غرق جميع من عليها بلا استثناء، وغرقت معهم كل العقائد والمذاهب والمصالح !!

روي عنه ﷺ أنه قال:

**" مثل القائم علي حدود الله والواقع فيها كمثل قوم ركبوا سفينة في البحر، فأصاب بعضهم أسفلها وأصاب بعضهم أعلاها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا علي من فوقهم فآذوهم، فقالوا: لو خرقنا نصيبنا خرقا فاستقينا منه ولم نؤذ من فوقنا ؟ فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعا، وإن أخذوا علي أيديهم نجوا جميعا "**

يجب أن نحذر ونتخلص من غوايات الغرب.. وأن نخلص الولاء والانتماء لمقومات حضارتنا الواحدة الجامعة، الحضارة الإسلامية، التى ورثت واستوعبت وأحيت كل المواريث الحضارية التى سبقت ظهور الإسلام، والتى شاركت فى بنائها كل شعوب الشرق، على اختلاف عقائدها الدينية.. فالتغريب، والغوايات الغربية، والاختراق الغربى لأمن أمتنا القومى والحضارى- هى المخاطر المحدقة بوحدتنا الوطنية والقومية والحضارية.

ولنتذكر كلمات عبد الرحمن الكواكبى ١٣٢٠ هـ- ١٩٠٢م قبل قرن من الزمان-:

**"يا قوم، أليس مطلق العربى أخف استحقارا لأخيه من الغربى؟!.. هذا الغربى قد أصبح ماديا لا دين له غير الكسب، فما تظاهره مع بعضنا بالإخاء الدينى إلا مخادعة وكذبا، فالذين يطاردون الدين- بالعلمانية - فى بلادهم، لا تكون دعواهم الدين فى الشرق إلا كما يغرد الصياد وراء الشباك !.. "**

فنحن جميعا شرقيون، حضارة ومدنية وقيما.. وبعبارة "السنهورى باشا ":

**".. فالشرق بالإسلام، والإسلام بالشرق، وإنهما لشىء واحد.. وأمتنا ذات مدنية أصيلة هى أكثر تهذيبا من المدنية الأوروبية.. وليست هى الأمة الطفيلية التى ترقع لمدنيتها ثوبا من فضلات الأقمشة التى يلقيها الخياطون ".**

وإذا كان أسلافنا قد علمونا:

"**أن صلاح آخر هذه الأمة لن يكون إلا بما صلح به أولها** ".. فإن المنهاج الإسلامى الذى جعل "الآخر" جزءا من "الذات "- ذات الأمة.. والرعية.. والدولة.. والقومية.. والحضارة - بل والدين الإلهى الواحد، مع الاختلاف فى الشرائع، هو أصلح المناهج لبناء الوحدة الوطنية والقومية والحضارية لشعوب الأمة الإسلامية، هذه الوحدة التى نواجه بها مختلف الغوايات وجميع التحديات..

وعلينا أن نتذكر- كمنطلق لنا فى هذا المقام- كلمات رسول الإسلام، ورحمة الله للعالمين، وخاتم النبيين والمرسلين، والمصدق لما جاءوا به أجمعين،

ومحرر الشرق والشرقيين، وبانى نهضة هذه الأمة، عندما أعطى العهد والميثاق لغير المسلمين، أن يكونوا:

**"مع المسلمين أمة واحدة، بينهم النصر والنصح، والنصيحة والأسوة، والبر دون الإثم.. لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم.. حتى يكونوا شركاء فيما لهم وفيما عليهم.. وأن أحرس دينهم وملتهم بما أحفظ به نفسى وخاصتى وأهل الإسلام من ملتى.. "**

ذلك هو دستور العدل والإنصاف لوحدة الأمة، مع كل الحقوق والحريات فى التنوع الدينى، فى ظل الولاء والانتماء لحضارتنا المشتركة والواحدة.. حضارة الإسلام.

**حوار هام لابد منه ..**

وإذا جاز لنا فى ختام هذه الدراسة أن نرشح "لجماعة الحكماء" التى يجب أن تأتلف، لتدير الحوار الموضوعى حول مشكلات الأقليات، والتحديات التى تواجه الأمة بسبب استغلال الغرب الاستعمارى لهذه المشكلات.. إذا جاز لنا أن نرشح "النقاط الساخنة"، التى يجب أن تتصدر "جدول أعمال " هذا الحوار، فإننا نرشح:

**أولا:**

ضرورة استبعاد الأوهام التى تروجها قطاعات أقباط المهجر، تلك التى سقطت فى شباك الغواية الصهيونية- الغربية، والتى تزعم أن العروبة والإسلام طارئين على الشرق، ويجب تحرير النصرانية الشرقية منهما !!.. فليست هناك- ولا يعقل أن تكون- امتيازات للأقدمية الدينية".. فدين الله واحد، والتعددية والتوالى إنما هما فى الشرائع والنبوات والرسالات، التى هى معالم على طريق الوصول إلى الله.. فالمسلمون الفرس هم إيرانيون زرادشتيون أسلموا، وليسوا طارئين ولا وافدين على إيران.. وكذلك المسلمون المصريون، هم مصريون- أى أقباط- أسلموا، وليسوا مهاجرين من شبه الجزيرة العربية إلى مصر.. وعلى الذين يزعمون أن المسلمين فى المشرق والمغرب هم

مهاجرون طارئون على البلاد التى فتحها المسلمون- أن يتعلموا ويعلموا حقائق "الديموجرافيا " التى كتبها ونشرها العلماء غير المسلمين، والتى تقول:

إن كل سكان شبه الجزيرة العربية فى عهد الخلافة الراشدة - أى عصر الفتوحات- كان عددهم ١,٠٠٠,٠٠٠ نسمة فقط .. بينما كان عدد سكان مصر والشام والعراق وفارس وحدهم- أى باستثناء المغرب- ٢٩,٠٠٠,٠٠٠ نسمة، فحتى لو هاجر كل سكان شبه الجزيرة العربية- وهذا لم يحدث- إلى البلاد التى فتحها المسلمون لما كان لذلك أى أثر ديموجرافى على التركيبة السكانية الأصلية لتلك البلاد.

وإذا كانت قد تمت هجرات عربية مسلمة محدودة العدد إلى تلك البلاد، فلقد تمت إليها هجرات أرمينية ويونانية وقبرصية مسيحية أيضا.

وعلى الذين يقولون ان الإسلام وافد على النصرانية فى تلك البلاد، أن يتذكروا أن النصرانية وافدة على تلك البلاد أيضا.. بل هى وافدة حتى على الفاتيكان .. كما أن اليهودية وافدة على كل البلاد التى دخلتها بما فى ذلك فلسطين.. وإذا كانت الأقدمية الدينية ميزة وامتيازا ! فربما كان الفوز بهذا الامتياز هو للذين يعبدون العجل أبيس!!.

فعلينا أن نبدأ حوار الحكماء بتبديد هذه الأوهام.

**وثانياً:**

إن المساواة فى حقوق المواطنة- السياسية والاجتماعية والاقتصادية- هى حق إلهى بحكم خلق الله- ﷻ- للإنسان- من الأقليات أو من الأغلبيات كان هذا الإنسان- فهذه المساواة ليست مجرد حق من حقوق الإنسان، تمنح أو تمنع تبعا لدرجة التسامح فى المجتمع والدولة، وإنما هى "حق إلهى" بحكم الخلق والتكريم الإلهى لمطلق الإنسان.

وإذا كان الحق فى بناء دور العبادة، وفى إقامة الشرائع الدينية فيها، هو مما كفله الإسلام، بل وأوصى الدولة الإسلامية بأن تعين وتساعد عليه غير

المسلمين .. قرر الإسلام ذلك، وطبقه قبل أى حديث عن حقوق الإنسان .. فى الندوة التى دعت إليها نقابة المهندسين بمصر منذ سنوات، والتى حضرها البابا شنودة الثالث، اقترح الشيخ الغزالى أن يعطى كل أهل دين مساحة من الأرض لبناء دور عبادتهم عليها مساوية لنسبتهم العددية إلى السكان.. هذا هو المعيار العادل، الذى يخرج هذه القضية الحساسة والحيوية من غلو الغلاة، وكل الغلاة.. غلو الذين يضيقون ببناء الكنائس.. وغلو الذين يريدون لبناء الكنائس أن يكون مظهرا من مظاهر "الاستقواء" والتغيير لهوية المجتمع، لحساب الهوية المستوردة التى لا علاقة لها بهويتنا المشتركة.

**وثالثاً:**

إذا كان من غير المتصور أن تفرض الأقلية الدينية على الأغلبية منهاجها ومذهبها فى "الدولة" كأن يسعى المسلمون، فى فرنسا مثلا، بملايينهم الخمسة، إلى فرض الدولة الإسلامية وشريعتها على الأغلبية العلمانية للشعب الفرنسى، أو أن يمثلوا فيتو على التوجه العلمانى للأغلبية- فكذلك الحال مع مائتى مليون مسلم فى الهند؛ لأن "هوية الدولة"- بالمنطق الديمقراطى- هى خيار الأغلبية.. فإن هذه "الدولة" تكون علمانية مع الأغلبية العلمانية، وإسلامية مع الأغلبية الإسلامية مطالبة بأن تجور هويتها- علمانية كانت أو إسلامية- على الحق الإلهى والمقدس للأقليات فى حرية الاعتقاد الدينى، وإقامة شعائر وفرائض الدين.

فالأقليات الإسلامية، فى البلاد العلمانية، مطالبة باحترام القانون الوضعى، بشرط أن يراعى هذا القانون حريتها فى الاعتقاد الإسلامى وإقامة الفرائض الإسلامية، ومراعاة الحلال والحرام الدينى فى أحوالها الشخصية وحياتها الأسرية، وعدم التجريح لمقدساتها.

والأقليات غير المسلمة فى المجتمعات ذات الأغلبية المسلمة مطالبة باحترام قوانين وفقه الشريعة الإسلامية، خصوصا وأن هذه القوانين مرجعيتها منظومة القيم الإيمانية المشتركة، والجانب المدنى والقانونى الإسلامى، الذى لا بديل له ولا نقيض فى النصرانية، و إنما هو بديل ونقيض للقانون الغربى

العلمانى، الذى جاءنا فى ركاب الغزاة والمستعمرين.. فالقانون الإسلامى هو قانون وطنى.. وقومى بالنسبة لغير المسلمين، مع ضرورة مراعاة ألا يتعارض بند من بنود هذا القانون مع نص دينى جاء به الدين لغير المسلمين.

وإذا كانت أوراق الأقليات قد تحولت- على يد الهيمنة الغربية- من نعمة التنوع فى إطار الوحدة إلى نقمة تشرذم وتفتيت فإن العقلاء والحكماء، من مختلف الفرقاء يجب عليهم إنقاذ الدين من هذا الاستغلال الاستعمارى.. وانقاذ الأقليات من هذا الذى تصنعه الغواية والخيانة بأقلية قليلة، أرادت وتريد تعميم جريمتها على الأغلبيات الساحقة من أبناء الأقليات.

إن التعصب رذيلة، بصرف النظر عن دين المتعصبين.. أما السقوط فى شباك الغواية الاستعمارية فهو الخيانة للوطن وللدين معا، ولنتذكر مرة أخرى الخيار الصهيونى للأقليات كما جاء فى مقررات ندوة التسعينات والذى قالوا فيه: إن هذه الأقليات هى شريكة لإسرائيل فى المصير، وفى الوقوف ضد الإسلام والقومية العربية." [١] .

## وفي الختام:

لعلي أكون قد بينت في هذا البحث الوضع الشرعي لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ما لهم من حقوق، كفلها الإسلام .. وكيف عاش هؤلاء الذين منحهم الإسلام ذمة الله، وذمة رسوله، وذمة جماعة المسلمين، طوال العصور الماضية، وخاصة العصور الذهبية للدولة الإسلامية .. مقارنا ذلك بما صنعه الآخر، وما صنعته الديانات، والأيديولوجيات الأخري عبر التاريخ ..

نحن دعاة تسامح، لأن الإسلام نفسه يأمرنا به، ويدعونا إليه، ولكن ليس معني التسامح أن نتنازل عن ثوابت ديننا، إرضاء للآخر الذي لم يراعي فينا إلا ولا ذمة، لأن في تنازلنا إعراض عن الدين، وإيثارا للمخلوق علي الخالق وللهوي عن الحق .. في تنازلنا عن ثوابت ديننا تجميد لأحكامه، وتعطيل لحدوده، وإهدار لمنهجه ..

---

(١) ارجع لكتابات د. إبراهيم عوض، ود. محمد عباس في صحيفة الشعب الالكترونية "

يقوم التسامح علي ما أمر به الدين من حسن الجوار وحب الخير للجميع، ووجوب العدل مع الجميع .. وليس من التسامح أن نذيب الفوارق الأساسية بين الأديان فيتساوي التوحيد مع التثليث، والمنسوخ مع الناسخ .. مثل هذه الدعوات تبعد ولا تقرب، وتفرق ولا تجمع، وتهدم ولا تبني .. أعاذ الله أمتنا من شرور الغواية.. وحرسها من تحديات الخيانة..

ووفقنا جميعا- أقليات وأغلبيات. إلى ما يرسخ وحدة أمتنا، ويعيد لها أسباب النهوض؛ لتأخذ مكانها ومكانتها الجديرة بدورها التاريخى، الذى تعلمت منه الكثير من الأمم والحضارات..

| | |
|---|---|
| ياقوم بان الرشد فاقصوا ما جري | وخـــذوا الحقيقة وانبذوا الأوهاما |
| هــذي ربــوعكم وتلــك ربوعنا | متقابلـــين نعـــالج الأيامـــا |
| هــذي قـــبوركم وتلـــك قـــبورنا | مـــتجاورين جماجمـــا وعظامـــا |
| فبحـــرمة الموتي وواجب حقهم | عيشوا كما يقضي الجوار كراما |

أحمد شوقي

وأخيرا وليس بآخرأقول:

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، و ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾(الصافات:١٨٠/١٨٢) والصلاة والسلام علي محمد وعلي آله وصحبه أجمعين .والله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ..

# أهم المصادر والمراجع


| المؤلف | الكتاب | الناشر |
| --- | --- | --- |
| - كلام الله تعالي المنزل | القرآن الكريم | |
| - إسماعيل بن كثير الدمشقي | تفسير القرآن العظيم | مطبعة المنار ١٤٠٠هـ |
| - ابن جرير الطبري | تفسير بن جرير الطبري | البابي الحلبي ط ١٣٨٨هـ |
| - ابن هشام | السيرة النبوية | |
| - السنة النبوية المطهرة | ( فتح الباري في شرح صحيح البخاري ) | |
| - ابن الأثير | الكامل في التاريخ | بيروت |
| - ابن كثير | البداية والنهاية | بيروت |
| - العهد القديم | دار الكتاب المقدس | القاهرة - ١٩٨٢م |
| - العهد الجديد | دار الكتاب المقدس | القاهرة - ١٩٨٢م |
| - موريس بوكاي | دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة | دار المعارف |
| - عبد الوهاب عبد السلام الطويلة | الكتب المقدسة في ميزان التوثيق | |
| - عبد الشكور بن محمد العروسي | التصريح بإثبات الأناجيل الأربعة | رابطةالعالم الإسلامي |
| - محمد عزت إسماعيل الطهطاوي | النصرانية والإسلام | دار الأنصار |
| - محمد أبو زهرة | محاضرات في النصرانية | الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية |
| - رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي | إظهار الحق | قطر |
| - د. أحمد شلبي | مقارنة الأديان - المسيحية | مكتبة النهضة الحديثة |
| - د. أحمد شلبي | مقارنة الأديان - اليهودية | مكتبة النهضة الحديثة |
| - د. محمد عبد الله دراز | الدين | دار القلم الكويت |
| - د. عبد الحليم محمود | أوروبا والإسلام | |
| - عباس محمود العقاد | المسيح | |
| - أحمد عبد الوهاب | المسيح | مكتبة وهبة - القاهرة |
| - ابن تيمية | الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح | مطابع المجد التجارية |
| - عبد الوهاب المسيري | موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية | دار الشروق |
| - محمد عزة دروزة | تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم | بيروت |
| - د. رؤوف شلبي | يأهل الكتاب تعالوا إلي كلمة سواء | دار الاعتصام - القاهرة |

| المؤلف | الكتاب | الناشر |
|---|---|---|
| - ول ديورانت | قصة الحضارة | ترجمة محمد بدران |
| - كريستوفر هيرولد | بونابرت في مصر | |
| - طارق البشري | المسلمون والأقباط في إطار الجماعة الوطنية | القاهرة |
| - د. محمد أنيس | الدولة العثمانية والشرق العربي | الأنجلو - القاهرة |
| - شكيب أرسلان | التعصب الأوربي أم التعصب الإسلامي | |
| - د. محمد محمد حسين | الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر | مؤسسة الرسالة |
| - برنارد لويس | السياسة والحرب - تراث الإسلام | عالم المعرفة |
| - د. أحمد حجازي السقا | من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية | دار الأنصار - القاهرة |
| - كمال أحمد عون | اليهودية من كتابهم المقدس | القاهرة |
| - د. محمد كمال جعفر | الإنسان والأديان | القاهرة |
| - د. محمد إبراهيم الفيومي | محاضرات في منهج الدين المقارن | القاهرة |
| - د. سعود عبد العزيز الخلف | دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية | |
| - عبد الحميد خالد سرحان | العقائد الإسلامية وإنجيل برنابا | مكتبة الصحابة |
| - عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني | كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة | دار القلم - دمشق |
| - عوني فرسخ | الأقليات في التاريخ العربي | ط ١٩٩٤م |
| - د. مصطفي عبد الغني | القاهرة حقيقة الغرب بين الحملة الفرنسية والحملة الأمريكية | |
| - وول ديورانت | قصة الحضارة | ترجمة محمد بدران |
| - توماس أرنولد | ترجمة د . حسن إبراهيم حسن | الدعوة الإسلامية — القاهرة |
| - ابن جرير الطبري | تاريخ الأمم والملوك | |
| - سيد علي الحريري | الحروب الصليبية | دار التضامن - بيروت |
| - د. قاسم عبده قاسم | ماهية الحروب الصليبية | القاهرة |
| - د. صالح بن حسين العايد | حقوق غير المسلمين في بلاد الإسلام | رابطة العالم الإسلامي |
| - محمد قطب | مذاهب فكرية معاصرة | دار الشروق |

| المؤلف | الكتاب | مكان النشر |
| --- | --- | --- |
| - مؤسسة آل البيت | معاملة غير المسلمين في الإسلام | ج ١، ج ٢- عمان - الأردن |
| - د. محمد عبد الله عنان | دولة الإسلام في الأندلس | القاهرة |
| - د. عماد الدين خليل | مدخل إلي التاريخ الإسلامي | بيروت |
| - تاريخ الشعوب الإسلامية | كارل بروكلمان | بيروت |
| - د. محمد عمارة | الإسلام والتعددية | القاهرة |
| - د . محمد عمارة | الأقليات الدينية والقومية | القاهرة |
| - د.محمد عمارة | المسألة القبطية حقائق وأوهام | القاهرة |
| - د.سعد الدين إبراهيم | الملل والنحل والأعراق | القاهرة |
| - يوحنا النقيوس | تاريخ مصر | القاهرة |
| - صبري أبو الخير سليم | تاريخ مصر في العصر البيزنطي | القاهرة |
| - د. محمد حميد الله الحيدر آبادي | مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة | القاهرة |
| - د. محمد عمارة | الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده | القاهرة |
| - البلاذري | فتوح البلدان | القاهرة |
| - سير توماس أرنولد | الدعوة إلي الإسلام | القاهرة |
| - فيليب فارج، يوسف كرباج | المسيحيون واليهود في التاريخ الإسلامي العربي والتركي | |
| - آدم متز | الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري | بيروت |
| - جورج قرم | تعدد الأديان ونظم الحكم دراسة سوسيولوجية وقانونية مقارنة | بيروت |
| - المقريزي | كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك | القاهرة ج١ |
| - عبد الرحمن الجبرتي | عجائب الآثار في التراجم والأخبار | القاهرة |
| - محمد حسنين هيكل | ( المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل: الأسطورة والإمبراطورية والدولة اليهودية - الكتاب الأول- ص ٣١، ٣٢ | طبعة القاهرة سنة ١٩٩٦م |
| - جريس هالسل | (النبوءة والسياسة) ترجمة محمد السماك | طبعة ليبيا سنة ١٩٩٠م |

| المؤلف | الكتاب | النشر |
|---|---|---|
| – جريس هالسل | ( يد الله) ترجمة محمد السماك | طبعة القاهرة سنة ٢٠٠٠ م |
| – د. محمد عمارة | (إسرائيل: هل هى سامية؟ ) ص ١٢٤ | طبعة القاهرة سنة ١٩٦٧م |
| – د. محمد عمارة | (هل الإسلام هو الحل.. لماذا، وكيف ؟) ص ٢٢ | من مراسلات القناصل- محفوظات أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية- لسنوات ١٨٤٠- ١٨٤٢- ١٨٤٨- ١٨٩٧- ١٨٩٨ طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م |
| – محمد السماك | ( الأقليات بين العروبة والإسلام) ص ١٣١، ١٣٢،١٤٣ | طبعة بيروت سنة ١٩٩٠م |
| – سمير مرقص | ( الحماية والعقاب: الغرب والمسألة الدينية فى الشرق الأوسط) ص ٨١- ١٥٦ | طبعة القاهرة سنة٢٠٠٠م |
| – د. سعد الدين إبراهيم | (التعددية الإثنية فى الوطن العربى) ص٢٢ | طبعة القاهرة سنة ١٩٩٥م |
| – حامد سليمان | فتح مصر | المكتب العربي – القاهرة |
| – د. غالي شكري وآخرون | المسألة الطائفية | دار الطليعة – بيروت |
| – سعد رستم | الأناجيل الأربعة تنفي ألوهية المسيح كما ينفيها القرآن الكريم | إسلام آباد – باكستان |

# قائمة المحتويات

## هذا الكتاب

• هذا الكتاب يكشف النقاب عن حقيقة ما يجري من جيران الوطن ، ويبين الوقائع الصحيحة المدعمة بالأسانيد دون تحامل أو مجاملة لطرف ما ، إحقاقا للحق وللتاريخ ..

• عاش أقباط مصر ونصاري العرب والمسلمون مئات السنين في سلام ، يقتسمون لقمة العيش ويشارك كل منهم الآخر أفراحه وأحزانه ، ويدين كل منهم صنوف التعصب لدي الآخر، ومن هنا كان التعايش الهادىء والتفاعل المستمر من أجل مصلحة الوطن .. أثبتت ذلك وقائع التاريخ .. فماذا جري ؟؟!!

• هناك قوي خفية صاحبة إشعال نيران الفتن وتصعيد الكراهية والخلافات .. هناك مخططات قوى دولية ، وتدخلات خارجية تهدف إلي النيل من التعايش التقليدي المتميز بين المسلمين والنصاري .. تحركات تسعي إلي إعادة رسم خريطة شرق أوسط جديد تتولي فيه الصهيونية زمام قيادته !!

• هناك تطرف من فريق من النصاري ، لديه رغبة جامحة في تنقص الإسلام ولكن من الظلم أن نتهم كل النصاري .. لأن فيهم في كل زمان ومكان أهل إنصاف وعدل يريدون أن يقاسموا المسلمين حياة آمنة مستقرة ، ولا يرون غضاضة في إعطاء الكثرة حقهم في الولاية ..

• الإسلام الذي جعل الآخر جزءا من الذات ، هو أصلح المناهج لبناء الوحدة الوطنية والقومية والحضارية .. تلك التي نواجه بها جميع التحديات ، لأن الشرق بالإسلام ، والإسلام بالشرق ، ونحن جميعا شرقيون حضارة ومدنية وقيما ..

• الكتاب حزمة من الحقائق والوقائع تدعو إلي إخلاص الولاء والانتماء للحضارة الجامعة التي شارك في بنائها مسلمون ونصاري علي اختلاف العقائد، وتحذر من الاستقواء بالأجنبي ، لأن الجميع ركاب سفينة الوطن الواحد ، والتي إذا خرقها الأعداء أو العملاء أو الدهماء غرق جميع من عليها بلا استثناء ، وغرقت معهم كل العقائد والمذاهب والمصالح .. وبالله التوفيق .

المؤلف